

فضائح ملوك النفط



فائز عبد الرحمن

دار الرياض
بيروت - لبنان

فضائح ملوك النفط

فائز عبد الرحمن

فضائح ملوك النفط

دار الرياض

بيروت - لبنان

للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٨٩

المقدمة

يقول سبحانه وتعالى ، وهو أصدق القائلين : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾

صدق الله العظيم

ولنشد ما يتأكد حكم الله سبحانه وتعالى هذا في فضائح وفسق شيوخ النفط الذين نهبوا وما يزالون أموال الأمة لينفقوها على ملذاتهم وشهواتهم وفجورهم الذي لا يعرف الحدود، بينما هم يتشدقون كذباً ونفاقاً بالحديث عن الإسلام وقيم الإسلام وأخلاق الإسلام.

وإيماناً منا بحق أمتنا أن تعلم الحقائق، كل الحقائق، نقدم هذا الكتاب الحافل بما يرتكبه الفاسقون من سارقي النفط، ليس من باب الحصر، ولكن من باب تقديم «العينات» والأمثلة على ما يجري في منطقة الخليج. فمن حق الشعب أن يعرف، فالشعب هو المحكمة الفاصلة، ولا بد أن يطلع ويعرف حتى يحكم.

ودافعنا الثاني لنشر هذا الكتاب هو أن هؤلاء الشيوخ راحو
يمدون موجة الفساد في الخلق والضمير إلى خارج قصور الفاسقين
من الشيوخ وسماستهم وأعوانهم وإلى مجتمعات الخليج عامة،
يريدون أن يحطموا قيمها وأخلاقها ودينها حتى تبقى خاضعة لهم .
ولكن عين الله لهم بالمرصاد، وأن الله يهمل ولا يهمل . .

المؤلف

تمهيد

العرب قادمون ! لندن للبيع !

يمكن القول، حسب رأي الصحافة البريطانية، أن العرب قرروا اعتبار لندن موطنهم الجديد، حين اشترى الشيخ زايد قصره الأول في لندن بمبلغ ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه استرليني عام ١٩٧٥ .

فقد انتقلت عائلة الشيخ زايد الى تلك البقعة الراقية من لندن، وأصبحت جارة لنائب برلماني من حزب المحافظين، كان غالباً ما يثور ويندفع باتجاه قصر العائلة ويجبرها على إغلاق نوافذ قصرها حتى لا يصل صخبها إلى أسماع عائلته!!

خارج بوابة القصر تقف سيارة ليموزين طويلة فارهة على مدى أربع وعشرين ساعة في اليوم، وغالباً ما تعود من رحلاتها، محملة بنساء يرتدين خماراً أسود، وينزل السائق (الانكليزي طبعاً) ليحمل هن الأكياس البلاستيكية الخضراء المحشوة بكل غال

وثنين من مجلات هارودز المشهورة ومحلات ماركس أند سبنسر الأكثر شهرة في اتهام العرب بالسرقة واللصوصية.

أما بنات الشيخ زايد المراهقات فيقضين النهار لاعبات لاهيات في الحدائق المحيطة بالقصر.

بعد ذلك قامت شركات عقارية متخصصة ببيع العقارات للعرب النفطيين، ورفعت الأسعار بشكل جنوني، فاشترى منها عرب «مجهولون» (ولكنهم من رجال الشيخ زايد) أرضاً شاسعة في اسكتلندة بمبلغ مليوني جنيه، وتحول العرب إلى حكايات اسطورية بعد، خاصة في مناطق بريطانيا الجنوبية، حيث اشترى الشيخ زايد قصراً آخر في منطقة سسكس، غالباً ما يصل إليه على ظهر طائرة هليكوبتر خاصة لقضاء بضعة أيام فيه كل عام.

ولكن تبقى لندن مركز العرب الأول: فهي موطن صالات القمار، ومحط أنظار العرب الهائمين حياً بنوادٍ معينة لا داعي لذكر اسمها الآن.

لكن كان هناك بعض الشواذ، ففي نفس ذلك العام اشترى عدنان الخاشوقجي منزلاً فخماً في الشارع الخامس في نيويورك، وسرعان ما تبعه كمال أدهم، رئيس المخابرات السعودية، فاشترى منزلاً مجاوراً لمنزله بمبلغ نصف مليون دولار. ولكن الخاشوقجي يملك منازل أخرى في قلب لندن، خاصة منزله الفخم المجاور

لمنزل أحمد زكي اليماني قرب « مي فير ». اشترى زكي الشقة بمبلغ ٧٠٠٠٠ جنيه فقط، ولكن أحواله تحسنت حين بدأ الخاشوقجي «يعيره» سفينته لكي يطوف بها جزر البحر الكاريبي ويمضي إجازته الربيعية فيها.

أما سفير دبي (أي سفير الإمارات العربية المتحدة في لندن) فقد اشترى في نفس الفترة قصراً في منطقة كنت دفع ثمنه نصف مليون جنيه. وكان السمسار شخصاً يدعى «كورنفيلد» وهو الذي جنى أرباحاً طائلة جداً من مهدي التاجر، ولكن يبدو أن شجاراً وقع بينهما، وغضب التاجر من كورنفيلد، وعندها فقط اكتشف أنه يهودي يتعامل مع إسرائيل، ويبيع الأملاك الاسرائيلية فطلب إنزال اسمه على القائمة العربية للمقاطعة، وهكذا كان!!

ثم بدأت العائلات العربية النفطية التي تقطن أجنحة خاصة في الفنادق بشراء عقارات خاصة بها، خاصة بعد أن فجر الايرلنديون القنابل في فندق هيلتون في لندن، فارتفعت أسعار الشقق، وارتفعت إيجاراتها أيضاً، حتى وصلت في تلك الفترة إلى ٤٠٠ جنيه في الأسبوع الواحد..

بقي أن نتعرف على أي العرب تتحدث الصحافة البريطانية. أنهم أولئك الذين لا يرون ولا يعرفون من لندن سوى نوادي القمار وملاحقة الفتيات من أجل علاقة جنسية سريعة! يدفع هؤلاء العرب مبالغ طائلة للحصول على المتعة الجنسية في

لندن: منهم من يذهب الى صالات «السونا»، حيث لم تكن تزيد تكلفة الدخول والمساج ودفء الأجساد الطرية أكثر من عشرين جنيهاً في تلك الفترة - أي في أواسط السبعينات.

أما المستويات الأعلى من عرب النفط، فيذهبون إلى أماكن تعرض فيها «المضيفات» بضاعتهم ثم يتفق على الثمن، وغالباً ما يفضلونها شقراء وذات ثدين كبيرين، هذا حسب شهادة ليندا بلاندفورد، الصحفية اليهودية البريطانية التي كانت تلاحق باهتمام مهمة سياسة الحصول على الفتيات ان لم تكن هي المطلوبة!! ولكن عمولتها كانت مضمونة على كل حال...

أما «الشيخ» فلا يتبعون هذه الأساليب أبداً. السرية المطلقة مطلوبة، ومطلوب أيضاً فتيات من مستويات أعلى، وهؤلاء الفتيات اللواتي كن يدفنن فراش الأمريكان ثمانين دولاراً لليلة الواحدة لم يكن يرضين بأقل من مئات الجنيهات إذا كان الزبون شيخاً عربياً نفطياً. يقضي الشيخ مع الفتاة عشرة دقائق تقريباً، ثم يطلب ثانية وثالثة ورابعة!!

وتتحدث عن شيخ لم تذكر اسمه بالطبع، أقام علاقة مع فتاة في شقتها لان زوجته كانت معه في الفندق، وكان يقضي الساعات الطوال مع تلك الفتاة، ويتحدث إليها، وتتحدث إليه وتحصل منه على آلاف الجنيهات.

أما نساء الشيوخ، فأول ما يفعله حين يخرجن إلى شوارع لندن، هو أن يرفعن القناع عن وجوههن، والثياب الطويلة عن أجسامهن، ويتوجهن إلى محلات ماركس أند سبنسر، وهناك يشتري العديد من السراويل والألبسة الداخلية المزركشة (والشهادة ما تزال لليندا فوردا!!). وبعد الشراء تقوم النساء بنزع علامات ماركس أند سبنسر التجارية لأنهن يعرفن تماماً أن هذه المحلات موجودة على قائمة المقاطعة العربية، وأن كل أموال ماركس أند سبنسر تعود لصالح إسرائيل (ثم تتساءل ليندا: أليس هذا أمراً يدعو إلى السخرية!؟).

يقول خبير في شؤون القمار، وكان يقيم دائماً في نادي البلي بوي في لندن، المشهور بتلاعبه بأموال العرب في لندن والذين يذهبون إلى هناك للعب القمار، يقول: إن العرب لن يتعلموا أبداً. فهم يخسرون أموالهم، ولا يهتمون بالخسارة. لقد جمعنا أموالاً طائلة منهم في هذا الصيف!! وكنا نبقي موائد القمار شغالة طوال الليل والنهار حتى يلقي العرب بأموالهم عليها.

النوادي التي يلعب فيها العرب النفطيون القمار تفرض عليها حماية مشددة، ويبدل المسؤولون عنها جهوداً مضنية حتى لا يدخلها صحفي قد يكشف عن هوية اللاعبين الأثرياء، فتتكشف الأسرار، ويمتنع العرب عن الحضور إلى النادي!! لقد كان دخول الصحفيين إلى نوادي لاس فيجاس بأمريكا سبباً رئيسياً لإفلاس

تلك النوادي حيث راح هؤلاء الصحفيون يفضخون أسرار اللاعبين وما ينفقون هناك، ونوادي لندن لا تريد أن تقع في نفس الخطأ. خاصة بعد أن انتشرت قصة خسارة الملك فهد لمبلغ طائل من المال في نادي مونت كارلو على الريشيرا الفرنسية. وهكذا أصبح المسؤولون العرب أكثر حذراً، فيذهبون إلى نوادي القمار بعد الظهر، حين تكون أعداد اللاعبين قليلة، واحتمال مشاهدتهم والتعرف عليهم محدوداً.

في منطقة بيركلي سكوير في لندن، حيث حركة الحياة المترفة مستمرة على مدار الساعة، تجدفتيات شقراوات يعرضن قوامهن وما بداخله على المارة. وعلى حافة ذلك الميدان يقوم بنك سعودي معروف. وقد اختارت الفتيات الموقع بذكاء، فأصحاب الأموال يتوجهون إلى البنك لسحب أموالهم، ويخرجون ليسحبوا معهم فتاة جميلة إلى نادي المورتوتد القائم على طرف الميدان المقابل، ثم يرافقوهن إلى مطعم الأنابل لتناول طعام العشاء، ومن هناك إلى نادي القمار «كلير مونت» للاستمتاع ببقية المساء، ومن هناك إلى دفء الفراش بصحبة الشقراء الجميلة التي تستولي على ما بقي من لعب القمار، هذا إن بقي شيء في الجيوب فعلاً!! وهؤلاء الفتيات لا يتعلقن إلا بالرجال الذين يهون تبذير أموالهم، ولذلك فهن الآن يركضن لاهثات وراء عرب النفط.

يقول أحد الخبراء العارفين الذي حلث ليندا بلاندفورد عن

أسراره إن العرب لا يحبون الفتيات اللواتي يعرضن أنفسهن، فإذا التقى عربي بمثل هذه الفتاة أخذ منها ما يريد ثم ألقاها بوحشية تقليدية، مبتعداً عنها بسرعة. أحياناً يثور غضب هؤلاء الفتيات - فتيات بئركلي سكوير - فيعزن قصصهن لأعداء عرب النفطيين، ونقصد بذلك رجال الصحافة الذين ينشرون قصصهم وفضائحهم. وغالباً ما ينصب حقد الصحفيين على كلا الطرفين، العرب والفتيات. - لذلك بدأ العرب يتعدون عن الفتيات ويقصرون اهتمامهم على نوادي القمار، فالمكان آمن لهم، ولا يكلفهم سوى النقود.

ويحدث خبير القمار المشهور الصحفية ليندا عن شخص اسمه غراف، استأجر مخزناً لبيع المجوهرات في منطقة نايتسبردج القريبة من هارودز، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ بالاستعداد لفتح مخزن آخر في منطقة البلي بوي - نادي القمار المشهور. وقد حالفه الحظ، فاستأجر المخزن في الطابق الأرضي التابع للنادي! لكن الأجر مختلف، ففي حين كان أجره مخزن نايتسبردج لا تتعدى الألف وخمسمائة جنيه سنوياً، فإن أجره المخزن الجديد ستكون خمسين ألف جنيه سنوياً! مخزنه الجديد أشبه بمحلات تصفيف شعر السيدات، فاخر أنيق ينضح بالثراء والفخامة. أما زبائنه الذين كان واثقاً من ملاءمتهم المالية فهم العرب، خاصة ذلك العربي البدين المترهل الذي اشترى مجوهرات لزوجته مرة فدفع ما يزيد

على أجرة المخزن لعام كامل!! أما الزبون فهو الأمير عبدالله ولي العهد السعودي ، ورئيس الحرس الوطني!!

وغراف هذا شاب أشقر وسيم يعرف كيف يتعامل مع العرب ، ها هو يتحدث إلى زوجة الأمير عبدالله التي اشترت من عنده قطعة ألماس على شكل قلب دفعت ثمنها ١٥٠٠٠٠ جنيه عدداً ونقداً ، وهي الآن ترتديها على صدرها : -

- كيف حال قلبك يا سيدي؟ يبدو أنه كبر منذ الأسبوع الماضي!

ولم يزد جواب زوجة الأمير عن ابتسامة ، «قلبية» عميقة! .
وغراف هذا إنسان ذكي مخطط ، يرسل مندوبه بانتظام إلى السعودية ودول الخليج ، لكنه لا يذهب بنفسه ، فهو يهودي!! لكن دينه وانتماءه السياسي لا يؤثران على مبيعاته للعرب في لندن .

ولهذا بدت المعرفة والصداقة عميقة بينه وبين الأمير وزوجته الأميرة . يقول غراف : مخطيء من يقول لك إن العرب مجانين حمقى في تعاملهم التجاري . تصور أن صبيّاً من البحرين استطاع أن يكتشف صدعاً صغيراً جداً في قطعة ألماس كانت تبدو في منتهى الجمال والكمال . حتى خبراء الجواهر ما كان باستطاعتهم تمييز مثل هذا الخطأ الغني!! وإذا أنت حاولت أن تبيع للعرب مجوهرات كاذبة فإنك ستخسرهم حتماً ، لأنهم يريدون المجوهرات

الحقيقية الثمينة فقط. ثم إنهم لا يناقشون في السعر أبداً. لذلك أنا صريح معهم أكثر من صراحتي مع الزبائن الأوروبيين!

ولا غرابة لذلك، فبعد هذه الخبرة الطويلة في المجوهرات، صار الأمير وزوجته وأمثالهم من مليونيرية النفط خبراء جواهر وجلي. أعرف رجلاً في نيويورك عهد إليه بعض الأمراء السعوديين مهمة جمع مجموعة من المجوهرات الثمينة من السوق. وقد فوجئ حين اكتشف، وهو في زيارة للسعودية، أن القنصلية السعودية في نيويورك هي التي طلبت طرده من السعودية بعد أن توفرت لها معلومات عنه تبرر ترحيله!

لكن غراف يبقى محل إعجاب وثقة الأمير عبدالله وكذلك محل اهتمامه بأحجار الياقوت والزمرد والأحجار الكريمة الأخرى!!

وبعد الأمير عبدالله نسمع حكاية الشيخ رشيد (حاكم دبي ونائب رئيس دولة الإمارات في تلك الأيام)، الذي يشتري مئات الأزواج من الأزرار الذهبية لقمصانه، ويدفع مبلغ ألف جنيه ثمن الزوج الواحد! بالإضافة إلى مجموعة من السلاسل الذهبية من عيار ١٨ قيراطاً، ومجموعة من ساعات الألماس قيمة الساعة الواحدة منها عشرون ألف جنيه استرليني!

وتقول صحفية واسعة الاطلاع إن العرب مغرمون بالحمائم الأوروبية، لكن بعض المصممين بدأوا يصممون الحمائم

الخاصة بعرب النفط. هناك مصمم حمامات بولندي - ألماني الأصل اسمه غوتفري يونساك، يصمم الحمامات بأشكال مختلفة، وكأنه يحول الثريات الى «دوش حمام»! سعر الصنبور الواحد ألف جنيه. أما حمامات العرب في لندن خاصة فإن بونساك هذا وضع لها تصميمات خاصة مجهزة بأجهزة التلفزيون وطاولات شرب القهوة التي تعمل على الهيدروليك. حتى مناشف الحمامات تنقش عليها الأحرف الأولى من اسم صاحب الحمام!

ثم يأتي دور تجار الأسلحة: فقد صنعوا بنادق صيد خاصة بالعرب، مرصعة بالذهب، قيمة البندقية الواحدة ٢٠٠٠٠ جنيه استرليني. أما سلطان عُمان، فهو يحب موسيقى الأرغن الذي يستخدم عادة في الكنائس، ولذلك أوصى بحب الموسيقى هذا على أرغن من خشب الأتبوس بلغت قيمته ٢٥٠٠٠٠ جنيه!!

أما بذخ الملك سعود بن عبد العزيز فتتحدث عنه الصحفية المهووسة بشيء من الذهول وعدم التصديق. تقول هذه الصحفية:

خلف الملك سعود أربعين ولداً، ورغم قبح مظهره وقمائه، فقد كان يحب سيارات الكاديلاك المطلية بالذهب، ويقدم الساعات الثمينة لزواره ويحب الخليلات، كما يحب المخدرات!! ولأن أولاده يتحدرون من أمهات متعدّدات، فإنهم متعدّدو الأشكال والأحجام والألوان!! لكنهم جميعاً يشتركون في مزية

واحدة: فهم يحصلون على مبالغ مالية (مفتوحة) لا حدود لها،
شريطة عدم تدخلهم في سلطة الحكومة السعودية الحالية!!

«الهواية المفضلة عند أكبر أبناء الملك سعود هي تحطيم
السيارات الباهظة الأثمان! وهو يمارس رياضته المفضلة هذه في
أرقى أحياء لندن، لحفظ المقامات!! وعلى سبيل المثال حطم الأمير
تركي بن سعود سيارة (لمبارغيني) في منطقة إرلزكورت في لندن، وفي
صدام مروع، حين كان في الثالثة والعشرين من عمره.

وفي يوم صيفي جميل وصل الأمير الشاب الطويل إلى مطار
لندن، وهو يرتدي بدلة بيضاء من تصميم ايثان سان لوران،
ويضع حول عنقه سلاسل ذهبية. ما أن ينزل من الطائرة حتى
يسارع كبار شخصيات المطار للترحيب به وهم يقولون: سيارتك
بالانتظار يا سمو الأمير!! السيارة من نوع الليموزين السوداء
الطويلة، مع سائقها الانكليزي طبعاً، الذي يصرخ غاضباً
ويصيح: مشكلة العرب أنهم يجعلونك تنتظرهم دائماً!! لكنه ما
أن يرى طلعة الأمير المجلل بالنهب حتى يهدأ صوته ويقول
مبتسماً: أرجو أن تكون قد قضيت إجازة ممتعة يا سمو الأمير.

والأمير كسائقه يتذمر ويشكو بكثرة وباستمرار، خاصة من
الآلم الذي حل بظهره بعد ممارسته لرياضة التزلج التي يهواها.

لكن أساريته سرعان ما تنفرج حين يفتح حقيقته السوداء

وهو في طريقه إلى لندن، ويخرج منها بعض الصور التي التقطت
لحفلة صاحبة أقامها في إسبانيا. ثم يحدث سائقه قائلاً: كلفتني
الحفلة ستة آلاف جنيه استرليني، لكنها كانت حفلة الموسم
باعتراف كل الحاضرين! ثم يضيف قائلاً:

- الناس يقولون لي دوماً انه يجب علي التمييز بين الناس
الجيدين وغير الجيدين. وهذا واجب فعلاً. أنظر إلى تلك الفتاة
(ويشير بيده إلى صورة فتاة شقراء متقدمة في العمر) . .

إنها أميرة!! أية أميرة يا سيدي؟! لا أدري . . لا أتذكر!!
ولكنها أميرة . . أما تلك فهي كونتيسة! وتتوقف السيارة امام شقة
الأمير الجديدة التي اختارها له صديقه الجديد . . . سأله عن
ثمنها، فجاء الجواب: ٩٦٠٠٠ جنيه! لا . . إذهب وفاصل!!
ذهب الصديق وفاصل، فنزل السعر إلى ٨٤٠٠٠ جنيه!! لا!
إذهب وفاصل مرة ثانية!! ذهب الصديق وفاصل مرة ثانية . . لا . .
هذا آخر سعر . . إذن أعطني المبلغ يا سمو الأمير!! فأعطاه الأمير
دفتر الشيكات ليدفع المبلغ ويستلم الشقة! إن سمو الأمير تركي لا
يجب الانتظار، لذلك كانت الشقة ملكه خلال ثلاثة أيام . .

ثم تذكر سموه أن عليه أن يدعو بعض الأصدقاء! فهو لا
يجب أن يبقى وحيداً . . أحب أصدقائه إليه هو ديثيد فوتونغ،
ابن صاحب مطعم صيني! الذي يرافقه إلى حفلات موسيقى
«الديسكو»، لكن البعض نصحه بالأمر يرافق مثل هؤلاء الناس

الوضعاء!! بل يجب أن يصاحب أبناء الملوك من أمثاله . . . هكذا
الأصدقاء المخلصون وإلا فلا!!

وهكذا صار الأصدقاء الجديون يرافقون الأمير تركي إلى
حانات راقية جداً، رغم موسيقى الديسكو التي كانت تملأ جوها.
ثم أشار الأصدقاء على الأمير أن يتعرف على فتيات راقيات هناك
«تركي» آخر هو صهر معالي الشيخ الفاسي «قدس الله أسرار
كلها» خاصة أسرارهم مع قارئ الكف وكاشف الحظوظ المستورة،
الألوسي ابن الألوسي، وما يحتفظ به من أشرطة فيديو مقدسة عن
حياة طيب الذكر الشيخ الفاسي، خاصة تلك الأشرطة التي يقدم
الشيخ الفاسي ربع مليون دولار للألوسي مقابل احتفاظه بها!،
لكن الأمير تركي الحالي لا يهتم بفتيات المجتمع الراقي بل
بفتيات مجتمع الشيخ الفاسي مثل «تركي» الآخر!.

كان أصدقاء الأمير تركي «المخلصون» ينصحونه بأن يتحلّى
بالصبر في مجال العلاقة بالنساء. لكن تركي إذا أراد شيئاً قال كن!
فيكون! لذلك ما أن وصل صديقه الإيراني ميشيل حتى قدم له
عارضة أزياء غمساوية أحضرها له من أحد النوادي. كانت عارضة
الأزياء غير سعيدة لأن صديقها ميشيل أنزلها في فندق رخيص
صغير المستوى يقع على ناحية كرومويل رود. فقدم لها الأمير تركي
النزل المناسب، وصارت من الصديقات المقربات. . . والثريات
جداً!!

ثم تلتها ماريون، مسؤولة نادي فكتوريا للقمار، والمعروف عنها أنها تقدم جسدها مقابل العطايا السخية. أظهرت ماريون، وزوجها ديثيد، اهتماماً كبيراً بآلام الظهر التي كان الأمير تركي يعاني منها. قالت له حين بدأت تدلك ظهره: يا سمو الأمير.. ابني الصغير يفكر فيك دائماً ويسألني عنك!!!

ولم لا.. فمعرفة الأمير بماريون معرفة طويلة سبقت ولادة ابنها الصغير!!

بعد ذلك، تصبّل الأميرة أم كلثوم، زوجة الأمير ذات الأربعة والعشرين ربيعاً ومعها الطفلان سارة وسعود، ومعها وقارها الهادئ. يتناول الزوجان حديثاً، تبسم الأميرة الهادئة. تحدثت الأميرة الى (ضيوف) الأمير، ثم رحلت. من أين أتت؟ وإلى أين ذهبت؟؟ لا أحد يدري!!

والأميرة واثقة من أن زوجها لا يرقص في النوادي الليلية، بل يذهب إلى هناك للتمتع بمنظر الفتيات الراقصات وهنّ يلقين بأنفسهن عليه، ليلقي عليهنّ بدوره السلاسل الذهبية والمجوهرات. ويعود الأمير إلى منزله ليجد ماريون في انتظاره تعد له طعام العشاء الذي يجب أن يكون جاهزاً في الساعة الثانية صباحاً.

الأميرة أم كلثوم تقيم في الرياض، ولا تلتقي بزوجها الأمير

تركي إلا نادراً. فقد تزوجها منذ أربعة أعوام (كان ذلك عام ١٩٧٥) ثم ترك زوجته وهي حامل، وتوجه إلى تكساس لدراسة الطيران المدني، لكنه لم يكمل دراسته. ثم جاءت الزوجة إلى لندن حين استقر الأمير فيها، وحملت مرة ثانية، كل ذلك وهي مقيمة في جناح في الفندق وهو يعيش في شقته الخاصة!

تحدث الأميرة أم كلثوم إلى ليندا الصحفية فتقول: -

«أنا حزينة جداً، دائماً، خاصة حينما لا أكون مع زوجي. لكن ماذا يمكن أن أفعل!!؟ أؤكد لك أن ابننا سعود لن يكون على شاكلة أبيه. تركي وأنا تربينا وكبرنا في منزل واحد. أختي تزوجت والده... أما الآن...». أما الزوج فهو أكثر طموحاً. يريد أن يكون رجل أعمال دولياً، وهو يملك بالفعل مزارع الدجاج ومصانع ملبوسات جاهزة وغير ذلك. والأميرة تشرف على مشاريعه حين تكون في الرياض، إضافة إلى التحاقها بالجامعة حيث تدرس علم الاجتماع..

وتبقى الأميرة في الفندق في لندن، بينما يعود الأمير تركي إلى شقته الجميلة، ليجد عارضة الأزياء النمساوية بانتظاره، بعد أن انتقلت نهائياً إلى الشقة من الفندق الحقيق الذي أنزلها فيه الإيراني ميشيل!!

ويأوي الأمير تركي إلى فراشه المريح، ويخلد إلى نوم سعيد

يزيد من سعادته وجود عارضة الأزياء في فراشه .

هذه نماذج من نشاطات أمراء السعودية وشيوخ النفط وممارساتهم المالية «والإنسانية» والأخلاقية . وهذا جواب ، من أجوبة عديدة ، على السؤال الذي لم يعد يحير أحداً ألا وهو: أين تذهب أموال الأمة العربية؟ أين تنفق؟ ومن ينفقها؟ وعلام تنفق . وإلى أجوبة أخرى في الفصول التالية . .

الجزء الأول

آل سعود

الفصل الأول

غراميات الملوك والأمراء السعوديين

العهر السياسي، كالعهر الأخلاقي تماماً، يحتاج إلى بائع ومشتري، وشيء يباع وثمان يقبض. ومنذ أن تمّ الزواج غير الشرعي بين برميل النفط السعودي والدولار الأميركي، ولدت في السعودية ولادات غير شرعية تميزت بكل مميزات وخصائص «ابن الزنى» سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وأخلاقياً.

قبل أن ندخل في وصف المرحلة الحالية، التي يمكن أن يطلق عليها مرحلة «الخاشوقجي» أو «الجنس والمخدرات الملكية» أو «مرحلة الاستخفاف بأخلاق الشعب قبل عقله»، نود أن نعود إلى الوراء قليلاً، إلى مرحلة قيام العرش السعودي، والظروف السياسية والأخلاقية التي رافقت تأسيسه، لا شيء سوى لنثبت في آخر هذا الكتاب أن «هذا الشبل هو ابن ذاك الأسد».

وقبل البدء في سردها نؤكد أن معلوماتنا موثقة متوفرة لمن يريد الاطلاع عليها في ملفات الحكومات الغربية، خاصة

الأميركية والبريطانية والتركية والإيطالية، ولن يضم هذا الكتاب حرفاً واحداً لا تدعمه الوثائق.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وإعلان الملك ابن سعود عن نفسه «سلطاناً على نجد وملحقاتها» بدأت الحكومة البريطانية، وبعد مطالبات وتسولات متكررة، تدفع لابن سعود راتباً شهرياً قدره خمسة آلاف جنيه لتساعده على تثبيت دعائم ملكه وسيطرته على القبائل، خاصة «الإخوان»، ذلك الذراع المتوحش الذي كان يحطم بواسطته، باسم الدين والتقوى، كل من تسول له نفسه الاحتجاج على ما يفعله ابن سعود، إلى أن قضى عليهم هو نفسه عام ١٩٣٢، بعد أن استنفذ أغراضه منهم.

كان الملك ابن سعود يبدأ بالاستجداء طلباً للمكافأة البريطانية الشهرية إذا تأخرت بضعة أيام. وفي إحدى المرات أرسل المعتمد البريطاني في البحرين عيونه إلى الرياض للتعرف على ما يجري هناك، ويبدو أن جواسيسه وصلوا إلى الرياض في نفس الوقت الذي وصلت فيه المكافأة المتأخرة، ولكن بعد أن حولتها حكومة الهند البريطانية إلى رويات هندية فبلغت قيمتها حوالي سبعين ألف روبية. عاد مخبرو المعتمد البريطاني يحملون إليه الخبر التالي:

ما أن وصلت الأموال إلى الملك حتى استدعى الإخوان إلى اجتماع حاشد في ساحة الرياض. ثم خرج إليهم بقامته الهائلة،

ونظرات الشموخ والعظمة تمتزج بابتسامة النصر على وجهه، وخطب فيهم قائلاً: «وأخيراً.. وصلت الجزية، أيها المؤمنون، من النصارى!». . . . ومعروف أن الجزية تفرض على أهل الكتاب الذين يعيشون تحت حكم الدولة الإسلامية.

من هذه الأموال كان ابن سعود يصرف على حملاته العسكرية، ومغامراته النسائية. تقول الوثائق، ويفخر أحفاد ابن سعود، بأنه تزوج ثلاثمائة امرأة أثناء حياته. ولكن ربما سيخف فخرهم قليلاً حين يعلمون، والقول للوثائق، أن الملك كان يحتفظ بزوجاته في طابق من قصره بني تحت الأرض، لا نوافذ له ولا فتحات تهوية، فبدأت أعراض الأمراض القاتلة تظهر على هؤلاء النساء وتفتك بهنّ، فاستدعى هنّ الطبيبات اللواتي أشرن عليه بفتح نوافذ في ذلك السرادق الأرضي، فرفض الملك رفضاً قاطعاً، وأجاب الطبيبة التي اقترحت عليه ذلك قائلاً: «لا..». فالنوافذ التي تأتي بالهواء تأتي بالعشاق أيضاً» (ونحن هنا نترجم من نص انكليزي).

ولكن انعدام النوافذ لم يحل دون دخول العشاق على حريم الملك ابن سعود. تتحدث بعض الوثائق السرية الموجودة في مركز الوثائق البريطاني في لندن عن اكتشاف علاقة محرمة بين أحد أبناء الملك وإحدى شقيقاته!، وتضيف الوثيقة التي نقلت الخبر إلى وزارة الخارجية البريطانية انه من المعتقد الا يكون الأمر قد وصل

إلى سمع الملك، لذلك لم يتخذ أي إجراء بحق ابنه!

ربما كان ذلك صحيحاً، وربما علم الملك بالأمر ولم يفعل شيئاً. والذي يدمج هذا الاستنتاج الأخير أن الملك ابن سعود كان يزاحم أبناءه، بعد أن كبروا، على الفتيات الجميلات ويسبق أولاده إليهن. . والمهر دائماً من أموال الجزية الآتية من النصارى الكفار!!

بعد أن كبر الأمير سعود وراح يبحث عن شريكة عمره، أراد والده أن يزوجه بإحدى بنات الأمير فواز الشعلان. بدأت المساومات وعلم الملك، وهو الخبير ومن أصحاب العيون النافذة، أن ابنة الأمير الشعلان التي كان يود خطبتها لابنه جميلة فائقة الجمال، فأسرع بخطبتها لنفسه من والدها الذي قبل ببالغ السرور، وحين رأى الأمير سعود زوجة والده الجديدة، استبشر خيراً حين قال له إنه خطب له أختها!! وطار الولد سعود من الفرح، ولم يعد يستطيع الانتظار. ولكن ليلة الزفاف انقلبت إلى مآثم، حين اكتشف الأمير أن والده الملك قد دبر له «خازوقاً» حين تزوج الابنة الجميلة ووعد والدها بأن يزوج أختها لابنه، فإذا الأخت أقبح من العمى. وظل الولد سعود حرداناً يطالب والده بأن يطلقه، ولكن المضاعفات السياسية خطيرة، والأمير الشعلان قوة لا يستهان بها، ويقع الملك في حيرة شديدة.!!

وهنا ينتهي نص الوثيقة الصادرة عن القنصلية البريطانية في

دمشق والموجهة إلى وزارة الخارجية البريطانية.

ثم تدفق نفط الأحساء في أوائل الأربعينات وصار بإمكان آل سعود تأمين الأموال من غير مصادر الجزية المفروضة على النصارى أي الانكليز الذين كانوا تحت حكم الفاتح ابن سعود!!

فقد فتح الملك باباً جديداً هو باب الاقتراض من نصارى آخرين، هم الأمريكان!! ذلك أن الميزانية السعودية لعام ١٩٤٢ بلغت حوالي ٢٩٢ مليون دولار، ذهب منها ١٩٠ مليون دولار إلى جيوب العائلة المالكة، وتقول الوثيقة الأميركية التي أوردت هذه الأرقام، والتي حصلت عليها المخابرات البريطانية وظهرت في وثائق وزارة الخارجية البريطانية، أن باقي ميزانية ذلك العام وجد طريقه أيضاً إلى جيوب أمراء العائلة المالكة، حيث أن مشاريع الأشغال العامة التي خصصت لها كانت مشاريع وهمية لم تحقق، وحصل الأمراء على أموالها! ومع ذلك نفذت الأموال، وبقيت العائلة المالكة بحاجة إلى المزيد منها.

هنا نتقل إلى وثيقة أميركية أخرى، تسندها وثيقة بريطانية، وتتحدثان معاً عن الزيارة التي قام بها الأمير سعود إلى الولايات المتحدة في تلك الفترة واستقبله الرئيس الأميركي. كان هدف الزيارة المعلن هو عرض وجهة نظر الملك ابن سعود تجاه قضية فلسطين، والاحتجاج على الموقف الأميركي المؤيد للصهيونية.

وبالفعل طرح الأمير سعود المسألة على الرئيس الأميركي ولكن بالصيغة التالية: إن والدي يقول إنه لن يسمح لأي قضية مهما كانت أن تؤثر على علاقات الصداقة المتينة بينه وبين صديقه الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، حتى ولو كانت تلك القضية هي قضية فلسطين!

وفي نهاية المقابلة طلب الأمير سعود قرضاً من الرئيس الأميركي بقيمة أربعين مليون دولار. فسأله الرئيس عن داعي الحاجة إلى القرض، فقال الأمير إن والده يريد شراء آلات زراعية ومضخات مياه واستئجار خبرة فنية بعشرين مليون دولار بينما يستخدم العشرين مليون الأخرى لإنشاء خط حديدي يربط بين الرياض والدمام. وافق الرئيس الأميركي على الشرط الأول واقترح على الأمير سعود اقتراض العشرين مليون دولار الأخرى لإنشاء الخط الحديدي من شركة أرامكو التي قد تحدد الخط هي بنفسها.

اضطرب الأمير الخجول، ولاحظ الرئيس الأميركي اضطرابه. وحين سألته عن السبب قال الأمير: لقد اقترضنا من أرامكو يا سيادة الرئيس بما فيه الكفاية!!

وسوي الأمر. وبني الخط الحديدي الذي وصفه الأمير للرئيس بأنه شريان حياة حساس، ولكن الكونغرس الأميركي، والصحافة الأميركية من بعده، اكتشفا سرّ ذلك الشريان

الحساس بعيد اکتھال الخط مباشرة: إن الغطاء الوحید الذی کان سیر علیہ کان ینقل حریم المملک ما بین قصره فی الدمام وقصره فی الریاض!!

وٹارت الصحافۃ الأمریکیۃ، واحتجت الحکومۃ السعودیۃ علی نشر الفضحۃ، مما أدى الی کشف فضیحۃ أخرى: هی أن المملک ابن سعود لم یکن یعرف معنی حریۃ الصحافۃ وأراد أن ینقھها فی أمریکا، تماماً کما فعل فی السعودیۃ!

خلال تلك الفترة، وعلى مدى ما یزید علی ربع قرن من الزمن کان یتربع علی عرش السیاسة الخارجیۃ السعودیۃ حفنة من العرب من سوریه ومن لبنان ومصر. من سوریه، ومن مدینۃ اللاذقیۃ الساحلیۃ الجمیلۃ جاء الشیخ یوسف یاسین، الذی تصفہم الوثائق البریطانیۃ خاصۃ بأنه کان شدید التعصب ضد الانکلیز. ولكن تعصبه هذا کان محصوراً بالقضایا السیاسیۃ فقط، فقد کان له فی الواقع مهمۃ أخرى کان یؤدیها سراً طوال فترة خدمته للمملک ابن سعود. بعد کل زیارة کان یقوم بها لمسقط رأسه اللاذقیۃ، کان یعود محملاً ببضعة هدايا لسیده المملک وكبار أفراد العائلة المالکة. كانت الهدایا عبارة عن فتيات صغیرات من بنات اللاذقیۃ، کان الشیخ یوسف یاسین یشرین لسیده ویحضرهن لمتعته، حیث کان یتسرى بهن بعد أن یجبرهن علی نطق تعبیرات تدل علی أنهن من الإماء أو الجوارى. وبعد الاستمتاع بهن فترة من الزمن کان

يهبهن لأفراد حاشيته أو يعيدهن إلى موطنهن في اللاذقية، على يد مستوردهن يوسف ياسين. وتؤكد الوثائق البريطانية عن تلك الفترة أن الشيخ يوسف ياسين لم يكن يذهب إلى اللاذقية إلا لهذا الغرض، وأن شراء الفتيات السوريات الجميلات، ولكن الفقيرات كان يتم على يديه شخصياً، وأن إعادة إهداء هؤلاء الفتيات البائسات إلى آخرين بعد الانتهاء من اغتصابهن كانت تمارس وكأنها أمر طبيعي، وحسب قوانين الشريعة السعودية!

وكان البريطانيون، أصدقاء الملك ابن سعود الذين لم يكن على استعداد للخروج على إرادتهم حتى ولو كانت القضية هي فلسطين وشعبها، يراقبون حياته الشخصية، داخل قصوره وخارجها، ويسجلونها ويرسلونها إلى وزارة الهند ووزارة الخارجية البريطانية. ولم يظهر عليهم الغضب مما كانوا يشاهدون سوى مرة واحدة، اكتشفوا فيها أن الفتاة المستوردة هذه المرة كانت أرمنية من سورية، أي أنها مسيحية، أي أن بريطانيا تعتبر نفسها حامية لها ومسؤولة عن شرفها..

تقول الوثيقة الصادرة عن القنصلية البريطانية في دمشق إن اثنين من عائلة شيخ الأرض الدمشقية سافرا إلى السعودية للعمل في قصور ابن سعود. ولكن أحد الأخوين أخذ معه من دمشق فتاة أرمنية جميلة بعد أن سجلها في جواز سفره على أنها شقيقة له! وبدأ الأخوان يعملان في خدمة جلالة الملك، وسمع الملك «بشقيقة»

مدحت شيخ الأرض الجميلة، فما كان من طيب الأخلاق والسمعة مدحت إلا الكرم بالغ السخاء، حيث قدم الفتاة هدية للملك، جارية رقيقة وأمة يتسرّى بها بعد عناء جهاده الطويل، وحسب مقتضيات الشريعة السعودية...

جنّ جنون بريطانيا، فالفتاة أرمنية، وطالبت القنصلية البريطانية في دمشق وزارة الخارجية بالتدخل ولكن الوزارة لم تفعل ذلك، حرصاً منها على علاقات مع الملك كانت أهم بكثير من عفاف الفتاة الأرمنية وكل أرمن الدنيا مجتمعين!

أما الأخوان شيخ الأرض، فقد زادت أموالهما فجأة، وعلا مقامهما عند جلالة الملك الذي قدر خدماتهما حق قدرها فأجزل لهما العطاء. والحقيقة أن عائلة مدحت شيخ الأرض معروف عنها أنها، سبحانه الله، تحب الأموال من أي مصدر كان، ومن أي «فاعل خير» كان، سواء كان ذلك الفاعل هو الملك ابن سعود، أم إسرائيل!! ففي عام ١٩٦٤ ألقى القبض في دمشق على شيخ آخر من شيوخ الأرض، هو ماجد شيخ الأرض، وحوكم بتهمة التجسس على جيش سورية وأمنها لصالح إسرائيل!!

تلك كانت لمحات من الممارسات التي كانت وما تزال تشكل الأساس الذي تبنى عليه العائلة المالكة السعودية سياستها وعلاقاتها. فالاستمرارية هذه قائمة سياسياً وأخلاقياً ومالياً، مع

فوارق في الدرجة والكم، حذفتها الثروة الهائلة والمفاجئة التي انهالت على جيوب العائلة بعد حرب عام ١٩٧٣، التي دفعت الأمة العربية إليها خيرة شبابها وضحت بدمائهم وحياتهم من أجل نصر كاد أن يتحقق... كما فرضتها اتساع دائرة المتفعين بعطايا العائلة والمتأثرين. بأخلاقياتها، وكما تطلبتها تطور أنواع العهر والفسق في العالم، التي طورت في بعض الأحيان لتلائم أذواق آل سعود خاصة، فهم يصرون دائما، وهم الورعون المؤمنون الثقة، أن يكونوا أول المتفعين من «التقنيات الحديثة» في عالم الفجور والدعارة، حتى قبل أن يستخدمها مخترعوها...

ولا يقل حماس أمراء دويلات الخليج لهذه الممارسات والتقنيات عن حماس آل سعود، بل إن بعضهم، خاصة في الكويت وقطر والبحرين، ينظرون إلى آل سعود باعتبارهم «متأخرين عن ركب الحضارة والتقدم» واستخدام وسائل العصر في الترفيه عن النفس.

فما هي سمات المرحلة الحاضرة في الجزيرة العربية؟ وماذا يفعل آل سعود وأمراء وشيوخ دويلات الخليج بأموال الأمة ومقدراتها ومقدساتها وأخلاقها؟

الفصول التالية تكشف بعض معالم هذه المرحلة حتى تعرف الأمة ماذا يجري، وحتى تحاسب حين تحين ساعة الحساب.

الفصل الثاني

آل سعود

في المنظار الأمريكي

يتحدث طبيب أميركي عمل في السعودية مدة ثلاثة أعوام كان شغله الشاغل خلالها، كما يقول، «العناية بالسعوديين من مختلف الطبقات، بمن فيهم أفراد العائلة المالكة الهامين» - يتحدث عن علاقاته بتلك العائلة وأفرادها «بالغي الأهمية» بشيء من الهلع وعدم التصديق لكل ما رأى وسمع. ومع أنه في بعض الأحيان يستعمل أسماء وهمية بغرض التمويه، فإنه اكتشف حقيقة الشخصيات التي يتحدث عنها أمر سهل على من يتتبع أخبارها والتفاصيل الواردة في حكايات ألف ليلة وليلة التي يرويها الطبيب المعجب بالعائلة المالكة السعودية.

يقول الطبيب سيمور غري «ان ابن سعود تزوج ما يزيد على ثلاثمائة مرة، وخلف من هذه الزيجات أربعة وأربعين ولداً وعدداً غير معروف من البنات. يقدر عدد الأمراء المنحدرين من صلب ابن سعود بألفي أمير على الأقل. أمام العائلة المالكة السعودية

بمختلف فروعها، فيقدر عدد أفرادها الذكور بأربعة آلاف شخص. وقد تحول هذا العدد الهائل للعائلة المالكة إلى ميزة بالغة الأهمية: فالحكومة السعودية والقوات المسلحة يسيطر عليها أفراد العائلة الذين لا يشك بولائهم للعرش».

وبعد وصف حجم عائدات النفط الهائلة التي تنصب في خزائن العائلة وحساباتها في كل مكان إلا السعودية نفسها والأرض العربية، يقول الطبيب «لم تعرف السعودية الكهرباء إلا بعد عام ١٩٦٠، أما الرق فبقي مزدهراً فيها حتى عام ١٩٦٢»، هذا مع العلم، كما يقول الكاتب، أن «معدل الدخل السنوي في السعودية هو ١٥٠٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل».

أين تذهب كل هذه الأموال إذن؟

يقدم لنا الطبيب بعض الأجوبة على سؤالنا والأمثلة المؤيدة لها.

حين كان في الطائرة التي أقلته من أمريكا إلى السعودية عبر لندن، التقى بصديق بريطاني تبادل معه الأنخاب السرية، أو التي تغاضت عن رؤيتها مضيعة الطائرة السعودية. كان اسمه «بل»، الذي أفرغ كأسه مرة واحدة في حلقه، ثم أشار إلى امرأتين «بالغتي الجمال» تجلسان على كرسي الدرجة الأولى قربهما. يصفهما الطبيب الخبير فيقول «كانتا ممشوقتي القوام، سمراوين بلون

الزيتون، شعرهما غزير طويل وعيونهما كبيرة واسعة. كانتا تتحدثان وتضحكان مثلما تحب كل النساء أن يفعلن. كانت كلتاهما ترتديان ثياباً أنيقة فرنسية التصميم والصنع، وقد لفتا ساقاً على ساق، فكشفتا عن أفخاذ وسيقان جميلة الاستدارة. وكان يجلس معهما رجل متوسط العمر، ربما كان أباً أو عمّاً، كان يشاركهما الحديث في بعض الأحيان... وبين حين وآخر كانت تنساب رائحة عطر قوي بالغ الإغراء الجنسي، تملأ الجو بعبقها..».

التفت بل البريطاني الذي كان قد أوضح لغري الأميركي أن ملك السعودية لم يتمكن من استقبال ملكة بريطانيا رسمياً إلا بعد أن أنعم عليها، خلال إقامتها في السعودية بلقب «رجل شرقي» التفت إلى الطبيب وهمس قائلاً: -

«النساء السعوديات يستعملن العطور بكثرة... ربما كانت هاتان فتاتين من العائلة المالكة عائدتين من رحلة متعة في أوروبا، أو أنهما من عائلات رجال الأعمال السعودية. لقد خلقت طفرة النفط عدداً مخيفاً من المليونيرة السعوديين. في هذه الأيام، وأول شيء يفعلونه حين تنال الأموال عليهم هو الذهاب إلى لندن أو باريس... لانفاقها!!».

ويضيف الطبيب المراقب بعد قليل:

«حين بدأت طائراتنا تحليلها فوق العربية السعودية، نهضت الفتاتان الجميلتان وكل منهما تحمل حقيبة سفر. أرسلتا باتجاهنا ابتسامتين ساحرتين وهما تتجهان إلى مؤخرة جناح الدرجة الأولى... بعد دقائق عادت السيدتان وقد ارتديتا قناعين سميكين، وغطّى ثوبان أسودان جسديهما من الرأس إلى أصابع القدمين... وكانت «الغطوة» من السماكة بحيث أخفت ملامحهما تماماً... وبدأت السيدتان الآن صامتتين... محافظتين... وبعد دقائق، قام الرجل المرافق لهما بنفس الطقوس، فاستبدل بدلته الانكليزية الغالية بالثوب... كانت ياقة ثوبه موشاة بشريط زينة وفوق ثوبه ارتدى عباءة طويلة تسمى البشت، كان طرفها محلى بزركشة ذهبية...».

هنا تأكدت للبريطاني ظنونه:

«التطيرز الذهبي يدل على الانتهاء إلى العائلة المالكة... أو على أصحاب المقام الرفيع... لا شك أنه من ذوي الصولة في السعودية».

وحين هبطت الطائرة في مطار الرياض، نظر الأمريكي من نافذة الطائرة فرأى، بدل الخيم والجمال التي كان يحلم بها، سيارة مرسيدس بالغة الفخامة تنساب بهدوء حتى وصلت إلى باب الطائرة. وهنا رأى الأمريكي والبريطاني الرجل ذي الياقة المذهبة

والسيدتين الشابتين معه يدخلون السيارة الفخمة التي اختفت فجأة . . تماماً كما ظهرت!!

لم يعد الطبيب بحاجة إلى الظن والتخمين، فعادت به الذكريات إلى أحداث «ملكية سابقة» خبرها حين كان في أمريكا، وقبل أن يحلم بالقدوم إلى السعودية. إنها قصة دخول الملك سعود إلى المستشفى الذي كان يعمل فيها الطبيب. يصف غري الحادثة فيقول :-

«سرعان ما اكتشفت أن الطابق الثالث من المستشفى كله قد أخلي من المرضى، ليس لأسباب أمنية فقط، ولكن لتأمين إقامة حاشية الملك. على مدى خمس مرات كل يوم، كان الخدم والنُّدُل يصلون إلى المستشفى وهم يحملون الأطباق الهائلة من مختلف أنواع الأطعمة. وأمام المستشفى كان هناك على الدوام أسطول من سيارات الكاديلاك الطويلة اللماعة، لنقل أبناء الملك وأصدقائهم وكبار الزوار إلى جوار الملك المريض. . . . كان للملك عدد لا يحصى من الزوجات والخليلات والعشيقات والجواري، أنتج منهن أكثر من مائة صبي. أما حاشيته المرافقة له حالياً فكانت تضم (فقط) زوجاته الأربع المفضلات، وأولاده المقربين، وبعض مستشاريه ومساعديه وخدمه. كان عددهم يتراوح بين السبعين والمائة. . . . ولم لا. . . فقد كان سعود يحب الترف والبذخ والحياة الباذخة أكثر من أي شيء آخر، وكادت حياته الباذخة والمتهتكة أن

تؤدي إلى إفلاس خزينة العربية السعودية، بالرغم من كل عائدات النفط الهائلة التي كانت تصبّ فيها».

وتسرح بالطبيب ذكريات ملكية لم تكن بعيدة، فيتذكر من أطلق عليها اسم «سنوى» آل سعود. فمن هي سنوى هذه؟

سنوى آل سعود هي زوجة أحد أبناء الملك سعود، كانت لا تتجاوز الرابعة والعشرين من العمر. تزوجت الأمير السعودي حين كانت في الثامنة عشرة من عمرها. أنجبت له في أول فترة زواجها صبياً كان في الوقت الذي التقت بها فيه في الثالثة من عمره. وكان فخرها كله وسعادتها كلها. في العادة، كانت سنوى تبقى في البيت حين يسافر زوجها الأمير مع الملك. أما الآن فقد أحضرها معه، لكي تعالج من ورم صغير ظهر على ذراعها اليمنى...

«بعد فحصها فحصاً دقيقاً، قلت لها: ليست هذه سوى كتلة دهنية، ويمكن إزالتها بعملية جراحية بسيطة تحت تخدير موضعي. ولكن كل نتائج التحاليل الطبيعية، وأنت في حالة صحية ممتازة»..

ردت الأميرة قائلة: لا بد أن أتحدث مع زوجي أولاً، وسيناقش الأمر معك.

وفي اليوم التالي جاءني الأمير إلى المستشفى، وكان يلبس

طقماً انكليزياً أنيقاً باهظ الثمن، وحدثني بلغة انكليزية ممتازة. حدثته عن الكتلة الدهنية وقلت له إنها قضية بسيطة ولا تدعو للقلق إطلاقاً.

• تردد الأمير قليلاً ثم سأل: وهل يمكن أن تنتقل منها اليّ؟ سمعت أن الورم سببه جرثومة يمكن أن تنتقل من شخص إلى آخر. قلت: أنها ليست معدية ولا سرطانية... وإذا كنت قلقاً فسأزيلها، بعملية سهلة، ويمكن إجراؤها دون الحاجة إلى بقاء الزوجة في المستشفى...

شكرني الأمير وذهب. في اليوم التالي حضرت الأميرة سنوى إلى مكنتي، ترافقها امرأة سمينة كانت قد رافقتها في زيارتها الأولى. كانت وصيفتها واسمها: فهدة..

ما أن دخلت المرأتان مكنتي حتى انفجرتا بالبكاء والعيول... وصرخت سنوى من بين دموعها المنحدرة على خديها: لقد طلقني!! طلقني!! وراحت تنوح وتبكي بكاءً تشنجياً لم تكن تستطيع السيطرة عليه!

«صعقني الخبر، فالتفت إلى فهدة وسألت: ماذا حدث؟ قالت فهدة: زوجها طلقها في الليلة الماضية بسبب الكتلة التي على ذراعها!!». وتابع الوصيفة الباكية: «يجب أن تعود الأميرة الآن إلى عائلتها في مصر.. أما طفلها فيبقى مع الأمير..».

وعلا نحيب الأميرة المطلقة، وصاحت: ضاع كل شيء...
ضاع كل شيء!! ولدي! حبيبي!!

غضب الطبيب وثارَت «شهامته الأميركية» وقرر أن يكلم
الأمير في الموضوع... ولكن فهدة أكدت له أن كلامه لن يجدي...
وأن الأمير مقتنع تماماً بأن الكتلة الدهنية معدية. أما الأميرة
المتحبة، حزناً على الولد، وأكثر حزناً على الإمارة المفقودة، فقد
قالت: لن يفيد الكلام... ولكن شكراً على المحاولة...

وكان من الطبيعي أن تفشل المحاولة، ليس لاقتناع الأمير
الوسيم بأن الكتلة الدهنية معدية، ولكن لأن «دور الأميرة قد
انتهى» ولا بد من إخلاء مكانها لزوجة جديدة «شرعية».

لكن محاولة الطبيب مع الأمير كشفت له عن أسرار ملكية
سعودية أعمق مما كان يتصور. يقول الطبيب:

«ما أن غادرت المراتان مكتبي حتى جمعت أوراقى وانطلقت
إلى الفندق الذي استأجر الرهط الملكي عدة طوابق فيه.. أدخلت
إلى قاعة جلوس خصصت للأمرء. كان يفوح منها جو بيوت
البغاء والمواخير ورائحتها، وكانت الموسيقى الصاخبة تنطلق من
كل زاوية، والخدم ذوو المعاطف البيضاء يروحون ويحيئون وهم
يحملون الأطباق المملوءة بالمقبلات والمسكرات، وكان الأمرء
الشباب وأصدقائهم ينادون على بعضهم البعض من خلال

الجدران، وسمعت ضحكات عالية مثيرة تأتي من الغرف، تقطعها أحياناً صيحات لذة نسائية. وكنت أرى نساءً نصف عاريات يتنقلن من غرفة إلى أخرى، وهنّ يضحكن مخمورات، يتبعهن أمراء سعوديون طالت لحاهم وانتفش شعرهم. كان الجميع سكارى «طينة»، وكان واضحاً أن حفلة العريضة قد بدأت منذ وقت طويل... وكان التجار (الأميريكيون طبعاً!) يروحون ويغدون حاملين علب المجوهرات الثمينة وحقائب الثياب. وكانت فتيات جذابات ساحرات، كلهن شقراوات، يبعن بضاعتهم أيضاً، يدخلن المقصورات الملكية ويخرجن منها بلا حياء جلست بجانب فتاة أميركية في العشرينات من عمرها، كانت متوددة بقدر ما كانت مخمورة، وكانت تحمل قاموساً عربياً-انكليزياً في يدها. ارتجفت يدها وهي ترفع الكأس إلى شفيتها وتقول «أنا ذاهبة إلى السعودية... لهذا أدرس اللغة العربية، وحالما أحصل على تأشيرة الدخول، سألحق به... سأصير أميرة!!».

نظر الطبيب إليها بحزن وألم، فقد كان يعرف تماماً أن تأشيرة الدخول لن تأتي أبداً، فالأمير غير قادر... على تأمينها... للأسف!

وحين ابتعدت الصبية الحاملة بالإمارة السعودية (ولم لا؟!) سمع الطبيب بائعين أمريكيين يتحدثان وهما يحتسيان البيرة. كانا

على موعد مع أحد الأمراء . . قال أحدهما للآخر: أخبرني مساعد مدير الفندق أن الملك أرسل أحد معاونة لمحاسب الفندق يطلب «مصرف جيب» سأل المحاسب «حاضر! وكم تريد؟» فقال معاون، دون أن يرف له جفن: مائة ألف دولار تكفي! فقال المحاسب: «نحن لا نحفظ بهذا القدر من المال في الصندوق. اذهب الى البنك عبر الشارع».

وقال الثاني بين ضحكتين: سمعت أن صاحبة أحد المحلات النسائية أحضرت حقائب مليئة بفساتين النوم لعرضها على زوجات الملك. وبعد بضع ساعات غادرت المحظوظة الفندق وحقائبها مملوءة بأوراق نقدية من فئة المائة دولار. .

وتنفس الأول الصعداء. . ثم تنهد، ثم رفع يديه وقال: أمل أن يحالفنا الحظ أيضاً. .

لم يستطع الطبيب مقابلة الأمير زوج التي كانت أميرة. . أي سنوى. . فقد قال الخدم إنه مشغول، وكان الجو ماخورياً في الجناح الملكي فعاد الطبيب أدراجه يجر أذيال الفشل. .

ولكن. من قال إن الأميرات لا يعرفن كيف يعبرن عن امتنانهن للأطباء خاصة إذا كن مطلقات؟! فالعكس هو الصحيح، لأن فهدة ذهبت في اليوم التالي إلى مكتب الطبيب وسألته إن كان يستطيع الذهاب إلى الفندق لتوديع الأميرة التي كانت. ثم أضافت الوصيصة الأمينة: نحن نعرف ما فعلت،

ونقدر ذلك تقديراً عالياً. سنوى تريد أن تراك قبل رحيلها، وهي تعد لك مفاجأة. .

ويتابع الطبيب الباحث عن المفاجآت حديثه فيقول: -

مساء ذلك اليوم التقيت بفهدة في بهو الفندق. كانت عيناها محدقتين، وكان واضحاً أنها كانت تبكي. قالت: إننا نشكرك على (قدومكم). لقد حطم الطلاق سنوى. . وفقدانها لطفلها الوحيد صدمة لن تفيق منها. .

وهكذا دخل الطبيب وفهدة المصعد لمقابلة الأميرة المطلقة والأم الحزينة على فلذة كبدها، والسيدة التي أرادت أن تشكر الطبيب بمفاجأة، من أجل ما فعل من أجلها. . عظيمة تلك المرأة حقاً. .

يتابع الأمير حديثه فيقول:

كانت حفلة العهر الملكية ما تزال على أشدها في الفندق، اجتزنا منطقة الصخب حتى وصلنا إلى الطابق المخصص لنساء الحاشية الملكية. من غريب الصدف أن الأميرة سنوى كانت تقيم في الجناح الذي يخصص عادة لرؤساء الجمهوريات، بينما فهدة تقيم في جناح صغير قريب منها.

«دخلنا الغرفة ذات الأثاث الفاخر، العابقة بروائح العطر النافذ. وماء الورد وخشب الصندل، وفي إحدى الزوايا رأيت جهاز

اسطوانات على طاولة صغيرة، بينما الورود والزهور تزين الطاولات ذات الزخارف الساحرة..» الأضواء خافتة والجو حالم، والتوقعات تزيد من ضربات القلب وخفقاته..» قدمت لي فهدة القهوة والحلويات اللذيذة، ثم همست: ستحضر سنوى بعد قليل..»

ومضى الوقت القليل، فنهضت الوصيفة المخلصة الوفية إلى جهاز الاسطوانات وأدارته. صدر عنه موسيقى شرقية ساحرة ذكرت الطبيب برمски كورساكوف... ترى هل كانت موسيقى شهرزاد...؟! ارتفع صوت دقات قلب الطبيب..

«وفجأة، ومن بين الظلال الخافتة ظهر قدّ ممشوق فتي.. لفه ثوب ساتاني شفاف، يكشف عن كل جسدها الممشوق... ويزيد سحر ما غطاه.. إن كان يغطي شيئاً.. وبدأت سنوى (التي هزها الطلاق وفقدان فلذة كبدها) رقصة ساحرة تتخللها حركات إغراء جنسية مثيرة قدر ما هي ناعمة حاملة... رقصت برشاقة وبعفوية، وبخفة وإبداع، وكأن الحركات جزء من قدّها الممشوق.. ودلاها الغنج..»

«وتسارعت وتيرة الموسيقى، فبدت (الاميرة الحزينة) وكأنها تحولت إلى درويش راقص. تلفّ حول نفسها وتدور.. وتدور، كدوار ريح عاتية، كما لو أن الموسيقى نقلتها إلى حالة هذيان

ونشوة عارمة . وفجأة انسالت الدموع من عينيها على خديها (فهي مطلقة ثكلى حزينة!!) بينما ازداد تسارع خطواتها ودوراتها، ثم عادت إلى الهدوء الراقص، أو قل الرقص الهادئ، وعادت الرقصة بطيئة حاملة، مثيرة أخاذة . . . وما أن انتهت الموسيقى، حتى بدت (الأميرة الحزينة) وكأنها ذابت في الهواء واختفت . . وعادت الأميرة المتفاعدة، بعد أن ارتدت ثوباً أكثر واقعية، ومسحت الدموع عن عينيها وخدها وهي تقول: أنت الرجل الوحيد الذي رأي أرقص . . . غير زوجي طبعاً!!» .

ولم ينس الطبيب الأميرة ولا الرقصة، فقد كان عرفاناً بجميله (وأي جميل؟!) الذي لا ينسى . .

هكذا يكون العرفان الأميري بالجميل، وإلا فلا . . وإن كان أحد ما يزال يتساءل: وأين ذهبت أموال النفط؟ . نقول: حكاية الطبيب حتى الآن مثال على أسلوب الانفاق الملكي السعودي في سبيل تطوير الأمة والبلاد .

لكن الطبيب الفضولي اكتشف أساليب انفاق أخرى لهذه الأموال فيما بعد، خاصة عندما أدخل إلى مستشفى في الرياض الأمير «يوسف»، ابن عم الملك خالد، وأحد أقرب المقربين إليه . كان يشكو من نزيف في الأمعاء، فطلب من الطبيب غري أن يضعه تحت إشرافه مباشرة . حين أبلغه الطبيب الآخر، الدكتور

كمبتون، بهذا التكليف، سأله فجأة: -

«بالمناسبة، هل فتحت حقائبك؟».

وأجاب الطبيب المذهول من السؤال: لا. لم أفعل ذلك بعد. لماذا تسأل؟

- «حسناً فعلت، لا تفتح حقائبك، وابق على امتعتك مخزومة. سيطلب منك مغادرة البلاد إذا لم يتماثل الأمير إلى الشفاء. تلك هي العادة هنا».

ولكن الأمير يوسف تماثل للشفاء لحسن الحظ، حظ الطبيب، وحظنا لكي يطلعنا على حقائق جديدة من خلال إقامته الطويلة. فقد كانت قرحة نازفة، سببها الأطعمة التي يتناولها الأمير، والتي أذهلت الطبيب حين ذكرها مريضه التقى الورع الذي كان صائماً حينذاك لان الشهر كان شهر رمضان المبارك، ولكنه أجبر المريض على تناول الأرز واللبن وحليب الماعز - بالتدريج فرضي المريض بحكم الطبيب، ثم جاء ابنه «ناصر» لشكر الدكتور غري، وليحدثه عن الخيول الأصيلة التي يملكها والده والتي تشارك في السباقات العالمية. وحين قدم الملك خالد، وولي عهده فهد لزيارة الأمير يوسف سنحت الفرصة للطبيب لكي يتعرف إليهما عن قرب:

«يشكل الإثنان معاً خلفاً قوياً للملك فيصل: فخالد،

البدوي المحافظ، يتمتع بشعبية كبيرة بين القبائل، كما أن الإيمان بقيادته هو الذي يبقى على العناصر المحافظة في المجتمع السعودي هادئة لا تقاوم المبادرات التقدمية التي تقوم بها الحكومة. أما فهد، فهو رجل عصري جداً في تفكيره، وغالباً ما يساند التغيرات في المجتمع السعودي، بما في ذلك تغيير المفاهيم الاجتماعية السائدة، خاصة بالنسبة لحرية المرأة. ولأن صحة الملك خالد غير جيدة، فإن فهد هو الذي يدير أمور الدولة، فهو يعتبر القائد الفعلي في العربية السعودية...».

وزيادة في إيضاح مدى تقدمية وعصرية فهد، وفي شرح معالم التقدم التي أدخلها على «المجتمع السعودي» يقول الطبيب الكاتب:

«تمتد الاختلافات بين الرجلين لتشمل حياتهما الشخصية: فخالد البدوي يحب صيد الصقور... أما فهد، العصري المثقف المتمدن وناسع الثقافة والمعرفة، فهو يجمع بين التقاليد الإسلامية وثقافة المجتمع الغربي. فهو يركب طائرته الخاصة ويذهب في رحلات استجمام إلى أوروبا الغربية، حيث يتمتع النفس بما يحبه من الخطايا والآثام، وهو يحبها كلها، خاصة المحرمة في العربية السعودية. وقد تحدثت الصحف الفرنسية عن الملك فقالت إنه خسر مبلغ خمسة ملايين دولار في لعب القمار في ليلة واحدة وفي نادٍ واحد للقمار على شاطئ الريفييرا... وكان يختار أقدس أيام

العام والأعياد الإسلامية ليقوم بمغامراته هذه، مما أثار عليه غضب الملك فيصل...».

بعد تماثل الأمير يوسف للشفاء تحسنت ظروف الطبيب الهارب من دفع الضرائب في أمريكا، فراح يسأل زملاءه الغربيين عن التسليلات المتوفرة في السعودية. قال له زميله فيليب، أحد الأطباء:

«اللبنانيون يقيمون حفلات عظيمة يقدمون فيها الطعام الشهي، وعرق «صديقي» والرقص بمختلف أنواعه... أما السعوديون فحفلاتهم هادئة وكرمهم كبير، والطعام جيد، والمسكرات ممنوعة...».

أصحيح هذا؟؟

نعم، ولكن «حفلة يقيمها شباب العائلة المالكة هي شيء مختلف تماماً.. فهم غالباً ما يعرضون بارات تزخر بكل أنواع الشمبانيا والويسكي الفاخر، والجن، وغيرها... فالموائد مفتوحة أمامهم، ولا يمرون أبداً عبر الحواجز الجمركية» ثم يتساءل صديقنا الطبيب: «ولم لا؟ فمن يملك هذا البلد؟!».

ولم ينتظر الطبيب طويلاً حتى يرى بعينه ما لم يصدقه حين سمعه. وبين ما سمع وما رأى مرت فترة من الزمن استطاع خلالها أن يرى الوجه الآخر من الحياة في السعودية، وجه الذين حرم

عليهم الطعام والكساء والمال، يصلون ليلهم بنهارهم يكدون بحثاً عنها. فقد سألته إحدى سكرتيرات المستشفى مرة: هل رأيت ذاك الرجل القابع خارج بابنا؟ إنه مصري، وهو وبديله يرابطان هنا صباح مساء، أربعاً وعشرين ساعة يومياً، ويناومان على تحت طفل صغير، ويأكلان في غرفة الغسيل. هل تصدق أن الزوار الأجانب في هذا البلد يخضعون لمراقبة دائمة حتى لا يدخلوا النساء أو المشروبات إلى غرفهم!! يوجد خادم من هذا النوع في كل طابق، عادة من مصر أو السودان، لأن السعوديين لا يمارسون الأعمال اليدوية الوضيعة، مثل تنظيف الغرف أو تغيير أغطية الأسرة... ولكن المصريين والسودانيين لا يغيرون الأغطية ولا ينظفون الغرف إلا إذا دفعت لهم «البقشيش...» حين وصلنا الفندق طلبت مناشف نظيفة، فقال المصري «ما فيش» وبعد أيام دفعت له خمسة ريالات، فظهرت المناشف بسحر ساحر... ربما لا يدفع لهم صاحب الفندق إلا القليل أو لا شيء!!».

وبين السمع والرؤية أيضاً، حضرت إلى عيادة الطبيب الفضولي امرأة بدوية جاءت مع زوجها من منطقة قريبة من مكة. كتب الطبيب الذي أحالها يقول إنها من قبيلة قريش، فأوراق دخول المستشفى تذكر دائماً القبيلة التي ينتمي إليها المريض...!! لم يسأل الطبيب عن سبب ذلك، ولكنه قرر فحص المريضة، فرفضت رفع الحمار عن وجهها، أما حين طلب منها أن

تخلع كل ثيابها، فقد وافقت على الفور، شريطة أن يبقى وجهها مستوراً، وقد حمد الله بعد ذلك لأنها لم تكشف عن وجهها، ولكنه استغرب من سهولة خلعها ثيابها، وإصرارها على إخفاء وجهها. لم يطل استغرابه حين أخبرته المريضة الأميركية التي كانت تساعد في فحص المريضة «أن النساء لا يمانعن في كشف أجسادهن طالما أن هوية الجسد العاري ليست معروفة وهنّ يخلعن ثيابهن بكل سرور شريطة إبقاء غطاء الوجه لإخفاء هويتهم»..

ترى هل هذه حالة النساء.. أم حالة العائلة المالكة بأسرها.. تقى في العلن وفجور ودعارة حيث لا يرى أحد؟!!

وبين الوعد بالحفلة الصاخبة وموعدها، استقبل الدكتور غري سيدتين في عيادته كانتا تشكوان من أوجاع معدية عزتاها إلى «الديدان» أو «الطفيليات». كانتا نموذجين عن نوع من الناس يحتاجون دائماً لطمأننة الطبيب. وقد كانتا تشكوان من عدة أوجاع لم يكن منها ما يدل إلى مرض معين، فتراهما وأمثالهما تشدان الرحال من عيادة إلى أخرى ومعهما التقارير وصور الأشعة التي تؤكد أنهن بألف خير.

أما المريضتان الحاليتان فكانتا تحملان رسائل من أطباء في الرياض، لا شك أنهن دفعتا مائلاً كثيراً للحصول عليها، لا شيء إلا للدخول إلى العيادة المتخصصة في مستشفى الملك فيصل،

تعبيراً عن المركز الاجتماعي ، ولتحدثنا عن هذا إلى صديقاتهما .
كانتا امرأتين شابيتين في غاية الصحة ، فخورتين بالمجموعة الهائلة
من التقارير الطبية التي جمعتها من جميع أنحاء العالم (لندن ،
باريس ، برلين ، زيورخ ، القاهرة النخ . . .) ، وكلها تثبت أن
الشابيتين في صحة ممتازة . إن ما كانتا تحتاجان إليه ، حسب رأي
الطبيب ، هو معالج نفسي ، يحدثهما عن مشاكلهما : وما هي هذه
المشاكل : يقول الطبيب إن مشاكل نساء العائلة المالكة وطبقة
المليونيرية الجدد هي : الملل والضجر ، وعدم الشعور بالأمان ،
وعدم الاكتفاء الجنسي ، والزواج غير السعيد ، والمجتمع المغلق
الذي يعيش فيه . . . ولقد كان من هؤلاء الكثيرات في
السعودية . . .

في هذه الأثناء كان الأمير «يوسف» ما يزال في المستشفى ،
ويتلقى الزيارات من كبار القوم ، وعلى رأسهم أفراد العائلة
المالكة . وحين سأل الطبيب المترجم عما كانوا يتحدثون عنه وهم
يهمسون ويضحكون ، قال كمال المترجم إن حديثهم كان حول
صحة الأمير ، وأنهم كانوا يتساءلون لماذا لم يذهب إلى لندن ،
حسب التقاليد المعتادة . وقد استنكر بعض الأمراء ، والضحك
يملاً أفواههم ، هذا الخروج على التقاليد الذي حرّمهم من
رحلاتهم إلى لندن . . . وحين تماثل الأمير يوسف للشفاء ، قويت
أواصر الصداقة بينه وبين الطبيب ، فأخبره بأنه يملك قصوراً في

الرياض وجدة والطائف والمدينة ، بمعدل قصر لكل زوجة من زوجاته الأربع . وقال إن القصور متماثلة تماماً ، وذلك من باب العدل بين الزوجات ، وحتى عدد الخدم والخادومات كان واحداً في جميع القصور . . . فالأمير واحد من الجيل الأسبق من الطبقة الممتازة التي ورثت مالاً وثروات عظيمة ، بالإضافة إلى المبالغ السنوية التي يدفعها لهم «التاج السعودي» ، لا لشيء سوى لأنهم أمراء . وقال الأمير إنه يملك أيضاً مزرعة كبيرة تبعد حوالي ثمانين كيلومتراً عن الرياض ، يربي فيها الخيول العربية الأصيلة وجمال السباق أيضاً . كما يملك كما غير محدود من العقارات والأبنية في الشمال لم يكن حتى هو يعرف قيمتها لضخامتها . أما رأس المال الذي يستخدمه في مشروعات البناء ، وكلها حكر له ، فيبلغ ٣٠٠ مليون دولار سنوياً ، تدر عليه أرباحاً سنوية تصل إلى ٦٠ مليون دولار .

وسأل الطبيب الهارب من الضرائب الأميركية :

«وطبعاً هذه الأرباح معفية من الضرائب؟» .

«نعم . . .» قالها الأمير بصبر «فالمواطن العربي السعودي لا

يدفع ضريبة دخل ، فهذا ضد تقاليدنا!!»

لم يتساءل الطبيب كم كان الحاجب المصري سيدفع ضريبة

على الريالات الخمسة التي رسته بها ليغير لها القوط .!!

وعندما شكى الطبيب من إرتفاع الضرائب في أمريكا اقترح

الأمير عليه أن تعتنق الحكومة الأميركية الإسلام، فتلغي ضريبة الدخل...!! وعندما قال له إن الحكومة الأميركية تنفق تلك الضرائب على مساعدة الفقراء، وهذا من «أوامر الدين الاسلامي، على ما أعتقد!!» تدخل سليم، أحد الأبناء الذين وصلوا لتوهم، وأنقذ والده من ورطة وخيمة قائلاً: الضرائب في الولايات المتحدة تستخدم لأغراض كثيرة أخرى، ومعظمها يذهب هدرًا!!

لكن الطبيب لم يسكت، فسأل: ولكن هناك أعداد كبيرة من الفقراء في السعودية، فماذا تفعل الحكومة من أجلهم؟؟

جواب سليم لم يكن له علاقة بالفقراء مطلقاً، بل بما يجنيه والده، فقال:

«ستنفق حكومتنا ١٤٠ بليون دولار خلال الأعوام الخمسة القادمة على تطوير البلاد، وستنفق منها ٣٠ بليون دولار على بناء البيوت والطرق والمدارس والمستشفيات وتحديث المدن، الأمير والد سليم يعمل في مجال الإعمار، وقد حسب سليم بذلك حصة والده من الخطة الخمسية»..

هذه الأموال ستأتينا من النفط، ولا حاجة بنا لدفع الضرائب.. ثم أضاف «وكل مواطن سعودي يستطيع اقتراض الأموال من الحكومة لبناء البيوت والطرق».. ربما كان والده،

رغم ثروته، يقترض من الحكومة، بلا فائدة طبعاً، المبالغ التي كان يستخدمها في البناء وتدرّ عليه ٦٠ مليون دولار سنوياً، وحتى هذه القروض، حين تقدم لأمثال والده، سرعان ما تحولها الحكومة إلى «هدايا»، كما قال «لأولئك الذين يعمرون البلاد، فلا تتوقع منهم إعادة تلك الأموال».

يقول الطبيب الهارب من دفع الضرائب الأميركية: -

جلست بعد هذا الحديث أحاول استيعاب كل هذه الأرقام. هذا الأمير يملك ما يدر عليه ٦٠ مليون دولار من الأرباح الصافية سنوياً، معفية من الضرائب، وبالإضافة إلى ذلك يملك ستة عشر قصراً، ومزرعة واسعة يربي فيها خيول وجمال السباق، بالإضافة إلى عدد غير محدد من العقارات والأراضي.. ومع ذلك يتلقى من التاج مبلغاً.. صغيراً بالمقارنة.. لا يتعدى المائة ألف دولار سنوياً، لا شيء سوى لأنه.. أمير!! وتابع الطبيب حديثه فقال:

سألته عن عدد الخدم، فتوقف الأمير برهة، والتفت يستشير سليم، ثم قال: ثلاثمائة يخدمون القصور والزوجات ويعتنون بالأطفال..

«وعلمت منه (من الأمير، يوسف) أيضاً أنه تزوج مرات عديدة في حياته، ورغم أنه لا يحتفظ بأكثر من أربع زوجات في وقت واحد، فقد تذكر أربعاً وثلاثين زوجة، هذا إذا لم نعد

الجواري والعشيقات اللواتي لا حصر لهن» ويضيف الطبيب: «كل ذلك حسب تعاليم القرآن وبموجب شرعه وأصوله»، والأمير فخور بأبنائه الخمسة والعشرين، لكنه لم يكن متأكداً من عدد بناته، فقدر العدد باثنتين وعشرين بنتاً.

وأخيراً حضر لزيارة الأمير ابن صغير لم يكن يتجاوز الثمانية أعوام، فلم يتذكره الأمير، ولكن سليم ساعده، فبدأ يتذكر..
آ.. نعم.. أنت عبدالله... ابن لولا أصغر زوجاته..
وآخرهن..

بعد هذا انتقل الأمير يوسف للحديث عن سبب نعمته فقال «إنه الإسلام، ولا شيء غير الإسلام»، الذي وصفه للطبيب الأمريكي قائلاً «ليس لدى عالمكم فكرة عن مدى أهمية الإسلام في حياة الناس في السعودية. وما لم تفهموا هذا، فلن تستطيعوا فهمنا ولا فهم عاداتنا... إن الإسلام في قلوبنا وعقولنا في كل لحظة من ساعات الليل والنهار.. في كل لحظة...».

وتحدث الأمير عن الطمأنينة والأمان ومحاربة اللصوص، وبالطبع الزنا، ولم يجد غضاضة في التفاخر بأحكام الإسلام هذه، فليس منها معاذ الله، ما يتطبق عليه ولا على عائلته... قال الأمير النقي: «نحن لا يمكن أن نسكت على جريمة قتل أو زنا، لذلك بيوتنا ومدننا آمنة وخالية من الجرائم، وحياتنا في أمان.. نحن

شعب بسيط قانع .. قانع جداً .. وعالج الطبيب الأمريكي .. مريضة ملكية أخرى، هي الأميرة «سلطانة» السديدي، سديدية الأب، أميركية الأم، فجمعت المجد من طرفيه .. وكانت تجمع الثقافتين .. والحضارتين معاً.

قالت له الأميرة إن إحدى المفارقات الغربية في السعودية هي أن الثروة الهائلة التي أتى بها النفط جعلت من نساء السعودية شبه سجينات ... حيث لا شيء يفعلنه سوى الملل. وانتظار العريس .. ليتنا بقينا فقراء، لكان ذلك أفضل للنساء .. إن بعض الفقراء الذين يعيشون في أكواخ الطين يعرفون قيمة الحياة أكثر منا .. إنهم يضحكون على الأقل .. إنهم هم السعداء .. الحقيقة أن النساء لا يجدن ما يعملنه في هذه البلد ... محرم عليهن قيادة السيارات، فلهن سائقون يتدللن عليهم أكثر مما يتدللن على أزواجهن .. لا نستطيع حراكاً بلا السائقين حتى صار هؤلاء أولياء مقدسين بالنسبة لنا .. !! .

«ولم لا .. والطلاق بالنسبة للرجل لا يعني شيئاً هنا .. كان لي ابن عم تزوج وطلق في شهر واحد. كانت زوجته في الخامسة عشرة من عمرها حينذاك، وذهب في رحلة طويلة بعد الزواج، وحين عاد، ذهب لزيارة إحدى زوجاته الأخريات قبل أن يزورها، فسالت دموع المسكينة، ولأنها بكت .. غضب زوجها .. فطلقها!!».

ولكن المطلقات الملكيات، على خلاف مطلقات الفقراء، لا يعانون من فاقة. والواقع أن كل واحدة من المنتسبات إلى العائلة المالكة، بالزواج أو بالقربة، تتقاضى، حسب اعتراف الأميرة سلطنة السديدي. ستين ألف ريال شهرياً من أموال الخزينة، وهي ما يسمى «الميزانية» التي تدفع لهؤلاء، وتدفع أضعافاً مضاعفة للذكور، كل حسب سنه ومنصبه ومقامه. وتقول الأميرة إن هذا الراتب الشهري يذهب إلى الآلاف المؤلفة من أفراد العائلة، ولا يستثنى من ذلك عائلة السديدي طبعاً، التي تحصل على نفس المبلغ. وحين سألتها الطبيب: من أين تأتي هذه الأموال تحديداً؟ أجابت سلطنة: وماذا يهم من أين تأتي: إن آل سعود يملكون الحكومة وكل ما فيها من أموال. فالحكومة كلها شركة ضخمة أعضاؤها من أفراد العائلة المالكة... إنها جزء من أموال السلالة السعودية التي تتقاضى مبلغاً هائلاً كل عام، كنوع من الأرباح تجنيه من هذه الشركة.

وتضيف سلطنة: كلنا نحصل على هذه المبالغ، وبعض الناس لا يعجبهم هذا. فقد بدأ الفقراء يتذمرون الآن ويقولون: ماذا فعلتم حتى تستحقوا كل هذه الأموال؟... وأنا أقول أيضاً: إن هذا ليس عدلاً، ولكن لا بد من التفكير بآل سعود... أقربائنا... ويجب أن نظهر بمظهر من يليق بذلك النسب.

وفي جلسة أخرى أثناء وجودها في المستشفى، حدثته سلطنة

عن صلة القرابة بين آل السديدي وآل سعود. حدثته عن حصة بنت أحمد السديدي التي تزوجها الملك عبد العزيز فلم تنجب له أولاداً، فطلقها، وتزوج أختها سلطنة، بينما تزوج شقيق الملك حصة. وما أن تزوجت حصة أخا عبد العزيز. حتى أنجبت له ولداً!! فجن جنون الملك، وطالب باستعادة زوجته، فطلقها الأخ المطيع وعادت فتزوجت الملك الذي أنجب له بعد ذلك خمس بنات وسبعة أولاد!!

يعني أن الملك عبد العزيز كان متزوجاً بأختين في وقت واحد..

وأولاد حصة هم الذين يطلق عليهم اسم «السبعة السديديون الكبار» ومنهم طبعاً الملك فهد، والأمير سلطان.. وحين أعرب الطبيب عن استغرابه لبقاء أختين زوجتين للملك في نفس الوقت، قالت الأميرة سلطنة: ليس ذلك فقط، بل وكان متزوجاً في نفس الوقت من إحدى بنات عمهما...

وحدثها الطبيب عن الأميرة مشعل التي قتلها العائلة المالكة بتهمة الزنى.. قالت سلطنة، التي لم تكن قد سمعت بالحادثة.. إن هذا عمل خاطيء، وعقوبته القذف بالحجارة حتى الموت، لأنه يأتي بالعار على العائلة، خاصة إذا كانت تلك العائلة هي العائلة المالكة.

وتساءل الطبيب عندها: ولماذا ترجم المرأة فقط؟! لو قتلوا كل رجل يرتكب جريمة الزنى في السعودية، لما بقي في المملكة رجل واحد.!! لماذا لا يرحمون الرجال أيضاً؟!
وتجيب سلطنة جواباً سعودياً أصيلاً: -

«لأن شرف العائلة يعتمد على المرأة... خاصة وأنها أميرة... ربما كان جدها هو الذي أصدر القرار...».

ثم حدثته سلطنة عن شيوع الشذوذ الجنسي بين الذكور وبين الإناث (اللواط والسحاق) في المدارس والمجتمعات... حتى وصل الأمر لها... فرفضت... وحدثته عن الصداقات بين البنات والشباب عن طريق الهاتف... وحدثته عن الأعداد المتزايدة من المدمنين على الخمر والمخدرات، ولكنها، كما قالت أمور تبقى في السر، لأنها محرمة... قانونياً ودينياً!!

أما سلطنة فكانت شخصياً مخطوبة، «لمحمود الدويك» الذي سيهيء له زواجه فرصة احتلال منصب رفيع في العائلة المالكة. لم يكن واحداً من أفرادها. لكنها فضلت على خطيب آخر كان أميراً، لأنها تحب الحياة البسيطة. وفي زيارة لاحقة، عرفت سلطنة الطبيب على خطيبها «محمود» الذي دعاه لحضور حفلة العرس القريبة، التي جرت في شهر إبريل الربيعي، وحضرها كبار القوم، بالإضافة إلى الطبيب الذي يصف الحفلة وكأنها من

عالم الخيال... ولم لا... فوالد العريس يجني أرباحاً سنوية تصل إلى ٤٠ مليون دولار.. من حفر الآبار الارتوازية، التي غالباً ما ينبع منها النفط بدل الماء..

ويتحدث الطبيب، قبل أن يعود إلى سيرة محمود، عن أول عيد ميلاد يمر عليه في الرياض، حين دق باب شقته، وعندما فتحه وجد أميراً بلحمه ودمه، كان أحد مرضاه في السابق. لم ينطق الأمير بحرف، بل وضع صندوقاً كبيراً عند الباب ومضى. وحين فتحه الطبيب وجده مملوءاً بزجاجات النبيذ والويسكي والفودكا، لفت للتمويه بأكياس بلاستيكية من أحد المحلات التجارية وغطيت بالصحف القديمة. يقول الطبيب: إن جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحارب تعاطي المسكرات ولكنها لا تعتدي على حرمت البيوت ولا تدخلها أبداً. (لكن الطبيب لم يعمل في منطقة الأحساء والقطيف، ولم يشاهد رجال تلك الجمعية يدهمون البيوت الآمنة، لا بحثاً عن المسكرات، فما كانوا ليجدوا من يشربها هناك، ولكن بحثاً عن مدخني السجائر في بيوتهم!! فالتدخين على أهل المنطقة الشرقية حرام، والأمراء في الرياض يحملون المسكرات الى بيوت أصدقائهم!! نعود هنا فنذكر المرأة التي لم تمنع في الكشف عن كل جسدها للطبيب شريطة أن يبقى وجهها مخفياً..).

ويتابع الطبيب المتمتع بمسكرات ليلة عيد الميلاد الملكية

قائلاً: -

«ان أفراد العائلة المالكة السعودية أكثر حرية في إظهار مشروباتهم وإطلاع الآخرين عليها من إطلاعهم على نسائهم أو ثرواتهم... وهذا ما كان حدث حين كان يدعى الطبيب إلى بيوت الأمراء... خمر كثيرة.. ولكن للرجال الأمراء فقط.

ثم دعي الطبيب لحضور مؤتمر في الظهران لمناقشة الأمراض المستوطنة في المنطقة. هناك دخل عالم آرامكو، والتقى بشخص يدعى توم، حدثه عن المنطقة وأهلها، ومن يجمع الثروات فيها ومن يبذل العرق والدماء في معاملها: -

«معظم عمالنا كانوا من الشيعة، وكما تعلم، فهم أقلية في العربية السعودية، فلا يتجاوز عددهم بضع مئات من الآلاف استقروا في هذه المنطقة وصاروا من أبناء المدن، والمزارعين والحرفيين في الهفوف وقطيف. لقد برهن الشيعة على أنهم أكثر قابلية للتأقلم مع مطلبات صناعتنا النفطية، ويقومون بالأعمال اليدوية التي كان يرفضها البدو... لقد استغرق جهدنا ثلاثين عاماً كاملة إلى أن استطعنا توظيف ٢٥٠٠٠ عربي سعودي للعمل معنا. (هنا طبعاً يقصد الطبيب بالعربي السعودي البدوي الذي كان يرفض العمل، ولا يشمل الشيعة في رقمه الذين اعتبرهم من غير السعوديين، بل «المستوطنين»، كما لم يذكر الطبيب، ولا

محدثه، لماذا كان كل هذا الإصرار على تدريب البدو(العرب السعوديين) وتوظيفهم رغم توفر بضعة مئات آلاف من الشيعة الذين يصفهم بأنهم كانوا أكثر استعداداً للتأقلم مع متطلبات العمل في آرامكو. . . لا يذكر الطبيب ولا يخبره أن هذا الإصرار جاء نتيجة قرار آل سعود باستبعاد الكفاءات الشيعية عن العمل في آرامكو، مهما كلف الأمر، والأمر ما يزال ساري المفعول الآن، حيث ترفض طلبات الشيعة للعمل في الشركة، ويطردون من أعمالهم مهما كانت الحاجة إلى اختصاصاتهم وكفاءاتهم). .

ثم يحدثه أميركي آخر، اسمه هنري، عن العدد الكبير من السعوديين الذين جمعوا ثروات طائلة، لا شيء سوى لعلاقاتهم الشخصية الوثيقة ببعض أفراد العائلة المالكة:

«إثنان من هؤلاء كانا من الأطباء، أحدهما عدنان الخاشوقجي، الذي كان والده طبيباً ومستشاراً مقرباً لابن سعود، والثاني هو غيث فرعون، الذي كان والده طبيباً ومستشاراً مقرباً جداً أيضاً للملك فيصل. كلاهما تلقيا دراستهما في الولايات المتحدة، وكلاهما كوّن ثروة هائلة من خلال نفوذ والده، وكلاهما يملك الآن امبراطوريات مالية تمتد على امتداد الكرة الأرضية. .

«وبما أن كليهما مصالح سائدة في البنوك الأميركية، فإنهما يحتكران معظم مشاريع الانشاءات في السعودية. . . غيث فرعون

يسافر على ظهر طائرته الخاصة من طراز بوينغ ٧٠٧ إلى مكاتب شركته في لندن وباريس لعقد الصفقات بالملايين . . .

«أما الخاشوقجي فهو الأكثر ولعاً بالملذات . . . وهو يملك طائرة بوينغ ٧٢٧، صممت على شكل مكاتب، لتعبر عن الثروة العربية، ربح البلايين من صفقات السلاح للسعودية، لشراء الدبابات الفرنسية، وطائرات الهليكوبتر البريطانية، والطائرات القتالية الأميركية. وحين كان في السادسة والعشرين من عمره أصبح وكيل شركة لوكهيد المعتمد. في السبعينات وصلت مبيعات لوكهيد من المعدات الحربية للسعودية إلى ألف مليون دولار سنوياً، فدفعت للخاشوقجي مائة مليون دولار مقابل «ممارسة نفوذه على الأشخاص النافذين في الحكومة السعودية». وانكشفت فضيحة أخرى فيما بعد، حين وجد أن شركة لوكهيد كانت تدفع له ٢٠٠٠٠٠٠ دولار أخرى مقابل كل طائرة يبيعها للسعودية، وذلك لدفع «التعويضات عن الرشوات السرية» وكعمولات وكيل، وسمسرة والخ . . .

وقال هنري: إن شركة نوثرروب عقدت في عام ١٩٧٥ عقداً مع سلاح الجو السعودي قيمته ألف مليون دولار، تلقى الوكيل عدنان خاشوقجي، خمسين مليون دولار عمولة على هذا العقد. إلا أن وزارة الحربية الأميركية اكتشفت أنه دفع، بالمقابل، حوالي نصف مليون دولار لضابطين برتبة جنرال (لواء) في سلاح الجو

السعودي، وحاولت التدخل في الأمر. لكن الخاشوقجي ربح المعركة في نهاية الأمر، فوصف نفسه بأنه جسر بين حضارتين وثقافتين ومفهومين أخلاقيين. وقال الخاشوقجي لوزارة الحرب الغاصبة: أنتم لا تستطيعون نقل الأخلاق الأميركية وتصديرها إلى السعودية!!».

كان هذا هو حكم عدنان الخاشوقجي على أخلاق العائلة المالكة السعودية وكبار ضباط الطيران السعوديين، وعلى قيمهم «الاسلامية». وبهذا الحكم أيضاً رتب صفقة نقل يهود الفلاشا من الحبشة إلى إسرائيل، مقابل خمسين مليون دولار لجعفر النميري أما عمولته هو فلم يكشف عنها حتى الآن. والغريب أن آل سعود، بالرغم من حكم الخاشوقجي القاطع على أخلاقهم وأمانتهم، ما يزالون يحمونه ويدافعون عنه..

وبمناسبة الحديث عن استخدام النفوذ لدى كبار أفراد العائلة المالكة، تحدث أمريكي آخر يدعى توم عن البريطاني المشهور بعبدالله فيلبي ودوره في رسو امتياز النفط على آرامكو، فقال للطبيب الأمريكي:

«لقد استأجرت آرامكو مستعرباً بريطانياً مشهوراً، هو هنري سانت جون فيلبي لاستخدام نفوذه لدى الملك ابن سعود ليمنحها امتياز النفط الأول. كان فيلبي مستشاراً للملك وصديقاً مقرباً له لسنوات طويلة».

«كنت أشاهد فيلبي يسوق سيارته الهرمة القديمة حول موقع الشركة . . . ربما دفعت له الشركة مائة دولار وقربة من لبن الماعز مقابل جهوده»!!

ويتابع الأميركي الفضولي حديثه عن الذين أثروا من خلال العلاقات الملكية، فيقول: -

-وهناك عائلة أخرى استفادت كثيراً من «أصدقاء البلاط الملكي» هي عائلة الجفلي، التي كانت تربطها صداقة قوية بالملك ابن سعود. وقد حصلت على عقود لتمديد:الكهرباء في مكة، والهاتف في جدة، وهي التي تحتكر صناعة الاسمنت في البلاد. وهي تعمل كوكيلة في السعودية لما يزيد على الثلاثمائة شركة عالمية مثل آي. بي. م. ، وفولكسواغن، وميشيلين وغيرها. يمكنكم طبعاً أن تتصوروا حجم الأرباح المنهالة عليها. .

وسأل الطبيب الذي تسبب له الضرائب الأمريكية حالة من الهستيريا: -

«أولا يدفعون ضريبة دخل»؟

«ولا ملياً واحداً!».

لا هذه العائلة تدفع الضرائب، ولا الأمير «ابراهيم»، الذي استدعى الدكتور غري لعلاج في منزله في الرياض. وحين تردد جاءه الأمر القاطع: -

«هذا طلب خاص من الملك (خالد) نفسه . اسم المريض هو الأمير ابراهيم مقرن الكبير . هل سمعت بهذا الاسم من قبل؟» .

«ربما كان واحداً من أفراد العائلة المالكة؟» .

- بل هو أحد الملكيين الأوصلاء الذين قاتلوا إلى جانب الملك ابن سعود في نجد . وهو أعظم الأمراء نفوذاً سياسياً في المملكة وربما واحد من أغناهم على الإطلاق . ربما لو أخبرتك بمقدار المال الذي يملكه لما صدقتني ..

- جربني ..

- حسناً .. هو يملك حرد وما فيها؟ ..

- ماذا تعني؟

- أعني أنه يملك مدينة حرد، فقد قدمها له الملك هدية لأنه قاتل إلى جانبه حين كان شاباً .

ضحك الطبيب وهو لا يصدق ما سمع .

- لا .. لا يمكنني أن أتصور هذا .

ضحك زميله ، وتواعدا على اللقاء للذهاب إلى الأمير . .
كان اسم ذلك الزميل هو «بارو» ، الذي تابع حديثه في الطريق إلى قصر الأمير فقال :

- هذا الأمير ثري غني إلى درجة لا يتصورها الخيال . فهو يملك ما بين ٣٥ و ٣٠ بليون (ألف مليون) دولار . لكن هذا مجرد تخمين . وأملكه ومصالحه من السعة بدرجة لا يعرف معها أحد مقدار ثروته ، وربما لن يعرف أحد ذلك إلا بعد أن يموت ويجري حصر تركته ..

«لقد برز الأمير ابراهيم في المنطقة الشرقية ، وحين تم النصر لابن سعود ، كافأه بمنحه منطقة تحيط ببوابة الأحساء ، بما فيها بلدة حرد . . . بعد عشرين عاماً ظهر أن تلك المنطقة هي مركز احتياطي النفط والغاز ، فتحول الأمير ابراهيم ، بين عشية وضحاها ، إلى ثري من أكبر أثرياء العالم . . .»

و حين اقترب الزميلان من قصر الأمير ابراهيم قرب الرياض ، لاحظ الدكتور غري وجود أكواخ طينية بالغة الفقر والبؤس ، فسأل زميله عن سكانها . أجابه بأنهم عبيد الأمير ابراهيم السابقين الذين أعتقهم عام ١٩٦٢ . لقد بدت حالة الفقر والبؤس المدقع التي تحيط بقصر الأمير وكأنها تذكرة لهؤلاء العبيد بما كانوا عليه ، فبدوا راضين بالاستمرار في خدمة الأمير بأجور لا تغني ولا تسمن من جوع . .

أدخل الأمير ابراهيم إلى المستشفى ، وطالت إقامته وبدأ الطبيب الفضولي يكتشف أشياء عجيبة : -

«بدأت أكتشف الصدوع والانقسامات الكامنة تحت سطح المظاهر التوددية في العائلة المالكة السعودية. يبدو أن أبناء الأمير كانوا يرتابون ببعضهم البعض، ويرتابون بزوجات الأمير، خاصة الزوجة الأصغر سناً بينهم التي وصفوها بأنها «مخططة جهنمية». ولاحظت أن الابنين اللذين كانا يبقيان مع والدهما للسهر على راحته هما من عمرين متفاوتين، أحدهما كبير في السن والآخر صغير، وسرعان ما علمت أنه كان يجري اختيارهما كذلك عن عمد، بحيث يمثلان أمهات مختلفات (ليس أمّاً واحدة) وفروعاً مختلفة من العائلة. وكان الإبقاء على الزوجات بعيدات عن الأمير، والمحافظة الصارمة على وجود ابنين معاً يسهران على والدهما هي الطريقة التي اتبعوها للاطمئنان على المحافظة على «الوضع الراهن» في العائلة. كان هذا حلاً سعودياً صرفاً للمسألة، وقد أثبت نجاعته وفعاليته الفائقة» .

«ولكنني شعرت بتعاطف متزايد مع الأمير، الذي وضع تحت حجر صحي تقريباً بسبب التنافسات والحزازات العائلية، ومنعت عنه زيارات زوجاته وبناته. ولقد بدا ذلك لي مصيراً قاسياً ومحزناً لرجل طاعن في السن، ومثيراً للاستغراب بالنسبة لشخص يستطيع التفاخر بأنه أغنى رجل في المملكة. لم أكن راضياً عن تلك الألاعيب الخبيثة التي كانت تلعب على مريضى، ومع ذلك شعرت بأنني عاجز عن فعل أي شيء. كل ما استطعت أن أفعله

هو أن أقدم له أفضل عناية طبية ممكنة، وأن أراقب بدقة كل ما كان يجري هناك.

«لكن المريض ضاق ذرعاً من البقاء في المستشفى، وأراد أن يعود إلى بيته. رفضت العائلة ذلك. وكان بارو، الصديق الحميم للأمير، يقضي ساعات طويلة مع أبناء الأمير، رغم ما كان يظهره من عطف عليه أثناء وجوده عنده. كان أحد هؤلاء الأبناء يدعى أحمد، أمضى أربعة أعوام في معهد المناجم في كولورادو، وكان يتكلم الانكليزية بطلاقة، وييدي قلقاً صادقاً على صحة والده.

حدث أحمد الطبيب عن والده فقال: -

«إن والدي رجل متدين يؤمن بالعقيدة الوهابية، ولا يتردد، إذا دعا الأمر، في إنزال العقاب الجسدي بنا. ولكنه يعتني بنا. . . حين ذهبت إلى الولايات المتحدة اشترى لي داراً على مساحة فدانين في أفضل موقع في المدينة، وكنت أعيش في منزل كان أكبر من منزل أي من أساتذتي»

وعلق الطبيب:

«ولكن دخلك أكبر من دخل أي منهم أيضاً».

فأجاب أحمد:

«كل أمير، أينما كان في البلاد، يقبض خمسة آلاف دولار

شهرياً بمجرد أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره، ويزيد هذا المبلغ حين يتقدم في السن... ولكن والدي هو الذي أعطاني المبلغ لأشتري به العقار...»

وقال الطبيب:

«والدك غني جداً بكل المقاييس.. هل يتقاضى راتباً من الدولة أيضاً؟».

«لا تنسى أن والدي صانع ملوك» قالها أحمد باعتراز، ثم أضاف «وهو عضو في الوزارة الملكية، ولذلك تدفع له الحكومة حوالي ٣٠٠٠٠ دولار شهرياً...».

مضى حوالي العام على وجود الأمير ابراهيم في المستشفى، وكان أحمد خلالها يحدث الطبيب عن وحدة العائلة وتماسكها ومحبة أفرادها بعضهم لبعض، وكيف أن كل هذه الفضائل كانت من عمل والده، لكن الطبيب سأله في أحد الأيام عما إذا كانت العائلة منصفة بحق والده. قال الطبيب:

«أنت تعرف أن السعوديين يفضلون الموت في بيوتهم. البدو منهم أم أفراد العائلة المالكة. ووالدك يتوق إلى العودة إلى البيت، وهو رجل طاعن في السن. وقد مضى عليه هنا أكثر من عام. هل تريدونه أن يموت في المستشفى، خارج بيته؟».

حاول أحمد أن يشرح دسائس العائلة، والسبب الذي كانت

ترغب من أجله في بقاء الأمير في المستشفى .

قال :-

«ستدفعه الزوجات إلى الجنون إذا ذهب إلى البيت . . .
وسيتخاصمن على حصصهن في الأملاك ، ولن يتمتع بلحظة سلام
وهدوء واحدة . أصغر زوجاته لا يزيد عمرها عن الخامسة
والثلاثين ، وستكون أكثرهن طلبات . إنه وضع صعب . نحن
نفعل هذا لما فيه خيره» .

ومات الأمير بعدها بأيام . يقول الكاتب الطبيب الأميركي
إن الأمير لم يترك وصية ، وبناءً عليه فقد وزعت ثروته البالغة حوالي
٣٢ ألف مليون دولار حسب القوانين الشرعية . ذهب ثمن
تركته - أي حوالي أربعة آلاف مليون دولار ، لزوجاته الأربع ،
فحصلت كل واحدة منهن على ألف مليون دولار . أما الـ ٢٨ ألف
مليون دولار المتبقية فقد وزعت بين أفراد ذريته ، فحصل كل من
الأبناء الذكور على ٩٨٠ مليون دولار ، وكل من الإناث على ٤٩٠
مليون دولار . . .

سأل الطبيب :

«كم هي نسبة ضريبة التركات هنا؟» .

وجاءه الرد المعتاد .

«إن المواطنين السعوديين لا يدفعون ضريبة تركات!!».

وقال الطبيب ولعابه يسيل :-

«وكيف أصير أنا مواطناً؟».

وزاد استغرابه أكثر من لعابه السائل حين علم أن قرشاً واحداً من هذه الثروة لم يذهب للجمعيات الخيرية. وفسّر الشاب المثقف أحمد ذلك بقوله إن القرآن يأمر بالإحسان، خاصة في شهر رمضان، فيفرض علينا تقديم وجبات الطعام والثياب أو بعض المال للمحتاجين، وأضاف قائلاً إن والده قد أدى هذه الفريضة... في رمضان الماضي...

فلماذا إذن تبذير جزء من الـ ٣٢ ألف مليون دولار على هذه الأمور العارضة؟! حتى الزكاة لا يجدي تحصيلها بدقة، حسب قول أحمد المرضي عنه من والده، أما الفراش الذي ينتظر الرشوة الأميركية له بخمس ريالات، وأما عبید والد أحمد القابعين في الأكواخ الطينية تحت أسوار قصره، يأكلون فتات موائده مقابل خدمتهم له ولعائلته، فمن الصعب تصور ردهم لو أن الطبيب الأمريكي وجه سؤاله إليهم بدلاً من أحمد... ومن يدري، ربما كانت صناديق الويسكي والفودكا التي كان الأمراء يضعونها على أبواب المساكن من الأميركيين والأوروبيين ليلة عيد الميلاد المجيد

ورأس السنة السعيد، جزءاً من صدقاتهم . . أو زكاتهم . . والله أعلم . .

ولكن لدينا من المعلومات ما يؤكد، على الأقل، أن الأمراء كانوا خيرين كرماء في تقديم الويسكي وتوابعه في الحفلات والمناسبات أكثر من كرمهم في تقديم الصدقات للفقراء . كلهم يحبون الويسكي . والشقراوات، والكل يعرف ذلك، حتى إن بوب وود وورد ذكر في كتابه الذي صدر حول التعاون الاستخباري الأمريكي - السعودي ضد كل المناضلين من أجل حریتهم في هذا العالم، أن التقارير السرية للمخابرات المركزية الأمريكية تؤكد أن الملك فهد يعاني من مشكلة إدمان على السكر تحتاج إلى معالجة طبية .

أما جو الحفلات الداعرة فقد رآه الطبيب الأمريكي بعينه، في قلب الرياض، ورأى وسمع أكابر القوم يشربون الأنخاب، ويشاهدون أفلام الدعارة، و . . يتحدثون عن قضايا العروبة والإسلام ودفاع السعودية عنها . .

يقول الطبيب :-

«التقيت بالأمير خليل أول مرة حين أتى إلى المستشفى للمعالجة، ومع مرور الأيام صرنا صديقين، ولهذا دعاني إلى بيته للاحتفال بمولد ابن له جديد . . والحقيقة أن فرح الأمير بمولد

صبي له وصل إلى حد أرسل معه ساعات من الذهب الخالص إلى كل من شارك في توليد زوجته في المستشفى . . .

«كانت غرفة الاستقبال التي بدأت فيها الحفلة مملوءة بالكراشي ذات الحفر الإيطالي الساحر، وضعت عليها وسائد كبيرة ذهبية اللون، وكانت الأرض مغطاة بالسجاجيد الصينية المتألقة، أما المرايا ذات الأطر المذهبة فكانت تعكس الأضواء المتألقة من الثريات الهائلة الحجم. أشد ما في الغرفة جذباً كان جهاز التلفزيون الضخم وشاشته الكبيرة، وأجهزة عرض أفلام الفيديو على جانبيه. لقد شغل الجهاز ثلث جدار الغرفة . . .»

«بالطبع لم يكن هناك نساء . . . استقبلنا الأمير خليل مرحباً محيياً بحرارة وقادنا إلى البار. ظننا في بادئ الأمر أنه حلم أو خيال. فقد كان البار يذخر بكل أنواع المسكرات من أفخر الأنواع وأندرها، وكان الخدم السودانيون بجلابيتهم البيضاء وعماماتهم الكبيرة يدورون على الضيوف ليقدّموا لهم ما يشتهون منها».

«مع أن المسكرات ممنوعة في السعودية، إلا أنه يبدو أنها تجد طريقها بسهولة إلى القصور الملكية. لا أحد يعرف بالضبط من أين تأتي ولا كيف تصل، ولكن يقال إنها تصل ثلاث مرات في العام من إيطاليا، معبأة بصناديق من الزنك (التوتياء) كتب عليها: «قرطاسية وأدوات مكتبية».

«وسرعان ما امتلأت الغرفة بأصدقاء الأمير وكلهم من العائلة الملكية، وكلهم متشابهون، في أثوابهم الطويلة البيضاء والعباءات المحلاة بالذهب، والأحذية السوداء الملمعة، والخطات والعقال التي كادت تحرب التناسق البديع، الذي زاد من روعته ارتفاع قاماتهم، ولحاهم وشواربهم السوداء، وغضاضة شبابهم، فقد كانوا جميعاً بين الثلاثين والأربعين من العمر، وكانوا جميعاً أبناء عمومة طبعاً».

عرفنا مضيفنا على أصدقائه: العديدون منهم، مثل الأمير خليل، كانوا نواب وزراء في دوائر الحكومة، حتى ثقافتهم كانت متطابقة تقريباً. فبعد حصولهم على شهادة الدراسة الثانوية في السعودية، التحقوا بالكلية في كاليفورنيا لمدة أربعة أعوام - أو أكثر بكثير - ثم عادوا للعمل في الوزارات. هذا هو الجيل الذي سيحكم السعودية في يوم من الأيام..

«أعربت عن دهشتي حين أعلمني الأمير أنه أنهى دراسته في الولايات المتحدة مؤخراً فقلت: أنت تبدو أكبر عمراً من ذلك...».

«ضحك خليل وقال: هو غطاء الرأس هذا الذي يجعلنا تبدو أكبر عمراً مما نحن عليه.. كم تظن عمري؟؟ ربما تعتقد أنني في الأربعين.. عمري ثلاثون عاماً فقط.. قالها وهو يكشف عن

شعره الأسود الفاحم . . .» .

«استمر خليل في التنقل بين ضيوفه، مرحباً محيياً وداعياً إلى المشروبات الروحية من كل الأصناف. خلال ذلك، عرفنا على قادم جديد اسمه سام ستارك، وهو أميركي شاب امتلاً وجهه بالنمش، يعمل في القنصيلة الأميركية في الرياض. كان عديم الجاذبية، شكلاً ولساناً، ولم يكن يعرف كلمة عربية واحدة. وبدا وكأنه لا يعرف سوى القليل عن السعودية. وتساءلت بيني وبين نفسي كيف حصل هذا المعتوه على هذه الوظيفة.

«وبدا وكأن خليل كان يقرأ أفكارى، فاقترب مني وهمس ونصف ابتسامة هادئة تعلو وجهه: إنه من وكالة المخابرات المركزية الأميركية . . .» .

«ودار الشراب مرةً أخرى، ثم أعلن الأمير خليل أن لديه شريط فيديو يجب أن يعرضه علينا. خفتت الإضاءة، بينما جلسنا في دائرة على وسائل صفت حول إحدى الشاشات الكبيرة . . . كان فلماً عائلياً يظهر ابنه الجديد.

إلا أن ما حدث بعد ذلك كان أبعد من كل توقعاتنا. كانت الساعة قد اقتربت من الحادية عشرة مساءً، ولم يكن الطعام الموعود قد وصل. وكانت أصواتنا قد بدأت تعلو وترتفع، قدر ارتفاع كمية الكحول في دماغنا وأدمغتنا التي زاد في تأثيرها خواء.

أمعائنا. هنا أعلن الأمير خليل أن لديه مفاجأة لنا. على شرف الدكتور غري وباحتفالية متناهية الوقار قاذني إلى وسادة بديعة الألوان في مواجهة شاشة الفيديو الكبيرة، أحضر خادمان سودانيان - وهما يتسلمان بخبث - شريط فيديو وأدخلاه في الجهاز، ثم شغلناه.. كانت نسخة كاملة غير منقوصة من فيلم «ديب ثروت» (الحلق العميق)».

«أصبت بصدمة عنيفة.. فأنا لم أشاهد فلم دعارة في حياتي... إنني لا أستطيع أن أصدق ما تشاهده عيناى.. هذا ما قلته لخليل الذي تسمّر على وسادته بجانبى.. لا أصدق.. لا أصدق..»

(نحن هنا نستمع إلى صوت طبيب من أمريكا البلد التي تنتج أفلام الدعارة، يتحدث إلى الأمير خليل، من العائلة المالكة في السعودية التي تحرم مشاهدة هذه الأفلام.. بقي أن نسأل: ولماذا ينتج الأميركيون هذه الأفلام إذا كانوا لا يشاهدونها؟؟).

يواصل الدكتور غري حديثه فيقول: -

«علمت فيما بعد أن السعوديين من محبي السينما المتحمسين. وأن هناك أجهزة فيديو في السعودية يتجاوز عددها بالنسبة إلى عدد السكان ما هو موجود في أي بلد آخر في العالم. وأن هناك مكبات فيديو مزدهرة تؤجر الأفلام، وتكاليف العضوية في مثل هذه

المكتبات والنوادي تصل إلى ٣٥٠ دولار شهرياً. يبلغ ثمن جهاز الفيديو ٦٠٠٠ دولار أو أكثر. الأفلام المحرمة يرسلها الطلبة السعوديون من الولايات المتحدة إلى السعودية، وهناك يجري طبعها، لأن حقوق الطبع غير موجودة في السعودية. السوق السوداء في الرياض تفتح من غروب الشمس حتى الساعة الثالثة صباحاً. ويستطيع السعودي أن يحصل على أفلام الدعارة بدون أية مواجهة شخصية مع البائع أو المؤجر. إذ تجري الصفقة عبر نافذة تعلق رأس المشتري، ولكنها قريبة من يده. وهكذا يضع المال في فتحة النافذة ويتناول الفلم في سرية تامة...».

ويتابع الطبيب الذي لم يشاهد فلم دعارة في حياته إلا في السعودية، وفي بيت أمير سعودي، فيقول: -

«مع حلول منتصف الليل انتهى فلم «الحلق العميق» فتنفست الصعداء، وكان الجميع غمورين يترنحون من نشوة ما شربوا وما رأوا. وهنا رفع نائب وزير الداخلية كأسه إلى فمه، وطلب من الحاضرين الاستماع إليه، ثم سألنا: -

«هل تعرفون الفرق بين الاشتراكية والشيوعية والفاشية والصفقاوية الجديدة، والنازية، والرأسمالية؟».

فسألناه: ما الفرق.. هات خبرنا!!

عندما تيقن أننا كلنا آذان صاغية، أخرج من جيبه ورقة

فتحها بحذر، ثم قرأ منها: -

● الاشتراكية هي: إذا كان لديك بقرتان، تعطي واحدة لجارك.

● الشيوعية هي: إذا كان لديك بقرتان، تعطيهما للحكومة، وتعطيك الحكومة بعض الحليب.

● الفاشية: إذا كان لديك بقرتان، تحتفظ بهما، وتعطي الحليب للحكومة، فتبيعك الحكومة بعضاً منه.

● الصفقاوية الجديدة: إذا كان لديك بقرتان، تطلق النار على واحدة، وتحلب الأخرى، وتصب حليبها في المجارير.

● النازية: إذا كان لديك بقرتان، تطلق الحكومة النار عليك وتحتفظ هي بالبقرتين.

● الرأسمالية: إذا كان لديك بقرتان، تباع إحداهما وتشتري ثوراً..

وهنا سأله أحد الحاضرين بعد خفوت الضحكات: -

«ولكن ماذا عن السعودية.. ما الذي يجري فيها؟».

فأجاب واحد غير معاون وزير الداخلية: -

«في السعودية: إذا كان لديك بقرتان تعطيك الحكومة بعض

المال لشراء عدد إضافي من الأبقار، ولا تأخذ منك فائدة، ولا تتوقع منك أن تعيد المال نفسه. عندئذ تباع البقرات، وتشتري مزرعة، وتعطيك الحكومة مبلغاً إضافياً من المال لتطوير المزرعة، فتأخذ أنت هذا المال وتشتري مزرعة أخرى». لم يكن هذا رد نائب وزير الداخلية، وإنما كلام أحد أبناء عم الأمير.

وتساءل الطبيب في سره طبعاً، ترى إن كان الأمر كذلك، فلماذا يصبر الناس على العيش في الأكواخ الطينية تحت سور الأمير؟! لكن رأى نفسه يشرب كأساً أخرى قبل أن يتساءل قائلاً: -

«إني لمندهش حقاً من التناقضات في هذا البلد...».

وقاطعه الأمير خليل قائلاً: -

«إن دعائم هذا البلد مبنية على الإسلام... فهذا ما يبقي علينا متحدين. فالدين والعائلة هما حصن الإسلام الحصين الذي سيدافع عنا ويدفع عنا: الفساد والانغراق في ملذات الحياة الدنيا».

ابتسم الطبيب، ولم يصدق أذنيه وهو يسمع كلمات الأمير، فينظر إلى الكأس في يده ويتذكر شريط الفيديو... وينظر حوله...

لكن أحد نواب الوزراء من الحاضرين لاحظ نظرة الدهشة

السكرانة على وجه الدكتور غري، فاستدرك قائلاً: -

«الواقع أن لدينا الكثير من الفساد يعم بيتنا حالياً، وأستطيع أن أقدم لك بعض الأمثلة...».

قبل أن يتلفظ بكلمة أخرى قاطعه خليل قائلاً

«ستندم على كلامك... قل: إني أعتذر!! أعتذر!!» كان خليل يصيح محتداً وهو يلوح بإصبعه تجاه نائب الوزير، ثم تابع.
«لا تحكم على كل البلد بسبب طمع البعض وشرهم. هؤلاء يجب أن يزج بهم في السجن».

هنا تدخل نائب وزير العدل وقال: -

«بعضهم في السجن فعلاً، بمن فيهم بعض أفراد العائلة المالكة - من الشباب الطائشين طبعاً».

فتدخل الطبيب لتهدئة الأحوال، خاصة وأن مندوب وكالة المخابرات المركزية الأميركية كان يتابع الحديث باهتمام:

«كل عائلة ولها بالوعة... وعالمنا الغربي أيضاً لا يخلو من الفساد...»

بالطبع لم يقل الطبيب الأميركي إنه يعتبر من حوله فاسدين أو مفسدين، ولا شرهين طائشين يستحقون دخول السجن.

وسأل أحد الأميركيين الموجودين في الحفل الساهر: -

«إلى متى يستطيع المجتمع الاسلامي المتمسك بدينه، أقصد المذهب الوهابي، أن يصمد أمام هجوم التكنولوجيا الغربية ونمط التفكير الغربي؟ خاصة وأن عدداً كبيراً من شبابكم يدرسون في الولايات المتحدة والبلدان الأخرى؟».

قفز نائب وزير الداخلية إلى الجواب قبل غيره: -

«مع تعليم أجيالنا وأطفالنا وتثقيفهم. هنا وفي الخارج، قد يخسر المتطرفون (الأصوليون) بعض نفوذهم. إن التغيير السريع للظروف سيسبب مشاكل وحزازات بين القديم والجديد، ولكن ربما يستغرق الأمر جيلاً حتى تتمكن الثورة المادية الحالية من قهر القديم وإحداث تغيير اجتماعي».

ولكن الأمير خليل أعلن عن معارضة قوية لهذا الرأي:-

«أنا لا أوافق على ذلك... فالوهابيون متعصبون في معتقداتهم الدينية، ولن يستسلموا بدون قتال. بل إنهم أقوى الآن مما كانوا عليه في أي وقت مضى، والملك يؤيدهم. إن لمملكنا روابط قوية بالوهابيين تعود إلى مائتي عام مضت. وهم يعارضون بشدة تهديم التقاليد الاسلامية، وتحديث البلاد، وتدمير الإرث الثقافي، لكنهم موالون للملك، وهو موال مخلص لهم. أشك في أن يطرأ أي تغيير على علاقتهم ببعضهما في المستقبل

القريب . ولا تنسوا أن عمق جذورنا هو ألف عام أو تزيد» .

قرر فيليب أن الوقت قد حان ليدلي بدلوه، فقال بلهجته البريطانية العريقة: ما مدى استقرار الملكية هنا؟ هل ستطالب الطبقة الوسطى المتنامية، والطلبة الذين تلقوا علومهم في الخارج بالقيام بدور في تسيير الحكم والحكومة؟

اشتد غضب خليل من هذا السؤال - وانعطفت مطأطئة إلى الوراء ثم إلى الأمام - وصاح وعيناه تومضان غضباً: -

«أنتم في الغرب تتحدثون عن الملكية من خلفيتكم أنتم بدون محاولة فهم الطبيعة الإسلامية لحكومتنا. كل المسلمين متساوون بغض النظر عن أصلهم أو لونهم أو وضعهم الاقتصادي (ربما كان هنا يقدم مثلاً على المساواة الاسلا - سعودية بين من في داخل قصر الأمير ابراهيم ومن يعيش في أكواخ الطين خارجه) . أن عائلتنا المالكة هي دائماً في متناول أفقر البدو، في المجلس (ولم لا: فحتى الكونترا عملاء أمريكا، والذين نصبوا القبلة للشيخ فضل الله في لبنان فقتلت ثمانين امرأة وطفلاً بريئاً، هم متساوون أيضاً مع المسلمين في الحقوق كلها، إلا المألة طبعاً، فالكونترا وقتلة الأطفال يتقاضون علاوات أكبر، والحمد الله) . . . نحن على صلة يومية بعامة الشعب، ونتعاطف معه . . .» .

يستأنف الطبيب حديثه فيقول:

«حاولت إنهاء هذا الجدل بأن أخبرت المستمعين . عن مدى تأثري حين رأيت أحد البدو يحدث الملك بسهولة . ولكن خليل أوقفني . . فقد كان لديه الكثير من يقوله . . قال خليل : إن المشاعر الدينية العميقة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياتنا السياسية والاجتماعية بطريقة يصعب عليكم أنتم الغربيين أن تفهموها . (ربما كان مخطئاً هنا : فلا بد أنهم فهموها ، على الأقل من خلال حفلة السكر والدعارة التي أقامها لهم تلك الليلة!) إن عائلة آل سعود توفر للمملكة الترابط والتماسك الديني والاجتماعي والسياسي . . . ستبقى الحكومة الملكية ثابتة مستقرة (بشهادة مندوب المخابرات المركزية الأميركية الذي كان حاضراً) لأنه لا فصل بين المسجد والدولة (وأكبر دليل على ذلك اجتماع الاثنين في شخص خليل ومن خلال حفلته شديدة التمسك بتعاليم الاسلام) . . . فالدين والدولة شيء واحد : بل إن الاسلام (السعو-أميريكي) هو الدولة .

وقدم الأمير المتحمس مقارنة بين السعودية وإيران - الشاه فقال «إن الملك في السعودية هو الرئيس الشرفي للجالية الدينية (المجتمع الديني) . والعائلة المالكة تنحدر من أصول بدوية ، لهذا فهي تنفق على البدو بسخاء (وماذا عن المساواة بين كل المسلمين!!؟) . والملك وولي العهد لا يتباهيان بثروتهما داخل هذا البلد ، ولا يبددانها (ولم يتمالك غري أن يعلق قائلاً : ولكنهما

يفعلان ذلك حين يكونان خارج البلد!!).

ويضيف خليل :-

«لا يوجد عرش طاووسي في الرياض.. ولا أحد هنا يتباهى
ويتفاخر بصلف شاه إيران وتكبره..».

ثم أعلن الأمير خليل بكل الصدق الملكي السعودي أنه! -

«لا يوجد سجناء سياسيون في السعودية، ونحن لا نعدم ولا
نغتال المعارضين السياسيين (رحمة الله عليك يا ناصر السعيد،
وعليكم يا شهداء المنطقة الشرقية وكل ضحايا السجون
الخفية!!).. نحن في معظمنا من المسلمين السنة (أي: الموالين
لأمريكا والغرب!!).. إن بلدنا هو وطن الاسلام (صحيح: قبل
أن تحكموه!!).. أما الإيرانيون، فمن الشيعة، ونحن نعتبرهم
هراطقة منافقين (صحيح: كفاهم شرفاً أنك تعتبرهم منافقين يا
سمو الأمير.. فهذا أكبر دليل على صفاء عقيدتهم.. أو لم تسمع
ما قاله الشاعر (البدوي) جداً حين قال :-

وإذا أتتك مذمتي من (عاهر)

فهي الشهادة لي بأني كامل!!

وتابع الأمير الوسيم قائلاً :-

«وكما ترون، فإننا نختلف اختلافاً تاماً عن إيران، فالشاه
وعائلته ضائعون بين ٣٨ مليون، أما نحن في السعودية فلا يتجاوز

عددنا ٦ أو ٧ مليون، أي بعدد سكان شيكاغو. . وإن أربعة آلاف أمير بينهم يستطيعون التواصل معهم عن قرب وبسهولة. . .»

وسأله الطبيب المذهول مرّة أخرى: -

«هل سيكون لكم يوماً ما مجتمع حر مفتوح بالمفهوم الغربي؟؟ فأنتم اليوم ليس لديكم انتخابات ولا أحزاب سياسية ولا دستور ولا جهاز تشريعي. . .»

وافق الأمير على هذا الكلام، ولكن معاون وزير الداخلية، علق قائلاً «ومع ذلك فحكومتنا ثابتة مستقرة، وهي كذلك منذ خمسين عاماً. فشعبنا كان أمياً وليس قادراً على استيعاب المسؤولية التشريعية (إذن وماذا عن الاسلام يا سعادة نائب الوزير!!) وكوننا لا نملك مجلساً نيابياً لا يعني بالضرورة أن نظامنا فوضوي (كلا: بل تُسير المخابرات المركزية كل الأمور بانتظام، خاصة وزارة الداخلية التي كان محدثنا نائباً لوزيرها!). ولدينا مشروع رعاية اجتماعية للمسنين، لا يعترف بهم كمؤسسة لكن يقدم لهم المعونات ويخفض من قيمة فواتير الماء والكهرباء والطعام التي يدفعونها».

واقترح الطبيب الحديث مرّة ثانية بنكتة كان قد سمعها من قبل فقال: -

«بمناسبة الحديث عن الديمقراطية، تذكرت قصة سمعتها

عن الملك فيصل: فقد سأله أحدهم: متى سيعطى الرجال حق التصويت والانتخاب في السعودية؟ فأجاب: حين يعطى للنساء!! ..

أليسيت هذه المقولة أسلوباً آخر لقول كلمة: لن يقع ذلك أبداً..؟

كان المجيب على السؤال هذه المرة، ليس الأمير خليل، ولكن نائب وزير التربية والتعليم.. قال:

«الزمن وحده كفيل بالإجابة على سؤالك!» فأنتهى الحوار، وعاد الجميع إلى الأنخاب.. كانت الساعة قد قاربت الواحدة بعد منتصف الليل، وكان بعض الضيوف قد انسبلاً هارباً، إلا الطبيب السائل، وممثل وكالة المخابرات، وبعض الأصدقاء المقربين. سأل فيليب وهو ينظف حلقه: -

لماذا لا يسمح بإقامة شعائر دينية في هذا البلد سوى الشعائر الإسلامية؟

لم يكن السائل يدري أنه حتى الشعائر الإسلامية التي لا تروق للعائلة المالكة ممنوعة محرمة، وتنهى الأمير خليل تنهدة استياء عميقة، فأسرع معاون وزير العدل إلى الإجابة الغاضبة:

«لأننا بلد مسلم، والإسلام هو الدين الرسمي الوحيد المعترف به. عليك أن تفهم أن أي دين آخر غير الإسلام هو دين

«غير دستوري» حسب المفهوم الغربي، لأن القرآن هو دستورنا الوحيد (والدليل على ذلك ما كان نائب الوزير يفعله وهو يتحدث، فقد أفرغ كأسه في حلقه دفعة واحدة!).

همس ممثل وكالة المخابرات المركزية في أذن الطبيب قائلاً «إن القنصيلة الأميركية في جدة تقيم احتفالاً دينياً بروتستنتياً - كاثوليكياً مشتركاً كل يوم. أحد، فهمس له هو الآخر قائلاً: إن شركة آرامكو تقيم قداساً حاشداً كل يوم جمعة!! وأن السعوديين على علم بذلك، ولكنهم لا يتدخلون! (الطبيب غلطان: هم يتدخلون، لا لعرقلة الطقوس المسيحية، ولكن لتحريم إقامة الشعائر الإسلامية نفسها إذا كانت من النوع الذي لا يرضي آل سعود!).

وقرر الطبيب أن يسأل سؤالاً بالغ الحساسية، ويده على قلبه من الخوف: -

«وماذا عن المسألة اليهودية؟»، وأضاف أنه يعلم أن السعودية لا تعترف حتى بوجود إسرائيل، ولكنه تبين مدى خطئه الفاضح حين سمع الجواب الهاديء المطمئن من معاون وزير الإعلام الذي قال: -

«إننا معادون للصهيونية، وليس لليهودية. نحن العرب نعترف بكل الأديان التوحيدية، وليس هناك ما هو ضد اليهود

واليهودية في القرآن (وهكذا صار نائب الوزير فقيها!!) حتى ان الملك خالد نفسه اعترف أخيراً بحق إسرائيل في الوجود (هذا صحيح!!) وهناك عدد من رجال الأعمال اليهود يعملون في السعودية (أي : مع العائلة المالكة طبعاً) ويقدمون الاستشارات لنا (والمحدث هو معاون وزير الإعلام وأحد الأمراء السعوديين!!).
ويواصل حديثه قائلاً : -

«كان الملك فيصل معادياً لدوداً للشيوعية . وهو لم يعارض الصهيونية إلا لأنه كان يخشى من مؤامرة شيوعية - صهيونية مشتركة (هذا الكلام فيه جور على فيصل : الذي وضع روسيا وأمريكا وبريطانيا في نفس الكفة كأعداء للأمة العربية يعاونون الصهيونية!) فخوفنا الرئيسي هو من الشيوعية ، لا من الصهيونية!! إن السعودية لا تعارض اليهود كيهود، لكننا نعارض إسرائيل بسبب المسألة الفلسطينية، ولأننا... عضو في الجامعة العربية، ونتمسك بالوحدة العربية (والدليل على ذلك المؤامرات الملكية السعودية ضد اليمن وليبيا والجزائر ولبنان، كما سيترف الأمراء بعد قليل) ..

وأدلى نائب وزير الخارجية بدلوه فقال :

«ان روسيا السوفيتية، وليس إسرائيل هي عدوتنا الرئيسية (لماذا؟ وماذا عن أمريكا؟) ولقد قدمنا آلاف الملايين من

الدولارات للبلدان التي تناهض الشيوعية (ولكن ليس للتي تعارض، إسرائيل طبعاً). والحقيقة أن الثمن الذي طلبه الملك فيصل من مصر مقابل دعمها في حرب أكتوبر ضد إسرائيل هو أن يطرد السادات السوفيت وينهي علاقته بهم».

-قدمنا لمصر ١١ ألف مليون دولار منذ عام ١٩٧٣ (أي: ثلث ما خلفه الأمير ابراهيم لزوجاته وأولاده!!)، وكنا العامل الرئيسي في طرد الخبراء العسكريين السوفيت من مصر. ونحن الآن نقدم لمصر ألفي مليون دولار سنوياً، ولا نعرف ماذا سيحدث بهذه الأموال (ربما تذهب لآل الريان الذين تعلموا حرفتهم في السعودية وطوروها في مصر)... هؤلاء المصريون... عجيب أمرهم... كلما زاد عطاؤنا لهم زادت مطالبهم... إن شعب مصر يزداد عدداً وفقراً يوماً عن يوم..

-ثم إننا ندعم اليمن الشمالي بالأموال (لمقاتلة اليمن الجنوبي طبعاً) ونقدم له آلاف الملايين لكي نحافظ على استقلاله عن حكومة اليمن الجنوبي الماركسية. ونحن لا نريد للقوى الاسلامية أن تكسب المعركة في لبنان، لذلك دعمنا اليمين المسيحي، وحق اللبنانيين المسيحيين في تحطيم العناصر الاسلامية المتطرفة هناك (لا يذكر هنا أن السعودية حطمت المقاومة الفلسطينية في لبنان بالإضافة إلى القوى الاسلامية، وأن التعاون في هذا المجال بين أمريكا والسعودية كان على أشده. ربما اعتبر أن ضيوفه يعرفون

ذلك تماماً) . . .

- كان واضحاً تماماً أن السعوديين غاضبون جداً من علاقات ليبيا والعراق بالاتحاد السوفياتي . وهم يشكون بالفلسطينيين ولا يثقون بهم (ويخرجونهم من لبنان) بسبب ميولهم المتطرفة (ضد أمريكا وإسرائيل) . . لكنهم يقدمون لهم الدعم المالي لإبعادهم عن الشيوعيين (وليس لتحرير فلسطين أو إزعاج حليفها أمريكا!!). قال الأمراء الحاضرون إن السياسة الخارجية للسعودية هي معاداة الشيوعية ومحاربتها أينما كان في الشرق الأوسط (بل وفي إيطاليا ونيكاراغوا، حسب تقارير المخابرات المركزية الأميركية التي نشرها وود وورد في كتابه المذكور سابقاً) . . وما ذلك إلا لمنع قيام الحركات الثورية في المنطقة، ومهما كلف الأمر.

. فسأل الطبيب :

- هل هناك احتمال، أن تكون السعودية البادئة، كما فعلت مصر، في حوار مع إسرائيل في المستقبل، وذلك للمساعدة على حفظ الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط ولتدعيم عملية مناهضة الشيوعية؟

فأجاب نائب وزير الخارجية :

«عندما تحل القضية الفلسطينية، وتحصل النساء على حق

التصويت والانتخاب في السعودية!!».

قالها معاون الوزير وأفرغ كأساً أخرى من الويسكي في
حلقة ..

وجاء الطعام، فقطع حبل الكلام، وأحل السلام وامتدت
الأيدي إلى أطباق الأرز المغطى بلحم الحملان، والممزوج بالجوز
واللوز والزبيب، والمطوق بالفرايج المشوية والبيض والطماطم
والخيار والبصل. وتبعته أطباق الكباب والكبسة والفراخ الممزوجة
بالتوم والبصل والجزر والطماطم وقطع البرتقال. . . وجاء بعدها
الخبوخ والمشمس والبطيخ، ثم أطباق التمر المحشو بالجوز واللوز
وبعدها العنب والتين والرمان. . من أجود ما تجود بها بساتين
الطائف ولبنان. . وعندما وقعت عين خاروف بيد الطبيب،
«زلطها» دفعة واحدة وشرب وراءها كأساً من الخمر

وانتهى الحديث والطعام والشراب، ليدخل الجميع، وينتقل
بمحدثنا الفضولي إلى حكاية أخرى. . .

قال محدثنا: -

- سأحدثكم عن مدى ما تشعر النساء به من الضجر في هذه
البلاد. بعيد وصولي إلى الرياض بوقت قصير، اتصل بي عامل
مقسم الهاتف في الساعة الخامسة من بعد ظهر أحد الأيام وقال إن
الأميرة فاطمة اتصلت به هاتفياً وسألت إن كان بإمكانني أن أحضر

إلى فندق الانتركونتيننتال لمعالجتها من صداع حاد. كان فندقها على طريق فندقى، فحملت حقيقتي الطبية، واستقلت باص المستشفى إلى فندق الانتركونتيننتال، فلم أكن أعرف في ذلك الحين أن الزيارات الطبية الخارجية ممنوعة بموجب لوائح المستشفى.

- حين وصلت إلى الفندق وجدت امرأتين شابتين جميلتين، كلاهما في الثلاثين من العمر، ترتديان ثياباً ملونة جميلة. كانت المرأة المصابة «بالصداع الحاد» جالسة على ديوان استرخاء تقرأ إحدى المجلات. أما المرأة الثانية فكانت أختها. كانت كلاهما تعيشان في المنطقة الشرقية، وزوجتين لأmirين كبيرين من أمراء العائلة المالكة، عرفت اسميهما على الفور. قالتا لي إنهما في زيارة لعائلتهما في الرياض، ولم تكونا ترتديان الخمار.

- قست ضغط الأميرة فاطمة، السيدة الشابة المتكئة على الديوان، وفحصت عينيها وردودها الانعكاسية. كان كل شيء طبيعياً تماماً. عندها اقتربت أختها مني وقالت إنها هي الأخرى تعاني من صداع. فهل أسمح بقياس ضغطها؟ ومرة أخرى، وجدت كل شيء طبيعياً، فأطلقت تنهدة مسرحية. بعد عدة دقائق سمعت نقراً على الباب، ودخلت إحدى بنات عمهما. كانت مغطاة الوجه وترتدي العباءة الطويلة السوداء، وتحتها فستان جميل. كانت أكبر سناً وأكثر سمناً من السيدتين الأخرتين. وكان زوجها، وهو أمير أيضاً، أحد مرضاي. رفعت الخمار عن وجهها

وانضمت إلى المجموعة. وبينما كنت أعيد أدوات الفحص إلى حقيتي قالت أنها هي الأخرى تعاني من الصداع أحياناً وسألت إن كان بإمكانها أن أقيس ضغطها. ولعت خواتمها في الضوء الخافت حين كشفت عن ذراعها.

خطر لي فجأة أن هذا الصداع لم يكن إلا حجة، فقد كانت هؤلاء النسوة الشابات ضجرات وكن يردن أن يتحدثن إلى شخص جديد، كأن يكون طبيباً أميريكياً مثلاً، لا يفسر الحديث معه على أنه خرق للتقاليد الإسلامية. بعد أن أكدت لهن أنهن بألف خير وأنه لا داعي للقلق مطلقاً، دعوني إلى تناول الشاي. ونادين على خدمهن حتى قبل أن أعلن موافقتي على الدعوة.

أثناء تناول الشاي، سألني مرة أخرى عن سبب صداعهن. نظرت حولي، إلى فخامة جناحهن، وإلى الثياب الجميلة الملقاة على أسرتهن، والمجوهرات على الطاولات، ومجلات آخر الأزياء على الأرض، ثم قلت:

«إنه الملل والضجر.. فليس لديكن ما تفعلنه».

«وماذا نستطيع أن نفعل؟ ماذا نعمل؟».

«إننا بحاجة إلى مترجمات في المستشفى.. لماذا لا تعملن كمتطوعات؟».

«متى تبدأ العمل في المستشفى؟».

«في الساعة الثامنة صباحاً!».

- لكننا لا نهض من الفراش قبل الظهر.

كنت أعرف جيداً أنه لن يسمح لهن بالعمل في المستشفى . . . فمكان المرأة في البيت . . وواجب المرأة هو أن تريح زوجها وعائلتها . . وليس أن ترضي نفسها . . .

وماذا بعد الملل والضجر في حياة الأميرات زوجات الأمراء؟

هذا ما تكشف عنه حكاية الطبيب الأخيرة . . ولكنه يحكي لنا، قبلها، حكاية الأمراء الذي يملون . . من زوجاتهم . .

يقول الدكتور غري : -

«حين لبیت دعوة زميلي الدكتور كمبتون وذهبت إلى مكتبه عرفني على امرأة شابة، ممشوقة القد، شقراء اللون، زرقاء العينين، حمراء الشعر. كان اسمها مادلين يامين. كانت في الثالثة والعشرين من العمر، وقد اكملت دراستها في كلية الطب في بلجيكا. لكنها لن تمنح الدكتوراه في الطب إلا بعد قضاء عام واحد في التمرين تحت إشراف طبيب اختصاصي. قال الدكتور كمبتون إن والدها رجل أعمال، وأن مادلين أمضت معظم اعوامها في المغرب والشرق الأوسط. . وقالت هي أنها تتكلم العربية والفرنسية وبعض الانكليزية. وحين حذرته سكرتيرة الدكتور

كمبتون بأن من الخطر عليها أن تخرج إلى الشارع بثوب قصير وذراعين مكشوفتين، أجبته ببساطة: وماذا أعمل؟ الطقس حار جداً هنا!!».

وهكذا وضعت مادلين تحت إشراف الدكتور غري، وأوكل إليها معالجة بعض النسوة في المستشفى، وبدأت تعمل معه في عيادته.

- وانتشرت الحكايات في المستشفى بسرعة، تقول إنني على علاقة بسيدة شابه، وأنها أوروبية أيضاً. والحقيقة أن علاقتنا كانت علاقة صداقة وعمل، بل وعلاقة أب بابنته. فسخرنا من الأقاويل ولم نعرها أي انتباه.

- لكن السعوديين كانوا ينظرون إلى مادلين من زاوية مختلفة أكثر تحدياً. إن امرأة لها شعر أحمر وعينان زرقاوان هي قطع نادر في هذه البلاد، وستكون حتماً محط مزاحات جامية الوطيس. كان أول طالبني التقرب منها مدير فندق اليمامة المهترى، حيث كنت أقيم. كنت قد شكوت إلى ذلك المدير عدة مرات من حقارة غرفتي التي كان حرها لا يطاق لأن جهاز التكييف كان معطلاً. في بادئ الأمر قال إنهم أوقفوه لأنه (جهاز التكييف) لم يكن ضرورياً في ذلك الجناح من الفندق الذي كنت فيه. وفي المرة الثانية قال إنه قيد التصليح، وفي المرة الثالثة قال إنه لا أمل في إصلاحه، وأنه لا

توجد أية غرفة أخرى متوفرة. وفي إحدى الأمسيات استدعاني إلى مكتبه وطلب مني الجلوس وقدم لي سيجارة فرفضتها شاكراً وقلت انني لا أدخن السجائر.

- اقرب مني. وقال هامساً: ربما سيكون بإمكانني أن أؤمن لك غرفة مكيفة الهواء.. تلك الغرف قليلة نادرة؛ ولكنني سأحاول...

- كان قد درس في المعهد الفندقية في كورنيل، وكانت لغته الانكليزية ممتازة.. وقال وما يزال يهمس: أن الأمر يعتمد عليك..

- وماذا تعني؟

أطفاً المدير لفافته ونهض واقفاً:

- تلك الطيبة الشابة التي تعمل معك في المستشفى... أود الاجتماع بها.. هل تستطيع ترتيب ذلك؟

- قلت له: ان حياتها الاجتماعية من شأنها.. ثم إنك متزوج. وأنا أعرف أطفالك.

- وما الفرق؟ فصديقتك ليست مسلمة، وليس هناك من مشكلة إذن! الغرفة التي اخترتها لك بديعة.. والأمر متروك لك..

- شكرته وقلت إنه ما باليد حيلة ، فظهر الاستياء على وجهه ،
ثم قال : ربما غيرت رأيك بعد فترة من الزمن . .

ويضيف الطيب قائلاً :

«ولكني لم أغير رأيي ، ولم أحصل على الغرفة المكندشة!!» .

ويتابع قائلاً : -

«بعد ذلك جاء دور رئيس النادلين في فندق
الانتركونتيننتال . . . ذهبت مساء أحد الأيام إلى هناك مع صديقي
رون لامبري . فلم تكن زوجتانا قد وصلتا بعد ، وكنا قد قررنا أن
نمتع النفس بوجبة شهية في مطعم أنيق ، هو أفضل ما في
الرياض . .

اقترب مني رئيس النادلين وقال : اسمح لي بأن أختار
وجبتك . . . وكانت وجبة رائعة حوت كل ما لذ وطاب ، حتى
الفريز كان من فرنسا ، وقدم لنا «شمبانيا» خالية من الكحول ، مع
كل طقوس الشمبانيا الكحولية . . .

- همس رون : انتظر حتى ترى الفاتورة!! فلا يستطيع تناول
الطعام هنا سوى الأمراء ومن معهم أموال الأمراء . .

«ناديت على الرئيس وهنأته على الوجبة ، ثم طلبت
الفاتورة» .

- الوجبة مجانية، مع تمنياتي لكم ..

- صعقني الخبر، وزاد من سعادتي حقاً فقال الرئيس: أنا سعيد لأنها أعجبتك... آمل أن تحضر معك الطيبة حمراء الشعر لتتناول وجبة عشاء هنا، ضيفة عليّ، فإنني أتوق للاجتماع بها...

- أطلقت كلمات متلعثمة غير واعدة، ثم شكرته. وحين كنا نغادر المطعم. لاحظت أنه لم يكن يوجد فيه سوى امرأة واحدة في قاعة الطعام الكبيرة المملوءة بالضيوف. كانت تتناول وجبة مع أميركي، افترضت أنه زوجها. تذكرت أن الرجال في العربية السعودية لا يرافقون زوجاتهم في المحلات العامة أبداً. لكن هذا لا ينطبق على النساء الأجنبية غير المسلمات اللواتي يعاملهن الرجال السعوديون بالأسلوب الذي يروق لهم.

- حدثت مادلين عن كل الإثارة والصخب الذي اثارته بين السعوديين، فقالت: كل هذا لأن شعري أحمر، ولأنني أجنبية. الطلب علينا كثير والتنافس أشد. فقلت لها: لغرض واحد فقط.

- استمرت بالعمل معي في العيادة، وكانت طالبة ممتازة مجدة تتقدم بسرعة كبيرة...

- وفي صباح أحد الأيام، بعد بضعة أشهر، طلبت مادلين مني أن أعاين مريضاً كنت قد عالجتة من قبل. كان المريض هو الأمير خليل (صاحب الخطبة الرنانة عن التقاليد والاسلام والقيم

الاسلامية العريقة . . وأيضاً صاحب دعوة السكر والدعارة) . . .
كان قد سمع هو أيضاً بمادلين حين كان يزور زوجته في
المستشفى . وكان أكثر إبداعاً من السعوديين الآخرين في تدبير
الأمر، فطلب موعداً في العيادة لإجراء «فحص عام»، وكان
يعرف أن مادلين ستراه قبلي لتأخذ منه المعلومات الطبية
الضرورية .

«عندما أصبحنا لوحدا قال الأمير: كل شيء على ما يرام في
عالم الحب والغرام . . أنا أعلم أنك لن ترضى بتأمين لقاء بيني
وبينها، فقررت حل الأمور بنفسى . . إنها امرأة تأسر الألباب . .» .
قال الطبيب له :

«إن أي شخص يملك شريط «الحلق العميق» في مكتبته في
البيت قادر على فعل أي شيء» .

«كانت تلك حفلة عظيمة» قالها خليل ضاحكاً ورحل . . .

«بعد حوالي شهر من ذلك اللقاء، انتقلت مادلين من شقتها
المتواضعة في سكن العازبات في المستشفى، إلى شقة فخمة في
ضواحي الرياض، اشتراها الأمير الثري جداً (المؤمن بمساواة جميع
المسلمين في السعودية) خصيصاً لها . وكانت سيارة ليموزين
يقودها سائق خاص تأتي بها إلى المستشفى كل صباح، وتبقى
بانتظارها، تحت تصرفها، حتى انتهاء وقت الدوام . صار الجميع

يعرفون حكاية علاقتها بالأمير. وكان البعض يشعر بغضب شديد مكظوم. وبالتدريج ابتعدت مادلين عن حياة المستشفى الاجتماعية.

«حين عادت من إجازتها التي استمرت أسبوعاً، والتي قضتها بصحبة الأمير خليل في... إيران (الشاه) رأيت من المناسب أن أحدثها عن تصرفاتها بصراحة. فقد وضعها كمبتون تحت إشرافي، وكنت بهذا مسؤولاً عنها. وكانت زوجتي قد التقت بمادلين وأحببتها، لكن زوجتي لم تكن ترى أن مسؤوليتي عنها تمتد إلى حد التدخل في حياتها الجنسية. لكنني كنت مصمماً على مفاحتها بما أشعر، وجاءت الفرصة المناسبة حين قدمت لي هدية من إيران، كانت عبارة عن علبة قلم رصاص زُيّنت ورسمت باليد». قلت لها:

«أنت تعلمين أن للأمير خليل زوجتين، وليس له أية نية في الزواج منك... وإلى جانب ذلك، فالزواج بغير مسلمة ممنوع قانوناً...».

أجابت مادلين..

«ربما سأصبح مسلمة، فأصير بذلك زوجته الثالثة...» قالتها وهي تحاول إغاطة الطبيب الذي رد بقوله:

«إن علاقتكما كلها مبنية على الجنس، وأنت تعلمين ذلك».

فقلت : -

«هم ممتعون في الفراش . . . وهذا ليس عشيقتي السعودي الأول . . .» .

«هل تفعلين ذلك من أجل الجنس أم من أجل الذهب والحلي؟» .

«من أجلهما معاً . . . وأنت لا تفهم النساء الأوروبيات» .

وقال الطبيب في محاولة أخيرة يائسة : -

«ماذا يكون رد فعلك لو كان لك ابنة تتصرف كما تتصرفين؟» .

«ما كنت أتدخل في حياتها!!» .

-ولن أتدخل في حياتك أيضاً . . . إن فارق الجيل كبير جداً عليّ .

ويتابع الطبيب المهزوم قائلاً :

-إن العلاقات بين الأمراء السعوديين والنساء الأجنبية أمر يعرفه الجميع . حتى إن مطلقة أميركية تعمل في القسم الفني في المستشفى أقامت معرضاً في شقتها للهدايا التي تلقتها من عشيقها - أو عشاقها - السعوديين . وكان بينها سجاجيد عجمية ، وأساور ذهبية ، ومجوهرات أنيقة غالية الثمن . وهناك ممرضة كندية

كانت تعيش «على المكشوف» مع مستخدميها (رب عملها) السعودي. وحين عادت إلى بلادها أقام السعودي علاقة مع زميلتها التي كانت تعيش معها. ويبدو أن رب العمل هذا كان معجباً بمهنة التمريض، فلا يترك ممرضة حتى يغوص بأخرى..

-أما الأمير بدر، ابن عم الأمير خليل، فقد بدأ يتقرب من ممرضة أميركية. كان مخطوباً في ذلك الحين لأميرة سعودية كان يغازلها.. على الهاتف طبعاً.. وفي هذه الأثناء كان يغازل الممرضة الأميركية وجهاً لوجه. ويشتري لها الهدايا ويتقرب منها ويطلب ودها. كان فاحش الثراء، فاستجابت الممرضة لإلحاحه. وحين أخبرتها أن الأمير لن يتزوجها، لأنه مخطوب إلى أميرة، بكت الممرضة وقالت: لم يحدث بيننا شيء، ولن يحدث شيء..

-وتزوج الأمير بدر بأميرته بعد ثلاثة أشهر، وكان احتفالاً طناناً كالعادة، ولكنني لم أدع إلى حضوره..

هذا عن ضجر الأمراء ومللهم من زوجاتهم.. فماذا عن ملل الأميرات..

ملل الأميرات :

يحدثنا عن ذلك الدكتور غري في قصته الأخيرة فيقول في

فصله الأخير الذي جعل عنوانه :

الحياة وراء أسوار القصور

- بعد فترة من الزمن حضر إلى مكتبي الشاب دلال (دلال ابن الدكتور غندور الطبيب الخاص للأمير ابراهيم ، وبعد أن توفي الأمير رحل الدكتور غندور إلى فرنسا وهناك مات متأثراً بمرض السرطان). وكان معه شاب آخر .

- قال دلال : حين كنا في باريس كان والدي يتحدث . عنك كثيراً ، وكان يعرف أنك ستكتب في يوم من الأيام كتاباً عن بلادنا ، وطلب مني أن أقدم لك كل مساعدة ممكنة . لقد كان يحبك فعلاً . وهآنذا مع صديقي جميل ، أتينا لنخبرك بكل شيء

- ثم عرفني على جميل . كان شاباً طويلاً وسيماً متناسق الجسم ، في الرابعة والعشرين من عمره ، بني العينين ، أبيض الأسنان . . وله شارب أسود أنيق .

- تابع دلال حديثه قائلاً : لقد ربينا أنا وجميل معاً وعشنا معظم أعوامنا في منزلين متجاورين على أرض تابعة للقصر (قصر الأمير ابراهيم) ، وقريباً جداً من القصر نفسه . .

كان والد جميل مسؤولاً عن موظفي الأمير في عقاراته وأملاكه

الواسعة في منطقتي حرد ونجد.

«سألت دلال عن والده، فقال إنه غادر المستشفى بعد عدة أسابيع ثم انضم إلى عائلته في مرسيليا حيث مات . . وقال دلال إن الأمير ابراهيم خلف تركته كلها لزوجاته وأولاده، وأنها - التركية - قدرت قيمتها بـ ٣٢ ألف مليون دولار. لم تترك أية وصية لأي إنسان آخر. . . لكن الملك تكفل بنفقات علاج والده، وخصص لوالدته راتباً طوال حياتها، كما خصص لدلال وشقيقه راتباً يتقاضياه حتى سن السادسة والعشرين.

سأل الطبيب دلال: ومن حدث الملك عن والدك؟

أجاب دلال: صديق اسمه الدكتور رشاد فرعون - رفع للملك استرحاماً باسم والدي . . كان الدكتور فرعون مستشار الملك فيصل ثم مستشار الملك خالد، وكان صديقاً لوالدي . . . العائلة المالكة كبيرة جداً، والعديدون من أفرادها، مثل الأمير سلطان والملك خالد، كرماء بالغو الكرم . . والآن . . أدر آلة التسجيل يا دكتور!!».

قالها دلال وقرب كرسيّاً جلس عليه قريباً من الطبيب ومن آلة التسجيل، ثم تابع قائلاً:

«وستحدث كما كنا نتحدث حين كنا نتناول الشاي في غرفة

والدي في المستشفى» .

- شغلت آلة التسجيل وقدمت لجميل كرسيًا يجلس عليه . .

- توقف دلال قليلاً، كما لو كان يستعد لإلقاء خطبة معدة مسبقاً . . وبعد لحظات من التردد انطلق في حديثه، قال: بعضنا يعتقد أن إعتاق العبيد والجواري الذي جرى قبل خمسة عشر عاماً كان انطلاقة لثورة جنسية في هذا البلد . . . لكن في ذلك الوقت، (قبل العتق) لم تكن توجد باغيات أو عاهرات . . أما الآن فلدينا الكثيرات منهن . . الوضع بين النساء والرجال سيء، جداً، والكل يشكو، ولكن النساء يشكين أيضاً ويتذمرن أكثر من الرجال . . . سقى الله أيام الجواري والإماء . . فقد كانت الحياة عندها أكثر قرباً من تعاليم الاسلام .

تدخل الطبيب هنا قائلاً:

- ولكن الرق ألغي قبل عقد من الزمان، ولا أستطيع أن أصدق أنك تحبذ الرق في هذا العصر . .

فرد دلال معلقاً: -

- كان نوعاً مختلفاً من الرق . . . فقد كنا نعاشر جوارينا معاشرة جنسية، ولم يكن يتقاضين مالاً مقابل تقديم أنفسهن . لم يكن عاهرات . كان باستطاعتهم الانجاب وكان الرجال

يتزوجونهن أحياناً ويعتقوهنّ وكانت الزوجات يفضلن هذا النظام لأنهن كنّ قادرات على التحكم في الوضع . أما الآن فالبلاد تعج بالعاهرات والبغايا، والرجال يطاردوهن باستمرار، والزوجات غير راضيات عن هذا الوضع : -

يقول الدكتور غري :

- وجدت تكرار دلالة لكلمة «باغيات» و«عاهرات» مؤذية نوعاً ما، خاصة ما أطلق عليه اسم «العاهرات المجانيات» فسألته : وما العاهرات المجانيات؟؟

«فقال دلالة : هن نساء ساقطات أو يسهل الوصول إليهن . ونستطيع أن نعاشرهن جنسياً دون مقابل . نحن نسميهم : عاهرات مجانيات . أما «العاهرات الحقيقيات» فهن اللواتي يتقاضين الأموال والهدايا الثمينة . نحن لدينا النوعين في هذه البلاد . . . إن الخطر الحقيقي يكمن في أن الرجال يستطيعون أن يفعلوا ما يشاؤون جنسياً، ولذلك فبعض الزوجات يشعرن بأن هن الحق في أن يفعلن ما يشأن أيضاً، والسبب الجوهرى لهذا هو الطريقة التي يعيش بها الزوجات والأزواج في هذا البلد» .

«هنا توقف دلالة، كان متوتر الأعصاب مهتاجاً، وبدا وكأنه على وشك الإفصاح عن سر رهيب، سر يؤلمه كثيراً . . بعد قليل تابع دلالة الحديث قائلاً : - أجد واجباً عليّ أن أخبرك بأن

العديدات من النساء يطاردن جميل ويطاردني أيضاً: بعضهن أميرات».

«هنا تدخل جميل قائلاً: كلانا يعاني من هذه المشكلة. اللواتي يطاردننا هن من «البغايا المجانيات» أو النساء الساقطات اللواتي يجرين وراءنا لا لشيء إلا للمتعة والتسلية. وهن يفعلن ذلك لا من أجل المال ولا من أجل الحب، بل من أجل الجنس فقط. بعضهن ثريات فاحشات الثراء».

هلع قلب الطبيب وسارع الى آلة التسجيل قائلاً:
«سأوقف آلة التسجيل.. أنتم تخوضان موضوعاً بالغ الخطورة، ويمكن أن يقطع رأسكما عقاباً على هذا...».
سارع دلال إلى تهدئة اضطراب الطبيب الهلع:
«لا.. لا توقف الآلة.. فنحن لن نذكر أسماء».

فسأل الطبيب: -

«وهل هن فتيات شابات؟».

أجاب جميل: لا: هن إما متزوجات أو مطلقات، وبعضهن أمهات أطفال يكبرننا سناً. كل ما في الأمر أنهن غير سعيدات مع أزواجهن، ويردن أن يفعلن ما يفعله أزواجهن. ليس منهن من هي عذراء..

«وكيف يتصلن بكم؟».

«عن طريق الهاتف، أو بواسطة رسول أو سائق يثقن به، أو بواسطة شخص لا يعرف القراءة ولا الكتابة».

ويعلق الطبيب هنا قائلاً: -

«أخبرني دلال وجميل أن معظم هؤلاء النساء هن من «النساء العصريات السعوديات» اللواتي تلقين علومهن في الغرب، ويجدن صعوبة بالغة في السكوت على خيانة أزواجهن. وبما أن الطلاق صعب، فهنّ يعوضن عن هذا بالسعي للمعاشرة الجنسية مع الشباب».

ثم سأل الطبيب: -

«ولكن المرأة إذا ارتكبت جريمة الزنا فإنها تقتل بسبب العار الذي تلحقه بعائلتها. ألا تعرض هؤلاء النسوة أنفسهن لخطر كبير بهذا؟».

رد جميل قائلاً: -

«لا... إذا كن ذكيات... فلا بد من وجود أربعة شهود على وقوع المعاشرة الجنسية حتى يمكن اتهام المرأة بالزنا، وهذا شيء صعب جداً».

وأضاف جميل قائلاً إن بعض النساء الشابات، وقد هدهن

توبيخ الضمير، يعترفن طواعية بارتكاب الزنا، فيفقدن حياتهن،
ولكن هذا أمر نادر الوقوع.. ويضيف جميل: -

«قبل فترة وجيزة ألقوا القبض على عاشق داخل القصر مع إحدى زوجات الأمير ابراهيم. انهالوا عليه بالضرب ولكن لم يقتلوه لأنه من قبيلة بالغة الأهمية والنفوذ. وقد أُنذرت عائلته الأمير بأن «النفس بالنفس»، فلم يجرأ الأمير العجوز على قتل عاشق زوجته، خشية أن يلقي أحد أبنائه نفس المصير.. وقد أنكر الرجل والمرأة معاً ارتكاب جرم الزنا. فلم تعاقب الزوجة لأنه لم يكن هناك شهود، فلا بد من وجود أربعة شهود يكونون حاضرين أثناء العملية الجنسية، وليس بعدها.. والشهادة الظنية غير مقبولة.. وإذا عجز الشهود عن الإثبات يتعرضون هم للجلد ثمانين جلدة..».

وعاد دلال يكرر حكاية الرق. قال إن والده كان يعتقد بأن إلغاء الرق ونظام الإماء والجواري قد سبب اضطراباً أخلاقياً وجنسياً بالغ السوء في السعودية.. وتابع قائلاً: -

«حين كان الرق مباحاً، كان للأمير ابراهيم ما يزيد على الثلاثين جارية وخنيلة، بالإضافة إلى زوجاته الأربع.. وكان الأمير ابراهيم يفضل النساء الأجنبية. كانت أصغر زوجاته إيرانية، حيث اشتراها الأمير بمائتي قطعة ذهبية وتزوجها بعد ذلك

حين أنجبت منه أبناءً ذكوراً. وأضاف دلال: كانت زوجته
المفضلة، وحين مات كانت إثنان من زوجاته اللواتي بقين بعده
من الخليلات أو الجواري السابقات أيضاً. وقد ورثت كل واحدة
منهن ألف مليون دولار..».

وقال جميل: حين كان الأمير ابراهيم شاباً، كانت عائلته
تشتري الإماء صغيرات وتربيهن له حتى يصبحن شابات يانعات
ثم ترسلهن للأمير كجاريات يستمتع بهن. وكان سن الاستمتاع
هذا بين الرابعة عشرة والخامسة عشر من عمر الفتاة.

وسأل الطبيب: -

«وماذا كان يفعلن في القصر.. بالإضافة إلى المهمة الرئيسية
طبعاً؟».

أجاب جميل: -

«كن يخدمن الأمير، يقدمن له طعام الإفطار، ويكون له
ثيابه.. والحقيقة أنهن لم يكن لهن عمل أهم من تقديم المتعة الجنسية
للأمير في فراشه...».

وتساءل الطبيب مندهشاً، وبشيء من الحدة التي تجاهلها
ضيفاه:

«لا شك أن سرقة فتاة صغيرة من أهلها وبيعها جارية ليس

أمرأ هيناً ولا عادلاً» .

لم يلق الطبيب جواباً على ذلك، لكن جميل تابع حديثه وكأن
الطبيب لم يقل شيئاً:

- حين كنت صبياً صغيراً، كنت أشاهد الجواري الصغيرات
الجميلات يقفن في الحداثق، وكأنهن بعضاً من زهورها وورودها .
كان يؤق بهن من جميع أنحاء العالم الاسلامي، وكن من ألوان
متعددة، فكنت ترى سوداوات البشرة من الحبشة، وزيتونيات
لون الجلد من مصر وإيران، والشقراوات من مراکش وسورية
(وهذا من فضل الشيخ طيب الذكر يوسف ياسين، طبعاً، الذي
ورد اسمه في مقدمة هذا الكتاب) . .

وسأل الطبيب مرّة أخرى: -

«لا بد وأن عدداً من زوجات الأمير كن أصغر سنّاً منه
بكثير. . أنتما حدثتاني عن عشيق واحد. . ألم يكن هناك عشاق
آخرون؟» .

وكان هناك صمت. . طويل بدا محرجاً للزائرين. . ثم نطق
جميل بهدوء: -

«أنا عشيق الزوجة الصغرى. . الإيرانية التي اشتراها الأمير
بمائتي قطعة ذهبية. اسمها فلوى» .

يقول الطبيب الهلع من الرعب.

«وامتدت يدي على الفور لأوقف آلة التسجيل وأنهى الحديث. . . ولكن شعرت بأن ما أسمع هو عينة وشريحة من حياة المجتمع السعودي في نهاية حقبة من الزمن وبداية حقبة أخرى، وأن ما يجري قد يكون له أثره على المستقبل. . .».

«وسرعان ما صبّ دلال الزيت على نار مخيلتي فألهبها حين قال: لم يكن جميل سوى أحد عشاقها، فقد كان لها عشاق آخرون كثيرون. . .».

وسأل الطبيب: -

«هل كانت هذه العلاقات قائمة أثناء حياة الأمير؟».

أجاب جميل: -

«نعم. . . ولكن لا تنسى أنها كانت في الخامسة والثلاثين من العمر، وأن الأمير كان يناهز التسعين».

وقال الطبيب لجميل: -

«كان الأمير فاحش الثراء واسع النفوذ. . . ألم تكن تقامر بحياتك وحياتها أيضاً؟».

قال جميل:

«كنا بالغى الحرص. لم نكن نتقابل إلا فى بيتى أو بيت دلال».

«وهل ما تزال العلاقة قائمة؟».

«نعم!!».

«وعائلتك وأهلك على علم بها؟».

«نعم. . كلا عائلتي تعرفان: عائلة دلال وعائلي. .».

قال الطبيب:

«ولكنى لا أستطيع أن أتصور كيف بدأ هذا، خاصة إذا وضعنا بعين الاعتبار الفصل المتشدد وعدم الاختلاط بين النساء والرجال. .».

«إذن فسأريح خيالك من عذابه. . كانت زوجات الأمير إبراهيم جميلات وبقدر ما كن جميلات كن ضجرات يعانين من الملل وهن حبيسات القصر طوال اليوم. فى بعض الأحيان كانت إحداهن أو الأخرى تأتى لزيارة والدتي أو والدته دلال وتتناول الشاي معها».

«وفى أحد الأيام، عدت إلى البيت من السوق، فوجدت فلوى هناك تتحدث إلى والدتي. شعرت شعوراً غريباً. . فلم أكن قد رأيته منذ سنوات، منذ أن كنا أطفالاً صغاراً، كأخوين. .

لقد ولدت أنا ودلال في رحاب قصر الأمير وكنا نستطيع أن نذهب إلى هناك حينما نشاء وإلى أي مكان نرغب لأن لنا «إخوة رضاعة» كانوا يعيشون هناك».

قام جميل إلى النافذة وأرسل نظره بعيداً صوب الصحراء .
ثم تابع حديثه فقال : -

«وبعد فترة من الزمن ، جاءت فلوى إلى بيتنا . كنت أحضر دروسي الجامعية . وكانت أُمي قد ذهبت إلى القصر لشأن ما ، بينما أبي كان في عمله . حضرت فلوى الشاي وبدأت تسألني عن غرامياتي وحياتي الجنسية . وقد أدهشني ذلك وشعرت بحرج كبير . . .»

قال الطبيب : -

«أعتقد أن النساء يجدنك جميلاً جذاباً» .

لم يعلق جميل ، بل تابع حديثه عن فلوى زوجة الأمير : -

«قلت لها إن هناك عدداً من النساء يطاردني ويطاردن دلال أيضاً ، خاصة النساء المتقدمات في السن نوعاً ما . وأخيراً وبعد عدة أسئلة طرحتها حول علاقاتي الجنسية ، قلت لها : وماذا تريدن مني ؟ فقالت : أنت تعرف تماماً ما أريده منك . . . وهكذا بدأت علاقتنا . . . صارت تأتي إلى دارنا حين يكون أبواي خارج البيت ، أو كنت ألتقي بها في بيت دلال» .

سأله الطيب : -

«هل كانت الزوجات الأخريات يعرفن شيئاً عن علاقتك بفلوى؟» .

فأجاب جميل : « نعم ، لكنهن حافظن على السر لأنه كان لبعضهن عشاق أيضاً . وكانت الزوجات يحمين الواحدة الأخرى . . . ولكل زوجة مقرها الخاص ومنزلها في القصر ، كما أن حراسها وخدمها مخلصون لها يحافظون على أسرارها . . . تذكر أن عمر الأمير كان يزيد خمسة وأربعين عاماً عن عمر معظم زوجاته ، وكان يعاملهن كالحيوانات تماماً . الوقت والمكان الوحيد الذي كن يلتقين به كان الفراش . ويمكنك أن تتصور الوضع ، فكل ما كان يريده منهن هو الجنس وإنجاب الأولاد الذكور» .

وهنا علق دلال قائلاً : -

«كانت النساء السعوديات يستخدمن للتوليد والإنجاب فقط . . أما اليوم ، فإن نساءنا يحسدن النساء الغربيات على احترام الرجل الغربي لهن ومعاملته لهن باعتبارهن مساوين له في الحقوق والواجبات . . المشكلة أن الرجال لا يستطيعون مجارة التغيرات الاجتماعية المتسارعة التي تحدث في العربية السعودية منذ ثلاثين عاماً . نحن لم نستطع أن نستوعب التغيرات . . إننا نفقد عقلنا على ما أعتقد . لهذا بدأت النساء السعوديات المتزوجات يتخذن

عشاقاً لهم... فهن يواجهن واقعاً جديداً مختلفاً تماماً لا عهد لهن به...» .

وهنا علق دلال قائلاً : -

«لا تستطيع أن تلوم المرأة لوحدها . فزوجة الأمير كانت أمية تماماً ، وكل ما تعلمته من دروس الحياة جاءها من الأمير نفسه . وقد علمها زوجها أن تتصرف كعشيقة وخليفة ، وهكذا كان . يجب ألا ننسى أنها كانت في الخامسة عشرة من عمرها حين بدأ الأمير يعاشرها ، وكان هو في الخامسة والسبعين» .

وهنا تدخل جميل مرة أخرى فقال : -

«الواقع أنه كان لفلوى عشاق كثيرون أثناء حياتها في القصر . لقد كانت أمة مشتراة ، وظلت تتصرف كذلك حتى بعد أن تزوجها الأمير» .

وقال جميل : إن أول عشاقها كان شيخاً فاحش الثراء كان يعمل في قطاع البناء في الهفوف . كان شاباً يافعاً ويظهر أنه وقع في غرام فلوى حين كانت في التاسعة عشرة من عمرها ، وقد اغدق عليها الهدايا وكان يريد أن يتزوجها . واستمرت علاقتها عدة سنوات .

وسأل الطبيب : -

«ولماذا لم يشتريها الشيخ من الأمير ابراهيم؟» .

فأجاب جميل : - «لأنه كان مرتبطاً معه بعدة مسائل تجارية ، وكان يتحاشى إثارة شكوك الأمير نحوه . ثم إن فلوى كانت تعلم حق العلم أن الأمير لا يمكن أن يبيعها لأنها كانت قد أنجبت له ولداً ذكراً ، وكان يخطط للزواج منها إن هي ولدت له أولاداً ذكوراً آخرين . وفي النهاية صارت ترفض مقابلة الشيخ لأنها بدأت تشعر بأن المخاطرة كبيرة جداً» .

وأضاف جميل :

«وبعد عامين ، أنجبت فلوى صبياً آخر ، فقرر الأمير أن يتزوجها ، وهكذا طلق أكبر زوجاته عمراً ، ليتسع المجال «الشرعي» لفلوى التي أصبحت زوجته المفضلة . وقدم لها من الخدم أكثر بكثير مما كان لدى الزوجات الأخريات ، حتى إن البعض صار يناديها بلقب الأميرة . لكن الأمير إبراهيم لم يكتف بذلك . وكان يريد أولاداً آخرين مع أنه كان يقترب من الثمانين . وقدمت له فلوى صبياً آخر ، لكن من أغلب الاحتمالات أنه لم يكن من صلب الأمير ، وقد اعترفت لجميل بذلك . فقد اتخذت لها الآن عشيقاً جديداً ، لم يكن هذه المرة سوى أحد أبناء الأمير نفسه !! وكان هذا الابن في الأربعين . . كان ترتيب اللقاءات أمراً هيناً . ولكن بقي السر ضمن العائلة . .» .

وقال دلال : -

«العلاقة الجنسية بين المرأة وأولاد زوجها محرمة في القرآن ،

ومحرمه أيضاً العلاقة بين امرأة وأبناء والدها من زوجة أخرى . . . » .

فقال الطبيب : -

«نعم ، وهذا ما نسميه نحن بمعاشرة الأخوات . . لأن فلوى كانت على علاقة بابنها لزوجها . . . » .

تابع جميل حديثه فقال : -

«انجبت فلوى طفلاً آخر، لكن هذه المرة بنتاً. لكن البنات لا يدخلن في حساب الذرية. وعلى كل حال فلم تكن فلوى متأكدة من هوية الأب . .

كانت آلة التسجيل ما تزال شغالة، وهنا كشف جميل عن اسم ابن الأمير الذي كان يعاشر زوجة أبيه جنسياً. ولكنه اعتذر عن ذلك قائلاً: إنها قصة قديمة. . أما القصة الأحدث فهي أن فلوى اتخذت عشيقاً جديداً بعده، وحين كان الأمير ابراهيم ما يزال على قيد الحياة. . وكان العشيق الجديد أحد مشاهير الأمراء . . . » .

وهنا نهض جميل، وأتجه صوب الطبيب، ثم أطلق اسم الأمير الشهيد . .

يقول الطبيب : -

«صعقني الدهول، فقد كان الأمير أحد كبار الوزراء في

الحكومة، وله شهرة واسعة في الشرق الأوسط. فقلت: الحمد لله أنه ليس ولي العهد ثم استدرت فأوقفت آلة التسجيل، وأعلنت أنني سأعطي الذقائق الخمس الأخيرة من الحديث».

وقال جميل:

«فلوى متوعةكة الصحة. وستأتي لزيارتك في العيادة غداً. حددت أنا لها موعداً، وأرجو ألا يكون لديك مانع...».

لم يكن لدى الطبيب الفضولي مانع أبداً، بل راح ينتظر متلهفاً رؤية هذه التي هزت أبدان أمراء العائلة ووزرائها..

ويتابع الطبيب: ملخصاً ما قالت له فلوى حين أتت لعيادته في المستشفى. قالت فلوى:

«لقد عانيت من حياة بالغة القسوة والشقاء، فقد أخذوني من أبوي وأنا في العاشرة من عمري (كيف وهي لم تؤسر ولا يجوز لأبويها بيعها حتى بموجب نظام الرق الذي سموه إسلامياً وهو لا يمت إلى الإسلام بصلة!؟) ثم أخذوني إلى قصر الأمير وأنا لم أتجاوز الخامسة عشرة... وأنا اليوم بلا أهل ولا عائلة، سوى أطفال الصغار، ولا أعرف شيئاً عن والدي في إيران.. اللذين لم أرها منذ خمسة وعشرين عاماً...».

بعد أسبوعين اكتشف الطبيب من التحاليل أن فلوى تعاني من فقر الدم!! أي مرض الفقراء!! طلبت فلوى، بمساعدة جميل

ودلال، من الطبيب الأمريكي أن يعطيها شهادة بأن معالجتها غير ممكنة في السعودية، وأدرك الطبيب أن الهدف من ذلك هو خروجها إلى أوروبا، حاملة جزءاً ولو صغيراً من الألف مليون دولار!! وهي، بالإضافة إلى هذه الأموال، تتقاضى الآن من خزانة الدولة أربعة آلاف ريال شهرياً، لأنها أم أمراء وأميرات!! فجمع الطبيب وطرح، ليجد أن هذا المبلغ (أي الـ ٢٠٠٠ ريال شهرياً) كافية لإطعام ثمانين طفلاً في بلاد الجياع، كالسودان وموريتانيا مثلاً!! ولكن هذه حسابات أطباء لا حسابات أمراء وعائلات مالكة. ورفض الطبيب إعطاء الشهادة لأنه أدرك أنها ذريعة لمغادرة البلاد.

لكن المدّ الغربي السياسي والاجتماعي والثقافي مستمر ويتوسع باستمرار في السعودية، حسب قول الطبيب الأمريكي، ولن يستطيع الاسلام السعوي-أمريكي أن يقف في مواجهة هذا المدّ فبالإضافة إلى عشرات الآلاف من الشباب السعوديين الذين «تبتعثهم» الحكومة للدراسة في أمريكا وأوروبا، هناك ما يزيد على الـ ٣٥٠٠٠ أمريكي في السعودية، معظمهم من الضباط السابقين ورجال المخابرات والعاهرات المتنكرات بصورة ممرضات و«فنيّات»، والآلاف من الانكليز والبلجيكيين والكوريين والفلبينيين، الذين جاؤوا ليحاربوا الاسلام، وليحاربوا كل من تسول له نفسه بأن يتحدى العائلة المالكة وسياستها الاجتماعية

والسياسة والاقتصادية، ويعترف الطبيب أيضاً بأن الملك فهد هو اليوم أكثر وداً وصداقة مع الولايات المتحدة منه في أي يوم مضى . وأن العائلة المالكة ترسل أبناءها للدراسة «والتخصص» في الولايات المتحدة. ولكن الملك يصدر القرارات والمراسيم بمعاقة النساء اللواتي لا يلتزمن بارتداء الثياب المحتشمة، حتى إن إحدى الأميرات قالت للطبيب: «إن عائلتنا تعلمنا وتثقفنا بيد وتسترقنا باليد الأخرى» . . : والاسترقاق لا يقف عند حد حقوق النساء، بل يصل الى البؤساء اليمنيين الذين يعملون في السعودية. يقول الطبيب «إنه دعي» يوماً لمشاهدة جلد أحد هؤلاء اليمنيين - من ساكني أكواخ الطين - لأنه اتهم بسرقة بعض المأكولات من أحد المحلات!! هكذا يكون الاسلام، كما قال طيب الذكر الأمير خليل ليلة السكر والدعارة التي أحيها احتفالاً بمولد ابنه، وإلا فلا!! والعائلة المالكة تثق تماماً بأن هذا الدين الذي يُجبر الناس على التقيد بمظاهره سيحميها من كل الطوارئ، حالياً وفي المستقبل . . . ولكن الطبيب يسأل: هل سيخضع المجتمع السعودي أخيراً لظاهرة الانحلال الخلقي والاجتماعي التي تسود في الغرب؟؟ هل سيقف المجتمع السعودي في وجه المدّ اللاأخلاقي الغربي الذي يروج له الأمير خليل وأمثاله، والطلاب المليون «المبتعثون» «يبعثون» بأفلام الدعارة إلى بلادهم قبل شهادات الدراسة، هذا إن حصلوا على هذه الشهادات بجدارة،

فمن المعلوم أن الطالب في أمريكا، يستطيع أن يشتري شهادته بعشرة آلاف دولار، بما فيها كتابة الأطروحة. وماذا تشكل الـ ١٠٠٠٠ دولار بالنسبة لأمير سعودي؟ إنها راتب شهرين يتقاضاها لأنه.. أمير؟! وتستطيع أميرات العائلة المالكة، اللواتي يرتدين العباية السوداء في الشارع، أن يسبحن في مسابح شركة «آرامكو» مع الأمريكيين الرجال والشباب. والخمرة ممنوعة على الناس، ولكن في بيوت الأمراء سرايب تضم أفخر أنواعه وأغلاها. وكذلك في بيوت الأغنياء من المقربين والحاشية، حتى إن الملك فهد كما سبق وذكرنا، يعاني من مشكلة إدمان شديد على شرب الويسكي!!

وتنتهي فترة خدمة الدكتور غري في مستشفى الملك فيصل في الرياض، ويعود، بعد ثلاثة أعوام قضاهما في جمع الأخبار، إلى أمريكا عن طريق لندن، وتمضي الساعات بطيئة بين الرياض ومطار لندن، قبل أن تحط الطائرة في مطار هيترو، رأى الدكتور ما لم يعد يدهشه كثيراً.

يقول في نهاية كتابه: -

«حين اقتربنا من مطار لندن، نهض قوام نسائي ملفع بالسواد كان جالساً في الصف الأول من مقاعد الدرجة الأولى، واتجه إلى غرفة الراحة. لم أكن أستطيع تمييز ملامح وجهها لأنه

كان مغطىً بقناع سميك غطى وجهها وكنفها وظهرها، بعد حوالي خمس عشرة دقيقة، ظهرت من جديد فهي تلبس فستاناً حريراً بالغ الأناقة. كانت امرأة بارعة الجمال، لكن ابتسامتها الساحرة التي أطلقتها باتجاهي. كانت أروع ما فيها... عندها فكرت بسلطانة، التي فضلت عادات الشرق وتقاليده مع إدراكها، وهي بنت الزوجة الأميركية للسديدي أنها تستطيع أن تفعل نفس الشيء، ولكنها فضلت البقاء في جوها الذي اختارته..

وبعد، عزيزي القارئ فهذا غيض من فيض جاء جواباً على السؤال الذي طرح في مطلع هذه الدراسة وهو: كيف تنفق الأموال النفطية في مملكة آل سعود. أقوى النماذج كانت ثلاثة:

١ - ما يحصل عليه الأمير خليل، وكيف كان ينفقه.

٢ - ما كان يحصل عليه الأمير ابراهيم، وكيف كان ينفقه، بما فيها تعويضات الزوجات بعد وفاته.

٣ - ما يحصل عليه أمراء العائلة الذين يتراوح عددهم بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ أمير، بحكم انتمائهم لتلك العائلة، واسلوب الانفاق الذي عرض في هذه الدراسة..

بقي أن تعرف الدخل السنوي من النفط فقط الذي تحصل عليه السعودية، نقصد العائلة المالكة، لتستطيع تقدير ما تبقى

لشعب السعودية الذي قدر الأمير خليل عدده بنسبة إلى سبعة ملايين إنسان .

تقول دراسة ظهرت مؤخراً أن مبيعات السعودية من النفط وفرت لها عائدات بلغت ٤٣٥ بليون دولار (٤٣٥ ألف مليون دولار أي حوالي ١٥٠٠ ألف مليون ريال سعودي) خلال الفترة ما بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٢ ميلادية، أي بمعدل ٢٠٠ ألف مليون ريال سعودي سنوياً. فلو افترضنا أن عدد السكان هو سبعة ملايين نسمة، لكان معدل الدخل القومي للفرد الواحد في السنة الواحدة في تلك الفترة ٣٠٠٠٠ ريال سعودي !! أي حوالي ٢٨٠٠ ريال في الشهر، هذا إذا لم تضاف العائدات الأخرى من الأعمال التجارية والصناعية والزراعية ما يقصد بمعدل الدخل السنوى هو إن هذا المبلغ، يشكل معدل الدخل لكل امرأة ورجل وطفل، وأن بعض الاحصاءات تقول إن ذلك المعدل، إذا اضيفت له الموارد الأخرى وحسب عدد السكان على أساس أنه ستة ملايين نسمة، يصل إلى ٤٥٠٠٠ - ٦٠٠٠٠ ريال. أما الميزانية السنوية العامة للدولة، لعام ١٩٧٨ - ١٩٨٨ فلم تتجاوز الـ ٣٣ ألف مليون ريال سعودي، بما فيها استحقاقات الأمراء والعائلة المالكة المكشوفة. أي أن هناك فائضاً سنوياً يصل إلى ١٦٧ ألف مليون ريال !! فأين يذهب هذا الفرق؟؟

لدينا بعض الأجوبة الموثقة على هذا السؤال :-

١ - ذكرت مصادر أميركية وبريطانية موثوقة، مما اضطر الحكومة السعودية لتكذيب الخبر، أن الملك فهد يعد ثاني أغنى رجل في العالم، وأن ثروته الشخصية وصلت إلى ١٧ ألف مليون دولار. والواقع أن التكذيب الرسمي السعودي صحيح لسببين على الأقل :-

أ - ربما أرادت الحكومة السعودية أن تقول إنها إهانة للملك أن يقال إنه ثاني أغنى رجل في العالم، وأنه في الواقع أغنى رجل في العالم على الإطلاق، خاصة إذا اعتبرنا أنه يملك الحكومة والدولة وأموالها كلها التي يعتبرها هو وعائلته ملكاً شخصياً لهم. لم يقل البيان السعودي ذلك صراحة، ولكن صيغة البيان توحي بذلك.

ب - لا يمكن أن تكون ثروة الملك فهد الشخصية ١٧ ألف مليون دولار فقط، في حين تصل ثروة الأمير ابراهيم إلى ٣٢ ألف مليون دولار!! فهل يعقل أن تكون قيمة الملك فهد معادلة فقط لقيمة سبعة عشر خلية من خليات وجواري الأمير ابراهيم، مثل «فلوى» مثلاً التي حصلت على ألف مليون دولار!!؟ من المؤكد أن المبلغ المقدر أقل من الحقيقة. ربما لم يتضمن سوى المبالغ النقدية المودعة في البنوك، والمصارف التي تستطيع الدوائر الأميركية وغيرها تحصيل المعلومات منها؛ وأن حجم ثروته الفعلية يفوق ذلك بكثير.

٢ - وهناك أوجه نفقات أخرى تدفعها العائلة المالكة بحماس. يقول بوب وود وورد في كتابه «القناع»، إن الصلات العضوية بين المخابرات السعودية والمخابرات المركزية الأميركية لا تعادها في القوة والمتانة إلا علاقة هذه الأخيرة بجهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد. ويقول أيضاً، كما قال الأمراء السعوديون للدكتور غري، إن السعودية، في حين تدفع بعض الأموال لمنظمة التحرير الفلسطينية «لإبعادها عن الأفكار المتطرفة والجزرية» (لا لمساعدتها على التحرير!!)، فإنها تقدم الأموال الطائلة لوكالة المخابرات المركزية الأميركية مساهمة منها في محاربة شعب نيكاراغوا. الأرقام المعلنة عن هذه «المساهمة» لا تتجاوز الـ ١٢ مليون دولار، وهو مبلغ زهيد بمعايير العائلة المالكة، ولكن لماذا دفع من أموال الشعب السعودي؟؟ ماذا فعل شعب نيكاراغوا لإيذاء العائلة أو مصالحها؟؟ الجواب واحد وهو ما يعطيه رئيس المخابرات الأميركية صراحة: - السعودية ضد الشيوعية في أي مكان في العالم، وضد الارهاب أيضاً، أي أنها حليف دائم وثابت للولايات المتحدة، تخوض حروبها وتدفع فواتيرها عند الطلب. ولو كان الأمر غير ذلك لحاربت السعودية الشيوعية في الاتحاد السوفياتي مثلاً، أو في المواقع التي لا تخوض فيها أمريكا حرباً ضد أنظمة الحكم. ويرد تحت هذا الباب تمويل آل سعود لحزب الكتائب المسيحي في لبنان، وتزويده بالسلاح لقتل المسلمين

تحديداً، ووضع الخطط لقتل رجال الدين الاسلامي المناضلين
تنفيذاً لأوامر المخابرات الأميركية. وما هو معروف عن هذه
الأنشطة قليل.

٣ - قام أحد وزراء دولة من دول الشرق الأقصى بزيارة
للسعودية مؤخراً، وقام بجولة على المشاريع العمرانية والإنتاجية
التي أنجزت في البلد، وبعد الجولة سأل المسؤول السعودي المرافق
له متباهياً: ما هو شعوركم يا سيادة الوزير تجاه ما رأيتموه واطلعتهم
عليه؟ فأجاب الوزير الضيف ساخراً: - لو أننا كنا نحن منفذي
هذه المشاريع، لكننا أنجزناها في نصف الوقت وينصف التكاليف
التي أنفقتموها!! فقامت أزمة دبلوماسية، وغادر الوزير السعودية
شبه مطرود!!

ذلك أن الوزير لم يكن يدري أنه بقوله هذا كان يشير بأصبع
الالتهام إلى كل العائلة المالكة التي يشرف أفرادها على كل هذه
المشاريع، وأن المشاريع لم تكلف فعلاً إلا ما قدره الوزير الضيف،
وأن المبالغ الأخرى ذهبت إلى جيوب الأمراء كشرط أساسي من
شروط منح العقود!!

هذه أمثلة قدمناها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

وكان أن تحولت مملكة آل سعود إلى ما هي عليه اليوم
اجتماعياً، وكان الطبيب الدكتور غري أحد أولئك الذين اطلعوا.

على خفايا ما يدور بين جدار القصور، ولكنه لم يكن الوحيد، فقد كتب عن سيرة أمراء السعودية العديدين، والعديدات، الذين اعتبروا أسلوب حياة تلك العائلة واجتماع الاضداد في سلوكها تسفيهاً لكرامة المواطن وإهانة للإسلام، واستخفافاً بذكاء الناس. ومن الذين كتبوا عن هؤلاء، وعن شيوخ النفط في الكويت والبحرين والإمارات ودول الخليج الأخرى الكاتبة ليندا فورد، التي أذهلها ما رأت: فماذا كتبت هي الأخرى عن السعودية وعائلتها المالكة؟؟

الفصل الثالث

آل سعود

في المنظار البريطاني

بلاد العجائب

في هو فندق المنامة في الرياض، وفي جوه المشحون بكل غريب عجيب، تنظر الصحفية الحسنة حولها فترى عدداً غير محدود من المغامرين الأجانب، يتأبطون مشاريع لعرضها على بعض الأمراء، خاصة الأمير فيصل بن فهد، الذي قرر بناء أضخم مدينة ألعاب أولمبية في العالم، فجاءه عارضو المشاريع من جميع أنحاء العالم، ولكنه لم يحضر هو، وانتظر العظماء، وقيل لهم «غداً إن شاء الله» ولكن الغد جاء يحمل لهم خبراً مفاده أن الأمير فيصل موجود في فندق الدورشستر في لندن، وأنه متوَعك الصحة، ولو أن توَعكها لم يعقه عن تناول وجباته في مطعم «الأنابيل» المجاور.

ويتساءل أصحاب المشاريع الذين دعوا للقاء الأمير عن سبب تجاهلهم بهذا الشكل، فلا يجدون إلا جواباً واحداً: لا بد

أن «الوسطاء» الذين «أمنوا الأوضاع» لم يكونوا من المستوى الملائم!!

ويطول الانتظار، ولا يجد الأجانب المنتظرون في الفندق منذ ثلاثة أسابيع ما يفعلونه سوى الاستعانة على تمضية الوقت مع العاهرات اللواتي يحضرن إلى الفندق ملفعات بالملاءات السوداء، ويصلن إلى الغرف التي تنتظرهم عملاً بأوامر مدير الفندق الذي لا بد من الحصول على «ثقتة» حتى يؤمن «المطلوب»!! و«مدير الفندق» هذا هو نفس مقدم نشرة الأخبار الانكليزية في التلفزيون السعودي، لذلك كان يجني الأرباح الطائلة من وظائفه الثلاث، خاصة وظيفة تأمين العاهرات لضيوف فندق اليمامة. وقد حقق المذيع المشهور «مايك» شهرة عالمية في مجال الوظيفة الإضافية، حتى إن الوصايا العشر التي تقدم للزائرات الأوروبيات اللواتي يسعفنهن الحظ بالوصول إلى السعودية، والنزول في فندق اليمامة في الرياض، تضم واحدة مهمة توصي تلك النساء بعدم فتح باب غرفهن في الساعة الثانية صباحاً إذا كان الطارق هو مايك، مدير الفندق المشهور، وإلاّ دخل الغرفة وأصرّ على تقديم النصائح لهن حول أسلوب التعامل مع الرجال!! والوصية الثانية التي تقدم لتلك النساء هي ألا يلتفتن لمن يقول إن الإشاعة قد سرت في الفندق بأنهن ساقطات يبحثن عن رجال. فمايك فقط يستطيع نشر الإشاعة، ثم مايك فقط يستطيع الوصول إلى باب غرفة امرأة ما

والطرق على بابها في الساعة الثانية صباحاً!!

أما الصحفية ليندا، فلا يطول بها الانتظار إلى هذا الحد، الساعة الحادية عشر مساءً، وليندا تستعد للذهاب إلى الفراش، حين يرن جرس هاتفها. إنه أحد مسؤولي التشريفات الملكية، فرغ لتوه من عمله المرهق، وهو يعرض أن يزورها الآن!! تقول ليندا: نعم! فيصل مسؤول التشريفات ويعرض عليها مرافقته إلى منزل «أحد الأصدقاء» لتناول الحديث هناك. وتوافق ليندا!! البيت قائم في شارع خلفي مظلم. يفتح «الصديق» الباب، ثم يغلقه وراءه بعد أن يرحب بضيفيه. تقول ليندا: -

«لم أستغرب تناثر مجلات الدعارة والعري البريطانية والأميركية في بيت الصديق، فقد صارت منظرًا مألوفًا لدي في بيوت السعوديين الذين زرتهم! أما الصديق فقد زاد على ذلك بأن علق صور نساء عاريات على جدران الغرفة، مما زاد من قوة الشبه بين تلك الغرف وصلات النوادي الليلية في لندن، خاصة إذا توفرت أعداد من زجاجات الويسكي، كما هي الحال في بيت الصديق تملأ زوايا غرفته الواسعة...».

«اختفى «الصديق» وبدأ مسؤول التشريفات الملكية يفرغ الويسكي في جوفه، كأساً بعد أخرى. قال إن هذه الفيلا استأجرها عدد من الرجال المتزوجين، لتكون «مأوى عزابية» لهم

أي ليحضروا إليها العاهرات، وهن غالباً مصريات، وكذلك المضيفات الجويات اللواتي يحضرن ومعهن المؤونة الكافية من زجاجات الويسكي»...

«وسألني المسؤول: هل يضايقك وجودك معي هنا؟ ويميل عليّ يطلب ما لا يمكن لامرأة أن تخطيء فهمه. قلت: أبداً! فأنا ضيفة في بلادكم، وأنا واثقة من أنك لن تؤذيني، فأنا تحت حمايتك!!».

«هذه الكلمات أوقعت المسؤول في حيرة أخلاقية قاتلة. كنت أرى أنه يكاد يقفز فوقى ولا يستطيع الانتظار.. ثم يتعد عني خشية أن تفضحه معالم وجهه، أو تصرفاته. يرجوني أن أقضي الليلة هناك، ويعدني بأن يقفل على نفسه باب غرفته وأقفل أنا باب غرفتي من الداخل، فهو لا يريد أن يعرف أصدقاؤه ما حصل. ولكنني رفضت دعوته قائلة أن الفندق سيقلق علي!!».

«وأخيراً... دعاني إلى السيارة، وأعادني إلى الفندق.. فتنفست الصعداء... وما زلت أتنفسها!!».

عقدة الذنب

تقول ليندا:

«في إحدى المرات أوصلني مسؤول سعودي كبير إلى الفندق بعد حديث عمل تبعه تناول طعام الغداء في منزله. لم تكن تلك

هي زيارتي الأولى لعائلته، وكنت أعرف تماماً أنه رجل يملك كل شيء: فهو مثقف وذكي وغني وناجح . . . ولكن حين تذهب إلى بيت ذلك الرجل، بعيداً عن عيون الناس، تجد أنك في رياض غير العاصمة، وتكتشف أن النفط الذي تفجر من تحت الأرض لم يكن كله مَن وسلوى من أعطيات السماء. ف وراء أسوار المنازل السعودية العالية تقبع ضحايا، وزوجة ذلك الرجل هي إحدى تلك الضحايا. وستجد، كما أجد أنا، صعوبة فائقة في تقبل وجهة نظر السعوديين تجاه المرأة، فهي بالنسبة لهم إما كنز أو ساقطة، وليس هناك منزلة بين المنزلتين، حتى أنا، كنت أعامل كلعبة صينية، فلا يسمح لي بالخروج من الفندق وحيدة أبداً.

- حتى زوجة ذلك الرجل لم تعد تستطيع تحمل ذلك الوضع. وهي تقبع في غرفتها، وتعيش على السجاير والمهدئات. لم تتجاوز بعد العشرينات من العمر، ولكنها تهزل وتضعف وتتلاشى ويشحب وجهها ويصفّر. وترى ساقها النحيلتين وصدرها هيكلاً عظيماً تحت ثيابها الباريسية الأنيقة. حتى والدتها كانت تتمتع بحياة أكثر إنسانية في جيل مضى. صحيح أنه كان يوجد عبيد في تلك الأيام، ولكن كان للزوجة مهام تقوم بها. فلم تكن هناك مطابخ أمريكية ولا مكيفات هواء في فترة ذلك الجيل، ولم يكن هناك مجال لتلقي التعليم في الخارج، ولا معرفة بأسلوب مختلف للحياة عن أسلوب الحياة في سجن النساء المسمى «بجناح النساء».

مما لا شك فيه أن الجيل الحاضر من النساء قد استفاد كثيراً من ظاهرة التقدم، ولكنه خسر كثيراً أيضاً. فزوجة هذا الرجل تطلي وجهها بالمساحيق عدة مرات كل أسبوع، وترتدي الفساتين الطويلة، وتنشر مجوهراتها على صدرها ليعرف الناس أنها ملك للمليونير، ثم تخرج مع زوجها لزيارة أصدقاء في منازلهم. وحتى هذا الحدث يعتبر شيئاً عظيماً في الرياض، رغم أن الجدران، التي يفترض أن تكون ملجأ، يمكن أن تكون أكفأ هنا.

حدثت الزوجة الشاحبة الصحيفة المتلهفة إلى السماع فقالت: «رتب والدي زواجي حين كنت في السادسة عشرة من عمري. ما زلت أذكر شهر عسلنا، حين حملتنا الطائفة إلى أوروبا. كنا نجلس كغريبين، وكنت أحس بالخجل من الجلوس إلى جانب هذا «الغريب» ولم أستطع إيجاد موضوع للتحدث معه. لم أكن أعرف شيئاً عن حبوب منع الحمل، فأنجبت أربعة أطفال في أربعة أعوام. كيف استطيع الاعتناء بأطفال وأنا طفلة مثلهم؟؟».

«أما الآن فقد كبرت ولم أعد طفلة. ولكن زوجي لا يعترف بذلك! أنا أدرك أن زوجي يعاني أيضاً. رجوته أن يدرك بأنني لست تلك الطفلة الطيبة التي تزوجها، وأنه يستطيع أن يثق بي ويطلعني على أسرارته ومشاكله، ويسمح لي بمشاركته في بعض مشاكله وهواجسه. لكنه لا يريد أن يسمع، ولا يريدني أن أكبر!!».

وحين تزور ليندا عائلة أخرى، تطلب منها العائلة أن تغطي رأسها، لأنها سمراء، (يهودية!) وقد يظن الناس أنها عربية مسلمة استضافتها العائلة وقبلت بها وهي السفيرة فيلحق العار بالعائلة واسمها!! وترضخ ليندا اليهودية وترتدي غطاء الرأس!

لكن الزوجة تختلف هذه المرة عن زوجة المليونير السابق. فتقول للصحفية! -

«أنا أدير أمور بيتي، طبعاً، فأنا أقرر نوع الطعام حين يتصل بي زوجي هاتفياً في الساعة الثانية عشرة ظهراً ليقول لي إنه سيحضر معه عشرة أشخاص لتناول طعام الغداء عندنا. أهيمىء الوجبة ثم أختفي حتى لا يراني الضيوف. ثم إنني أحصل على تذاكر السفر إلى أوروبا بمجرد أن أطلبها. لكن ماذا أفعل في أوروبا؟ أذهب للتسوق، أو أجلس في غرفة الفندق ولا أجرؤ على الخروج مخافة أن يراني شخص من الرياض أسير لوحدي فينقل الخبر إلى عائلته!!».

«ليس هناك من رجل واحد مخلص لزوجته في السعودية كلها. هم لا يخونون هنا طبعاً، فهم هنا ملائكة، ولكنهم منافقون أيضاً. هذا يؤلمني كثيراً، ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟؟ أنا وزوجي لا نناقش هذا الموضوع لأننا لا نناقش أي موضوع ذي أهمية. يحدث بين الفينة والأخرى أن أصرخ في وجهه، لكنه لا

يضر بني ، فهو لا يستطيع ذلك ، لأنه إن فعل فسيكون ذلك اعترافاً
منه بأنني مخلوق بشري ، وليس لعبة أو طفلة!!» .

وتنتقل الصحفية لحديث أجرته مع زوج تلك المرأة . يقول
لها الزوج : -

«أنا أحب تلك المرأة . وهي تستطيع أن تؤذيني أكثر من أي
إنسان آخر . ولكن قولي لي : ماذا يمكن أن أفعل ؟ أنا أقدم لها
المجوهرات فتعز بكتفيها نافرة مشمثة . أعطيها آلاف الجنيهات
لشراء الثياب من أوروبا فتضج بالشكوى لأنها لا تستطيع لبس
تلك الثياب في الرياض ، إلا في المنزل . فأسأله : لم تشتري التنانير
القصيرة إذن ؟ لماذا تذكرين نفسك دائماً بما لا تستطيعين أن
تفعلينه ؟» .

ويتابع الزوج حديثه فيقول : -

«أنا أعمل طوال النهار ، فهل يتوجب علي أن أتشاجر طوال
الليل ؟ هي تقول إنني لا أحدثها . فمتى أحدثها ؟ إنه جزء لا يتجزأ
من عاداتنا أن نستقبل الأصدقاء في أي وقت يشاؤون . أنا لا
أستطيع أن أقفل باب بيتي لأتحدث إليها . ولست أريد أن أقفل
بابي ، فماذا يوجد في هذه الحياة ما هو أهم من الأصدقاء
والعائلة ؟ ...» .

«أنا لا أؤمن بأن عليها أن تغطي وجهها ، لكنني لن آتي بالعار
على عائلتي بالسماح لزوجتي بأن تمشي سافرة في وضوح النهار . لكنني

أسمح بذلك في الليل ، حين نكون في السيارة وفي طريقنا إلى بعض أصدقائنا. في تلك الحالة لا أطلب منها سوى وضع غطاء رقيق على رأسها، وعباءة طويلة ألا ترتدي النساء إشارات في أوروبا؟ وهل هذه تضحية كبيرة؟ قبل عشر سنوات لم يكن بإمكانني حتى اصطحابها في السيارة، ناهيك عن ركب السيارة معي بلا غطاء وجه، ولم يكن بإمكانني إرسالها إلى أوروبا لقضاء فصل الصيف بعيداً عن جونا اللاهب الخانق. لماذا لا ننظر إلى تطور الأمور نحو الأفضل؟».

«بالطبع لا يمكن أن تعمل. ولماذا تعمل؟ فنحن لسنا بحاجة إلى المال. وعائلتي لن ترضي عن ذلك، أحياناً أشعر بأن الماضي كان أفضل من الحاضر، فالحياة الآن تزداد تعقيداً، وأنا خائف مما يجري لنا جميعاً».

ويخرج الرجل إلى المنطقة التي يبني فيها قصرًا سيكلفه ثلاثة ملايين دولار..

المعمل

تقول ليندا بلانديفورد:

«حين اعتلى الملك فيصل عرش السعودية عام ١٩٦٣ وجد في خزانة الدولة ٣٧٥ ريالاً سعودياً، ووجد معها ٣٠٠٠ أمير سعودي. أما خالد، شقيق فيصل، فقد ورث مملكة وصلت

عائداً عام ١٩٧٥ - ١٩٧٦ إلى مائة وأحد عشر ألف مليون ريال، لكنه ورث أيضاً عدداً من الأمراء يقارب عدده ضعف عدد الأمراء الذين ورثهم فيصل. فلا غرابة أن يطلق الناس على آل سعود اسم «المعمل»، فهم ينتجون نماذج جديدة في كل يوم، تماماً مثل معامل سيارات ديترويت في أمريكا.

وليس غريباً أن تعتبر البلاد كلها «مخزناً لشركة آل سعود»، وأن يعتبر كل فرد من أفراد العائلة المالكة شريكاً مساهماً في ذلك المخزن. صحيح أنهم يقدمون بعض فتات موائدهم للمواطنين، ولكن عدد هؤلاء المواطنين قليل جداً. الاحصاءات الرسمية تقول إن عدد السكان يتراوح بين ٨ و ٧ ملايين نسمة. الاحتمال الأكبر أن عددهم لا يتجاوز الأربعة ملايين. فتعداد السكان في هذه البقعة من العالم يبقى موضوعاً سياسياً بالغ السرية والحساسية. إلا أنه مهما كانت طبيعة إنفاق الحكومة السعودية لثروتها، فإن أمراء العائلة المالكة يقتطعون حصة الأسد منها. وفي الخزينة ما يكفي لكل واحد منهم!؟

لست أدري كيف يحصل آل سعود على الأموال، ولا ما يملكون منه، ولا أين يحتفظون به، فإن محاولة معرفة هذه الأمور قد تكون مهمة محفوفة بمخاطر لا يتمناها لك صديق محب!! لكن الأموال بين أيديهم وفيرة. أما مدى ثراء الأمراء فيعتمد اعتماداً كبيراً على ما يقررون أن يفعلوا بحياتهم. بعضهم يملك الغنى

الفاحش، وهؤلاء يفضلون الراحة المطلقة، يخرجون أموالهم المتراكمة ويصرفونها ولا يعملون شيئاً .

وهؤلاء أكثر حرصاً الآن فيما يتعلق بالأسلوب الذي لا يفعلون شيئاً بموجبه!! فقد خطا «المعمل» خطوات واسعة جداً منذ أن بنى الملك سعود قصر الناصرية الشهير الذي كلف ٢٥ مليون جنيه، وبنيت فيه القصور المنفصلة لكل زوجة من زوجاته الأربع، بالإضافة إلى المنازل الفخمة لخليلاته الاثنتين والثلاثين، وبالإضافة إلى القصور السبعة والثلاثين التي بناها الأمراء مقربين لهم مكانتهم عنده. أما خلفه، الملك فيصل، فكان رجلاً متقشفاً لا يحب حياة المظاهر والبذخ. وقد استمرت تقاليده من بعده. وكانت إحدى هذه التقاليد هي الحرص: فقد عاش فقيراً ولكنه مات غنياً جداً.

وخلاصة القول أنه لا وجود لشيء يسمى «أميراً سعودياً فقيراً». بعض الأمراء لا يفعلون شيئاً ولكنهم يملكون الأراضي، ويوظفون عليها من يديرها ويحولها إلى مصدر ربح وفير. وبعض الأمراء يمارس التجارة سراً، وبعضهم يمارسها علناً. يستحيل أن يعرف أحدكم يربحون، والأكثر استحالة هو أن تعرف من يربح كم، ولصالح من!!

وهناك أمراء أقل طموحاً «يؤجرون» أسماءهم للشركات

الأجنبية لكي تحصل على العقود. لكن هذا «التأجير» غالي السعر جداً هنا. وهناك أمراء آخرون أكثر جرأة يستخدمون أسماءهم لدعم قريب ما في أعماله التجارية، ثم يحصلون الأرباح بأنفسهم بهذا تجد مثلاً أن أحد إخوة الملك يهدد شركة بريطانية برفع دعوى قضائية ضدها، لأنه يطالبها بكمسيونه أو عمولته البالغة نصف مليون جنيه استرليني، والتي لم تدفعها الشركة مقابل حصولها على صفقة أسلحة عقدتها مع الحكومة السعودية!! وحقيقة الأمر أن الصفقة أجريت مع أخيه وزير الدفاع، وليس معه شخصياً!!

تجار السلاح

كما يعلم الجميع، فإن تجارة السلاح في العربية السعودية هي ظاهرة فريدة من نوعها. وهي مصدر ثروة هائلة لمن يستطيع أن يقتحم عالمها ويدخل أسرارها. ولهذا كان أول من دخل ذلك العالم هم الأمراء، ساعدتهم في ذلك الصراع العائلي المرير والشك المتبادل فيما بينهم. هناك قول مأثور شائع في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية (وهو قول من المهم جداً أن تذكره مع تلك الفكرة الأكثر تفاقلاً: فكرة: بكرة إنشاء الله)، يقول هذا المثل: أنا ضد أخي، وأنا وأخي على أولاد عمي، وأنا وأولاد عمي ضد العالم.

هناك عدد كبير من الأمراء الكبار لم يلتق بهم حتى الآن ولا حتى كبار الوجهاء السعوديين. وهناك عدد أكبر منه لم يسمع بهم

أحد. قبل بضع سنوات، كان أحد هؤلاء الأمراء، واسمه مسعد، أكثر شهرة في القاهرة منه في الرياض حيث استهوته القاهرة لما فيها من هوايات باهظة التكاليف يجب أن يمارسها هناك. نشرت صورته الصحف الفرنسية وهو يرقص عارياً في باريس وسيفه مسلول في يده. لم تعجب النكتة ابن سعود، وهكذا فقد أحضره إلى البلاد ووضعه تحت الإقامة الجبرية. لكن الملك فيصل قدم المال لمسعد فيما بعد ليشتري منزلاً في بيروت و«يسرح على هواه». وفي عام ١٩٧٥ أصبح اسم «مسعد» اسماً سيء السمعة، ولكن على كل شفة ولسان، فقد كان ابنه هو الذي أطلق النار على فيصل وقتله، ثم قطع رأسه في ساحة عامة.

تأخر آل سعود في تحديد يوم تنفيذ حكم الإعدام (ولا شك أنهم كانوا يستجوبون القاتل استجواباً دقيقاً قبل إعدامه). وكانت تلك فترة عصيبة في الرياض، لأن الكل كان يتساءل حول ما إذا كان الإخوة وأبناء العم سينقلبون ضد بعضهم البعض، أو أنهم سيقفون متضامنين متماسكين في وجه الدنيا. لكن «المعمل» تماسك ووجد صفوفه، وسويت جميع الأمور في ظل الملك الجديد، أما بعض الأمراء المستائين الذين خلفهم فيصل وراءه فقد قدمت لهم حصص جديدة في كعكة الحكومة، وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعي. هذا شيء جيد، ويبقى جيداً إلى أن تعرفوا ما هي الأمور التي عادت إلى مجراها الطبيعي المعتاد!! فقد جرت الأمور على ما يلي:

صار خالد ملكاً، وأخوة لأبيه، فهد، ولياً للعهد حيث استقامت أخلاقه وتحسن سلوكه، مما سبب الكثير من الحزن والأسى في العديد من نوادي القمار في جميع أنحاء العالم. أما شقيق ولي العهد فقد أصبح وزيراً للدفاع، ومسؤولاً عن القوات المسلحة التي تقدم لضباطها وجنودها الرواتب والامتيازات الكبيرة. لكن شقيق الملك هو الذي يشرف على الحرس الوطني، والحرس الوطني هو قوة صاعقة شكلت من رجال القبائل الصحراوية التي يسري الولاء لآل سعود في شرايينها (والتي يقدر زعمائها أعظم التقدير السبائك الذهبية التي يحصلون عليها مقابل إقناع رجالهم بالتطوع في الحرس الوطني).

إلا أن قوات الجيش وقوات الحرس الوطني تبقى منفصلة تماماً عن بعضها البعض، فلا تعرف إحداها ما هي الأسلحة التي تحصل عليها الأخرى، ولا من أين تحصل عليها ولا متى. الحكومة تراقب أعداءها الخارجين والجيش يراقب البلاد، والحرس الوطني يراقب الجيش! والوسطاء يصنعون الثروات الهائلة من توريد الأسلحة لكلا القوتين. وتكون حصة الأمراء من ذلك هي حصة الأسد، وحتى كبار الضباط لا تنسى حصصهم من هذه الصفقات.

السعوديون غاضبون جداً من موقف الغرب عموماً تجاه العمولات والرشوات التي تدفع مقابل بيع الأسلحة للسعودية (مع

أنهم شعروا بالارتياح منذ أن اكتشفوا أنه حتى البلدان الغربية تغني على نفس المنوال، وتصدق بنفس الموال). الغرب يصف صفقات الأسلحة السعودية بأنها صفقات فساد. والسعوديون لا يحبون ذلك الوصف. فهم ينظرون إلى العمولات على أنها «أجور خدمات قدمت» والرشوات على أنها «جزء تقليدي من شروط الوصاية على التجار». فالمقامات لها حقوقها!! والمقامات هنا تعني الالتزام بتقديم العطايا، وتعني أحياناً أخذ نصيب كبير من قيمة الصفقات المعقودة.

ومهما كانت ادعاءات الحكومة القائلة بأن أحداً من الأمراء لا ينجني أموالاً، أو قل لا أحد تقريباً، ينجيها من هذه الصفقات، فإن قولها يبقى صحيحاً إذا فهمناه على أنه يعني أنه لا أحد يحصل على الأموال إلا بموافقة فئة أو أمير من العائلة المالكة. فكل رجل أعمال كبير في الرياض - مركز الحكومة - داخل حتماً وعالق في نسيج عنكبوت العائلة إياها، وإلا استحال عليه تحقيق أي نجاح. هكذا يعمل «مخزن شركة آل سعود».

فكونك تدخل عالم الأعمال، حتى ولو كان ذلك المجال هو مخزن شركة آل سعود، لا يعني أبداً بالنسبة لآل سعود، والسعوديين إجمالاً، ما يعنيه للغربيين، ولا لكل مخلوق آخر على سطح الأرض. ولم لا؟ فإذا كانت التجارة مهنة شريفة للجميع، فلماذا لا تكون كذلك بالنسبة للعائلة المالكة في السعودية؟! ولكن

يحدث أحياناً أن تتشابك مصالح العائلة العامة والشخصية .
فيكون ذلك من دواعي الأسف والحزن : صحيح أن الأسلحة هي
مسألة أمن . ودفاع ، حسب رأي آل سعود ، ولكنها تجارة أيضاً !!
وفي هذا المجال يصول آل سعود ويجولون ، ويخططون ويتآمرون
باسم الشرعية الملكية السعودية .

ينبغي على كل من لا يزال يتذكر التحقيقات التي أجراها
الكونغرس الأمريكي في تجارة الأسلحة السعودية أن يتذكر دائماً
قصة تحكى على لسان الملك ابن سعود . تقول القصة إن رجلاً
احتاج إلى متعهد يقدم له شحنة من مراوح التبريد ، قدرها مائة
مروحة . طلب الرجل عروضاً من التجار ، وسره أن يجد أن أحد
تلك العروض يقلّ بنسبة ٥١ بالمائة عن بقية العروض المقدمة .
فقبله ، وسرعان ما وصل لعنده حمار يجرّ عربة تحمل مائة مروحة
من مراوح السيدات . اشتكى التاجر المكظوم إلى الملك ابن سعود
طالباً انصافه . فقال الملك إن الصفقة صحيحة ومقبولة . فقد
حصل على ما طلبه !! طلب المراوح ، فجاءته المراوح ! لم تكن
عملية بارعة الذكاء ، ولكنها ذكية . ليس المهم أن هذه قصة
سعودية ، المهم أن السعوديين يروونها ! وبالطبع لم يكن بائع
المراوح العبقري أوروبياً ، ولكن كان سعودياً أصيلاً !!

وأول من يخطر على بال الأمر في هذا الميدان هو اسم عدنان
خاشوقجي ، الذي بلغت عمولاته مئات الملايين من الدولارات

من شركتي نورنثروب ولوكهيد وحدهما. عدنان الخاشوقجي لا يخطو خطوة واحدة إلا بعلم الأمير سلطان، وزير الدفاع، وموافقته. كما أن عدنان صديق مقرب جداً من الملك فهد.

لكن عدنان الخاشوقجي لا يعدو أن يكون واحداً من عدد كبير من الوسطاء. فهناك عدد كبير من الذين تحير مصالحهم وصفقاتهم العقول، كما تفعل مصالح الخاشوقجي. لكنهم يمارسونها بحصافة وسرية أكبر.

سيرة الخاشوقجي، خاصة في مجال الحفلات السامرة والنساء الساهرات الساحرات المتوفرات دائماً حين الطلب، لم تعد تخفى على أحد. حتى نيخته محمودية، صار علماً في جنوب فرنسا. لكن باعه في عالم صفقات السلاح ليس الباع الأطول.

قليلون هم الذين يعرفون غسان شاعر ومكتبه الطائر في غروفر سكويك بلندن، وشقيقته الكاتبة في نفس المنطقة، ولو أنه يفضل النزول في فندق الدورشستر لسهولة التنقل والاتصال. غسان شاعر هذا رتب أكبر صفقة سلاح عقدت عام ١٩٧٥، وأكثرها مدعاة للتساؤل، وهو الذي رتب أيضاً عملية تجنيد الضباط والجنود الأميركيين السابقين الذين كانوا يشكلون الوحدات الخاصة في حرب فيتنام، ووضع معهم عقوداً خاصة للعمل في السعودية، بواسطة متعهد خاص اسم شركته: شركة فينيل المتحدة من لوس أنجيليس. أما المهمة التي أوكلت

إلى هؤلاء الضباط فهي تدريب قوات الحرس الوطني السعودي على عمليات حماية آبار النفط وحقوقه . أطلقت تلك الصفقة صفارات إنذار وأجهزة إنذار كثيرة . وطرح السؤال : هل هذه وحدة مرتزقة مكشوفة ؟ أم أنها مجرد « عواثق » و « عوارض » وأجهزة تجسس داخل السعودية ؟ فإن كانت وحدة تجسس ، فمن الذي يتجسس ، وعلى من ؟ ومن يحمي السعوديون آبار النفط : من أمريكا ؟ أم من إيران ؟ أم من إسرائيل ؟ أم من عمليات تخريب داخلي ؟ وتمت الصفقة ، ولم تكتب الصحف عن غسان شاعر شيئاً ، ولم يزد اسمه في تحقيقات الكونغرس الأمريكي . وهذا أمر طبيعي ، لأن ظهور اسم شخص ما واشتهاره سيعني أنه في طريقه إلى التلاشي والاضمحلال . ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لغسان .

لا يزيد عمر غسان عن الخمسين عاماً ، وهو ابن ضابط في الجيش العثماني ، ومن خريجي جامعة كمبرج ، التي درس فيها القانون والأدب الانكليزي ، ويبلغ من نعومة المعشر أنه يستطيع أن يبيع ويروج مسحوق الغسيل عند السيدات ، بصوته المثير .

لا يخفي غسان شاعر حقيقة وجود علاقات قوية بينه وبين أقوى أمراء آل سعود ، ويستطيع زيارتهم في أي وقت يشاء ، ومن هنا جاءت قدرته على تأمين صفقة قوات الكوماندوس الأمريكية للخدمة في الحرس الوطني السعودي .

يتساءل غسان باشياء عن سبب الضجة الغربية حول مسألة العملات، ويقول للصحفية البريطانية: «أما أن لكم أن تفهموا أن هذه هي السعودية، وليس أوروبا أو أمريكا؟؟ ماذا يفيد أن نأخذ عملات على هذه الصفقات. الصفقة تكون بين حكومتين، وقد رتبت أمر عدة عقود كبيرة في هذا المجال. أما ما يتعلق بصفقة الوحدات الخاصة، فقد أمضيت ثماني سنوات من عمري وأنا أوطد دعائم هذه الوحدات الأميركية في السعودية. فلماذا كل هذا الضجيج في الغرب؟! لقد أنعم الله على هذا البلد بثروة خيالية، وأحب أن أشعر بأنني أخدم ربي ووطني...»

وهكذا أَرْضَى غسان شاكر ربه ووطنه بأن أحضر قوات أميركية خاصة إلى السعودية.

وبالمناسبة الحديث عن رضى الله على غسان شاكر تقول الصحفية إن آل سعود يدخلون الله كثيراً في شؤونهم التجارية، ولكنها لم تخدع بذلك، كما لم تخدع حين أتى ريتشارد نكسون بالكهنة والرهبان للصلاة في البيت الأبيض بينما كان يعد «خازوق ووترغيت». فالسعود لا يجدون تناقضاً بين ما يعتقدون به وما يفعلونه، حتى إنهم بدأوا يعبدون إلهين: الله والشيطان!!

وتضيف الصحفية قائلة: كنت أثور غضباً حين كنت أسمع اسم الله يدخل في كل صفقة تجارية، حتى ولو كانت صفقة

كومانندوس أمريكيين يستأجرون لحماية آل سعود!! حتى يشعر
المرء بأنه لم تكن لتعقد صفقات أسلحة بين آل سعود وأمريكا لو لم
يكن الله حاضراً عقدها!!

وبالإضافة إلى مقامه الرفيع بين آل سعود، فإن غسان شاعر
هو السعودي الوحيد الذي سمح له بأن يشغل منصباً رسمياً لدى
حكومة أجنبية، فهو المستشار الخاص لسلطان عُمان، كما أنه وكيل
شركات سجاير رينولدز، وشركة طيران الشرق الأوسط وطيران
إير فرانس، بالإضافة إلى شركة سيارات روفر البريطانية، التي
كانت على قائمة المقاطعة العربية حين تسلم وكالتها، بدوافع
الحاجة طبعاً!!

يقول غسان شاعر إنه بدأ من الصفر، ولم يقدم له والده
سوى إسم العائلة، وأمن هو العلاقة الجيدة مع آل سعود، فهو
على صلة قوية بهم جميعاً، خاصة مع وزير الخارجية الأمير سعود.

ولكن هناك «وسطاء» آخرون غير غسان شاعر لا يمكن حتى
ذكر اسمائهم في مكاتب الأمراء الذين يعرفونهم ويقومون بأعمال
الوساطة لحسابهم.

تقدم الصحفية مثلاً على ذلك حكايتها مع أحد كبار الأمراء
الذي قطع لها وعداً بمقابلتها وتناول طعام الغداء معها. لكنه أمير
بالغ الأهمية، وغالباً ما تجده في المطار لاستقبال رئيس دولة أو

شخصية هامة، ولكن بانتظار الوفاء بالوعد، يحيل الأمير الكبير الصحفية على مساعد سعودي آخر له، أي أحد وسطائه الذي يدعوها إلى الغداء برفقة مدير «أعمال» الأمير. تقول الصحفية:

لنقل أن اسم ذلك الوسيط هو «محمد»، فقد يتعرض للإحراج إن أنا ذكرت اسمه، خاصة وأن السعوديين لن يعجبوا بقصتي هذه. بدأ محمد حياته راعياً للأغنام في قريته، ولكنه يملك الآن قطعاً آخر، ليس من الأغنام، ولكن من سيارات الليموزين، بالإضافة إلى عدد غير محدد من الشركات. لم أستطع تصور خطوات صعوده من عالم رعي الأغنام إلى عالم أكبر وكيل للسيارات في الرياض.

«ولنقل ان اسم مضيفنا، ومدير أعمال الأمير هو عبدالله، الذي دعا إلى حفلة الغداء مجموعة من رجال الأعمال الأميركيين الذين أتوا لمحاولة «الالتقاء» على محمد، ليعاونهم في «الالتقاء» على عبدالله، الذي يستطيع «الالتقاء» على الأمير لإعطاء موافقته على مشروع كبير يفكرون في تنفيذه في السعودية.

«سألني عبدالله وهو يحشوفمه بقطعة لحم ضأن كبيرة: ماذا كنت تتوقعين قبل أن تصلي إلى بلادنا؟».

وقبل أن تجيب الصحفية، ينادي عبدالله على أولاده، ثم يشير إلى عصا غليظة معلقة على باب غرفة نومه. قال إن العصا

معلقة هناك لاستخدامها في ضرب أطفاله . يقولها بتفاخر عات قاسٍ وبصوت يشبه صوت نباح الكلاب! ينفجر الأطفال في ضحك عالٍ مسموع . . ويضحك الأب وهو يقول: هل صدقت ما قلت؟ كيف يمكنني أن أضرب طفلاً لي؟! انظري إليهم!! ماذا؟ هل تظنيني وحشاً؟!

«عبدالله هذا يدير استثمارات الأمير المقدرة بمئات الملايين من الدولارات . ويجري توظيف هذه الاستثمارات في نفس القطاع من الحكومة الذي يسيطر عليه الأمير سيطرة كاملة (يتضح هنا أن الأمير المقصود هو الأمير عبدالله ، وقطاع الحكومة هو الحرس الوطني!! والله أعلم!). بالطبع يحصل عبدالله على حصته من هذه العقود، وهذه هي الطريقة التي ينفخ فيها بعض الأمراء السعوديين جيوبهم بدون أن يكون لهم ضلع مباشر في عملية الاستثمارات نفسها» .

تقول الصحفية: «لم أدرك مدى سرية علاقة الأمير بعبدالله هذا إلاّ حينما ذهبت إلى مكتب الأمير الرسمي لأترك لعبدالله رسالة شكر على استضافته لي في منزله . فما أن رأى مدير المكتب الاسم حتى خيم صمت عميق، ثم اقترب مني وقال: أنا لم أسمع بهذا الاسم في حياتي!! لهذا لم أعد أستغرب استحالة لقائي بذلك الأمير خاصة!!

الامير فواز، أمير مكة دائماً سكران

في قصر الأمير عبد العزيز الثنيان، أمير الرياض وزوج لطيفة، ابنة الملك فيصل، تجلس الصحفية البريطانية حول مائدة الطعام السخية، تتحدث إلى العائلة. ومن طاولة الطعام، ينتقل الجميع إلى الشرفة المطلة على حوض السباحة الخاص بالقصر، وهناك تفتح لطيفة قلبها للصحفية البريطانية. لكن إحدى ابنتيها تتدخل في الموضوع لتشكو من الصورة التي يرسمها الغرب والأجانب عموماً للسعودية وعائلتها المالكة. تقول الابنة: إن أول سؤال الأجانب حين تكون في أوروبا هو: هل تعيشون في خيمة؟ تبرر الفتاة هذا السؤال بأن الأجانب لا يعرفون الكثير عن السعودية وعائلتها المالكة، ثم تشير بيدها إلى حوض السباحة ومعالم الترف المحيطة بها، وكأنها تقول: أنظروا!! نحن عندنا من مظاهر حياتكم الكثير!! ثم تشكو الابنة من الصحافة البريطانية التي تتحدث كثيراً عن قطع يد اللصوص في السعودية وتقول إن تلك الصحافة التي تُشهر ببلادها إلى هذا الخد لا تذكر أبداً أن إثبات تهمة السرقة تحتاج إلى شاهدين يضبطان السارق أثناء السرقة، وأن قطع اليد لا يتم إلا بعد الإدانة الثالثة لنفس السارق. هنا تتدخل لطيفة لسأل زوجها عن عدد حوادث القطع التي جرت مؤخراً، فيجيب زوجها: حادثان خلال الأعوام الثلاثة الماضية. . في الرياض. .

لكن لطيفة، كما تقول الصحفية، لم تسأل زوجها عن تعريف السارق في الاسلام. فالجواب واضح، أليس كذلك؟ والدليل على ذلك أن زوجها وكل أمراء آل سعود لم يتعرضوا لعقاب قطع اليد مرة واحدة!! ولماذا تقطع أيديهم، إذا كان عدنان الخاشوقجي ما يزال سليم اليدين، واللسان أيضاً، وكذلك غسان شاكر وغيث فرعون، وغيرهم!!

ميزة الأميرة لطيفة أنها تعتني بأولادها، وهو ما لا تفعله معظم الأميرات الأخريات الأكثر خصوبة، حيث لا يلتقين بأولادهن إلا نادراً. حتى إن فيكي كالدويل، مثلاً، وهي مربية (خيول) الأمراء، تلتقي بأطفال الأميرات، أكثر مما تفعل الأمهات أنفسهن.

من هي فيكي كالدويل؟ تقول الصحفية البريطانية إن فيكي كالدويل «غير موجودة رسمياً»؟! فقد ذهبت إلى السعودية للتدريس فيها قبل عدة سنوات، ثم بقيت هناك، وفجأة «ظهر» اسطبل الخيول. أشار عليها محام صار عضواً في الوزارة السعودية أن تقيم حظيرة خيول في الأرض التابعة لمنزلها الكبير، وأن تستخدم هذه الخيول لتدريب صغار آل سعود على ركوب الخيل!! وهكذا صارت فيكي محط أنظار الأمراء والأميرات الصغار، الذين يأتون إلى فيكي، ترافقهم مربياتهم الأوروبيات طبعاً!!

تسأل الصحفية فيكي : -

- هل تلعب أمهات هؤلاء الأطفال معهم؟

- وهل تمزحين؟؟ بعض الأمهات لا يرين أطفالهن في الأسبوع مرة. خذي مثلاً زوجة الأمير سعود بن فيصل، وزير الخارجية، وأم هذه المجموعة من الأطفال أمامك. إنها إما نائمة، أو في قصر آخر من القصور: ولكنها أفضل من غيرها على كل حال، فهي لا تعيش على العقاقير والمخدرات إن هؤلاء يعيشون حياة بائسة بالرغم من كل الأموال التي يملكونها. . صدقيني إذا قلت لك أنني لن أَرْضَى بأن أكون أميرة حتى ولو دفعت لي أجراً مقابل ذلك!

وماذا عن الأميرة السنية، الجميلة المصرية التي كانت تتمنى أن تكون أميرة منذ أن كانت تلعب بألعابها في منزل أهلها المتواضع في مصر. وتحقيقاً لهذا الأمل، فقد تزوجت فوزية، الأمير فواز، أمير منطقة مكة، وأحد إخوة الملك!

وحتى تعرفنا الصحفية البريطانية على الأميرة فوزية زوجة الأمير فواز، تنقلنا إلى شاليه أو قصر بحري على شاطئ بحر جدة. صاحب الدعوة هو أحد أكبر أغنياء تجار جدة، وقد هيأ مأدبة فاخرة، مع كميات وافرة من أغلى أنواع المشروبات الكحولية. ولم لا والحفلة مقامة على شرف أكبر شخصيات

جدّة، ثم إن الأمير فواز وزوجته الأميرة فوزية سيحضران الحفلة - المأدبة، وهما نادراً ما يحضران حفلات «العوام» أمثال صاحب الدعوة الحالي!

أما المناسبة فهي توديع السفير السعودي الجديد في واشنطن . .

ما أن يصل الأمير فواز، ترافقه عيناه الناعستان وشارباه النائمان، وكتفاه الهابطتان، حتى يمسك بتلابيب زجاجة الويسكي تمسكه بالحياة نفسها. وتتساءل الصحفية وهي تراقبه يجرع الكأس بعد الأخرى: من أين أتته الشجاعة التي حملته على الذهاب إلى مصر عبد الناصر في قمة الصراع السعودي - المصري. ولكن الماضي راح وولّى، وفترة الحياة في مصر كانت «سقطّة» و«هفوة» لا أقل من ذلك ولا أكثر. إن فواز، حسب رأي الصحفية، هو مثال حيّ على الأسلوب الذي يمتص به «معمل آل سعود» الخارجين على طاعة العائلة والناشزين فيها. كما يستمد الفواز القوّة المعنوية، كما يفعل هذه الليلة، من مصاحبة زجاجات الويسكي ليل نهار (مع أنه، باعتباره حاكم مكة، هو المسؤول الأول عن مصادرة المشروبات الروحية وإتلافها!!)، ومن مصاحبة آخر ذكرياته المصرية، أي زوجته الأميرة فوزية.

تملك الأميرة فوزية من خصائص الملوك والأمراء والأميرات ما يكفي لمقامها ومقام زوجها مجتمعين!! فهي تمارس دورها حتى آخر التفاصيل، فتندفع داخل الغرفة وهي ترتدي فستاناً من الشيفون الأبيض، وتاجاً من الشعر الأسود الفاحم، وتمد يداً كبيرة بضة بيضاء تربع على أحد أصابعها خاتم من الألماس الثمين، ليصافحها المصافحون.

وعندما تغادر الأميرة فوزية وزوجها الحفل في الساعة الثانية صباحاً، تترك وراءها ذكريات كتفين ملكيين كبيرين يحملان ثديين ملكيين كبيرين!

ذلك أن الأميرة فوزية لا تسمح لأحد بأن يغفل عن مراقبة ثدييها. خاصة حين تستقبل النساء في حفلها الأسبوعي، وفي قصرها وغرفة استقباله الفارهة التي تشبه غرف كبار نجومات السينما العالميات. كل ما حولها من مظاهر البذخ كانت تبدو وكأنها وضعت هناك لتذكرها وتؤكد لها بأنها أميرة!! فهي تكاد لا تصدق ذلك! صحيح أن ورق الجدران الذي يغطي جدران الغرفة يستحق أن يكون في غرفة الحمام، ولكن ذوق الأميرة الملكي قرر أنه أرفع مقاماً من الحمام، فوجد طريقه إلى غرفة الاستقبال! أما لماذا كانت الورود والأزاهير من البلاستيك، فهو سؤال لم تجرأ الصحفية على توجيهه للأميرة بالغة الملكية!!

المهم أن الأميرة تندفع داخل الغرفة، فتحيي ضيفاتها
وببدأ الحديث عن ثدييها! وباعتبارها أميرة، فإن اهتماماتها
الطبية تبلغ حدود الهوس، والمراجعات الطبية بخصوص ثدييها
وكيفية الاعتناء بهما تستغرق مدة «الاستقبال». ربما تعتقد
الأميرة أن الحديث عن دقائق تفاصيل الثديين اللذين كانا يملآن
الغرفة لا بد أن يزيد تلك الغرفة سحراً وجمالاً. وهي تؤكد أن
أكبر الاختصاصيين العالميين تحسّسوا الثديين ودلكوهما وأثنوا
عليهما..

ولأن هذه الحياة تحتاج إلى نهر من الأموال، فإن الأمر لا بد
من طرحه. لكن المشكلة محلولة والحمد لله. فالأمير فواز هو أمير مكة.
وموسم الحج على أشده والأمير مشغول كثيراً هذه الأيام، لأنه يعمل
خمس ساعات كل يوم، عافاه الله، في حين أن دوامه على مكتبه لا يتجاوز
الساعتين يومياً في الحالات العادية.

وهكذا فإن مشاكل تأمين المال وتدفعه تبدو بعيدة كل البعد
عن غرفة استقبال الأميرة فوزية والحديث عن نهديها.

ولأن الأميرة لا تنجب أطفالاً، ولأنها تحرص على الابتعاد
عن «العوام» الذين لا ينتمون إلى العائلة المالكة مثلما تنتمي
هي فإنها وحيدة غالباً، ولا تزور أحداً.

وتحمد الصحفية ربها على أنها لم تضطر للقاء بالأميرة

فوزية مرة أخرى أثناء فترة وجودها في السعودية.

الشيخ زكي اليماني... شيخ عصري جداً

لم ينسى الشيخ زكي اليماني أبداً ما تقوله الصحف الغربية عنه. لا قبل عزله ولا بعده. قالت عنه إنه «دون جوان» محترف، لا يسافر من بلد إلى آخر إلا برفقة فرقة من راقصات هز البطن، ونادراً ما يصطحب في رحلاته زوجته (التي انفصل عنها منذ فترة طويلة، وتزوج بأخرى أصغر منها سناً)، وقالت عنه أيضاً إنه لا يشعر بالأمان إلا داخل السعودية. بينما لا يعيش أجواءه المفضلة عنده إلا حين يكون في أوروبا وأمريكا.

استقبل زكي اليماني الصحفية البريطانية في منزله في الرياض، ثم أخذها معه، وأخذ زوجته الجديدة أيضاً، إلى حفلة مختلطة هناك. تقول الصحفية في وصفها للحفلة: -

حتى يمكن للمرء أن يصف الصدمة التي يلقاها من أي تجمع «للزمر»، لا بد من انعطافة قصيرة نحو الماضي. كانت وزارة الإعلام السعودية قد رعت عرضاً حافلاً لمعرض عن «المملكة الغربية السعودية». قطعت الصور النسائية من معروضات الفيلم حتى لم يبق سوى صورة امرأة واحدة غطت وجهها بقناع سميك جداً، حتى بدت ككيس توضع فيه الثياب قبل غسلها. ففي هذه العاصمة لا تكاد ترى امرأة واحدة في.

الشوارع . وكنت افترض أن تحت هذا السواد القبيح يقبع قبح أكثر بشاعة ، وأن النساء غير المحجبات اللواتي التقيت بهن كن حالات استثنائية . .

إلى أن اصطحبني زكي اليماني إلى تلك الحفلة في الرياض .

فقد دخلت غرفة الجلوس في البيت الصغير ، فوجدته يتألق بالنساء الجميلات اللواتي احترقت عيناى من رؤيتهن مجتمعات في مكان واحد . كن يرتدين أجمل الفساتين التي يمكن لأوروبا أن تبتكرها . ولم يكن هناك واحدة منهن لم تغطي المساحيق وجهها ، ولولا وجود «أثواب» الرجال وأغطية رؤوسهم لكنت طننت نفسي في أي مكان في هذا العالم تجتمع فيه النساء الثريات لابسات أحلى الثياب وأنقها!!

اللقاءات المختلطة ظاهرة جديدة في الرياض ، وما يزال الخجل يعترى مرتاديها فتحترج النساء كيف تحدث الرجال ، والعكس صحيح . هذا الخجل له قوة تأثير هائلة جعلتني أن أشعر بالخرج من التحدث إلى الرجال بعد أن حضرت عدة حفلات من هذا النوع . والإحساس الجنسي يملأ جوها ويغطي على كل ما يحدث فيها بالرغم من عدم الاعتراف به والحديث عنه .

كان الحاضرون زهاء أربعين . . والحر شديد رغم وجود مكيفات الهواء، ولكن مجرد رؤية كاحل امرأة هنا قد يثير الرغبة الجنسية . . فلا ترى كاحلاً أبداً.

وتجلس النساء مع بعضهن ويبدأن الحديث والتدخين بلا انقطاع، بينما يتجمع الرجال في غرفة مجاورة للعب «البردج».

وفي زاوية من زوايا الغرفة يجلس رجل هاديء مسالم، هو الجنرال زهير، أحد كبار ضباط قيادة الجو السعودي، والمعروف، مع ضابط سعودي آخر، لدى شركة نوثروب، حيث ظل يتراسل معها بالشفيرة مدة من الزمن للحصول على عمولته منها والبالغة حوالي ٢٥٠٠٠٠ جنيه (عام ١٩٧٣!) من عقود صفقات الطائرات المقاتلة التي عقدتها الشركة مع السعودية.

جلست أتحدث إلى هذا الرجل بالغ اللطف والهدوء، فانضم إلينا الدكتور هشام عبد الغفار، معاون وزير الصحة، وطبيب الأسنان المعروف.

هشام متزوج من الشريفة فاطمة منديلي، التي اتخذت لها مثلاً أعلى في المظهر والأناقة جاكى أوناسيس كنيدي. كانت أول مدرسة أنثى تعمل في جامعة الرياض، وأول مذيعة سعودية، وهي من السلالة الهاشمية . . وهذا أول ما يذكر عنها حين يذكرها الآخرون، ويذكرون أيضاً الطريقة التي جذبت

بواسطتها اهتمام إدوارد كينيدي بها حين زار الرياض . ويقولون أيضاً إنها «رجل العائلة»، فهي التي تأمر وتنهي في منزلها.

ثم تقع عيناى على أالميرا ناظر، البالغة من العمر خمسة وعشرين عاماً، أما زوجها فهو منافس اليماني الخطير، هشام الناظر، الذي كان يسعى في تلك الأيام لكسب حظوة آل سعود. أما مؤهلاته فهي انتماؤه إلى كلية فكتوريا في القاهرة، وهي المدرسة الانكليزية الداخلية التي كانت تخرج الملوك والوزراء ورؤساء الجمهوريات الذين سيحكمون البلاد العربية في المستقبل. وكان من الطبيعي أن يستدعي الناظر مستشاريه من أمريكا وأوروبا، وأحياناً مصر، لمساعدته في وضع خطط التنمية التي كان يقدمها للحكومة السعودية، والتي كانت غالباً ما ترفضها، كما رفضت خطة عام ١٩٧٦.

وعندما وضع الطعام على الموائد، شعرت بأني لم أشاهد في حياتي كميات من الطعام توضع على مائدة واحدة كتلك الكميات التي كوموها من أجل عشاء «صغير» فالخرفان المحشية، والدجاج، والخضروات، والكباب كانت تكفي لإطعام عدة مئات من الناس.

ويرتب لي قبل الانصراف من الحفلة، موعد مع زوجة زكي اليماني، فهي مفتاح أسراره. اتفقنا على قضاء يوم كامل

معاً، ولكن ذلك اليوم لم يبدأ إلا بعد العصر، لأن «تمام» لا تنهض من فراشها قبل ذلك الوقت.

«لم تستطع تمام أن تقرر ما ستملاً به وقتها اليوم، أو ما بقي من هذا اليوم. تقلب كتب مكتبتها فتجد كتباً عن التنجيم (قراءة الحظ) والتاريخ وأوضاع العلاقات الجنسية الحديثة العصرية، مع الصور الملونة طبعاً. وهناك كتب الفلسفة أيضاً، ولكن تمام لا تشعر بالميل إلى القراءة اليوم، فتنقل إلى مكتبة شرطة الفيديو، وخاصة أفلامها المفضلة مثل: هناك فتاة في حسائي!». . . وأيضاً تفشل الأفلام في اجتذابها، فقد شاهدها عدة مرات. ولأن الرياضة هي دون مستوى ذوق تمام في عالم التبضع من الأسواق، فلن تذهب للتبضع أيضاً. ماذا بقي إذن؟ نعم: تقديم النصائح للصحفية البريطانية حول الحياة ومتطلبات المقامات. تقول تمام: -

«أنا امرأة عصرية تماماً وأريدك أن تدركي ذلك تماماً. من رأيي أن الفتاة، كل فتاة، يجب أن تتعرف على شاب، وأن تتناول القهوة معه. . . وأشياء أخرى. ولكن ليس أكثر من ذلك. . . هل فهمت ما أقصد؟ كل رجل، مهما علت ثقافته، يريد أن يتزوج بفتاة عذراء. إذا تحقق هذا الشرط، فلن يكون صعباً على المرأة العربية أن تحتفظ بزوجها. . . أنتم. . . في الغرب. . . أقصد نساء الغرب، نسيتم هذا الفن منذ «زمن

بعيد... لي صديقة جميلة، التحقت بمدرسة في أمريكا، فتوقفت عن وضع المساحيق. وقد جاء زوجها لعندي مرّة وطلب مني أن أعلمها طريقة استعمالها. هي لا تبدو امرأة بدون المساحيق.. هل تفهمين قصدي؟ أرى أنك أنت أيضاً لا تستعملين المساحيق؟».

تقول الصحفية:

«وهكذا أمضيت اليوم أنهل من نصائح تمام وخبرتها ومشورتها. وفي التاسعة تماماً، تركتني لكي تهىء نفسها لزوجها. استغرق ذلك ساعة كاملة... ولم لا... وهي القائلة إن المرأة العربية تعرف بالغريزة كيف تقوم بالعمل المناسب لإرضاء زوجها».

«وما أن يدخل الشيخ زكي، حتى تتحول «تمام» إلى «لوليتا»، فتبدأ بمداعبته ومغازلته وإثارتة جنسياً بحضوري! وسرعان ما تحوله إلى حمل مطيع... وتستمر المغازلة والإغواء الفاضح، ثم الضحك ومصّ الشفاه لجذب انتباهه...». ولكن العشاء يعلن أنه جاهز، فيقطع حبل الغرام، ولا تتوانى الصحفية عن الإعراب عن أسفها لتوقف المشهد الجميل.

يسألها زكي اليماني، بين لقمتين شهيتين: -

- ماذا سيكون شعورك لو وجدت يوماً بأن عليك أن تعيشي

في هذا البلد؟

ثم تجيب الصحفية.

- لا أحب أن أكون غريبة في بلد كله غرابة وغرائب.. فقد
أختنق وأموت قهراً..

لم يجب الشيخ زكي اليماني، وانتهى العشاء ليبدأ غزله مع
زوجته، ومع طلوع الفجر، تركهما الصحفية وتذهب إلى
غرفتها، فزكي يسكن في جناح في نفس الفندق الذي تنزل فيه
الصحفية البريطانية، وهو منزله الوحيد في الرياض.

اليهود .. وآل سعود!!

غياث فرعون .. وامبراطوريته اليهودية في أمريكا
لم يكن الدكتور غري هو الغربي الوحيد الذي أدرك أن آل سعود، رغم أنهم رسمياً في حالة حرب مع إسرائيل، يريدون أن يتخلصوا من مأزق التعامل مع اليهود بأي شكل من الأشكال. فالموقف السعودي من اليهود، كما تراه الصحيفة البريطانية، يتمثل في موقف السفير السعودي السابق في واشنطن، عبدالله علي رضا، حين يكون خارج إطار مهامه الرسمية. فعبدالله يت رأس شركة آل علي رضا التجارية الضخمة، وهو - أو شركته - وكيل مؤسسة هاري ونستون في السعودية (مؤسسة هاري ونستون، كما سبق وذكرنا، هي أكبر شركة يهودية لصناعة المجوهرات).

وكما هو معروف، فإن عائلة علي رضا كانت مقربة جداً للملك فيصل، وما تزال تحتل موقعها الهام لدى العائلة المالكة.

ولم يقتصر الأمر على التعامل مع اليهود في الخارج.

بل إن آل سعود سمحوا لليهود بالعمل في منشأة أرامكو

داخل السعودية نفسها، كما سمحوا لهم بالعمل في شركات أخرى داخل السعودية. وما يزالون يفعلون ذلك، رغم أن الأمر يجري بسرية تامة، مع الحرص على إعطاء مثل هذا الإذن لشركات «موثوقة تماماً». إلى أن وقعت الواقعة، فقد أخبر أحد كبار المسؤولين في آرامكو الصحفية ليندا بلاند فورد أن عدداً من اليهود الذين كانوا يعملون في آرامكو كانوا على صلة مباشرة بالمخابرات الإسرائيلية. لم تفعل الحكومة أي شيء ضدهم، وكل ما جرى هو أن الجواسيس الإسرائيليين غادروا السعودية بهدوء، و«لغلت» الحكومتان السعودية والأميركية المسألة بدون ضجيج. إلا أن آل سعود صاروا أكثر حرصاً بعد ذلك في اختيار العناصر اليهودية التي يتعاملون معها، وصاروا يطلبون معلومات من أجهزة الاستخبارات الأميركية للتأكد من أن اليهودي ليس صهيونياً نشطاً أو معروفاً على الأقل.

أما موقف آل سعود من النزاع العربي - الإسرائيلي، فقد اكتشفت الصحفية، كما اكتشف الدكتور غري، أنه موقف تمثيلي بحت، يهدف إلى احتواء حركة المقاومة الفلسطينية وافسادها بالمال، لإبعادها عن العمل الثوري الصادق. وقد أبلغ مسؤولون سعوديون رسميون تلك الصحفية بأن معاهدة كامب ديفيد ما كانت لتتم أو حتى تظهر إلى حيز الوجود لولا دعم آل سعود وتأبيدهم، فلم يكن السادات ليجرأ على القيام بمثل تلك الخطوة

لو لم يكونوا خلفه دعماً وتشجيعاً، ولكن مكافأة أمريكا لآل سعود على هذا الانجاز لم تكن بحجم توقعاتهم، فقد ظلت الصحف والكونغرس يتحدثان عن الرشوات والفساد في السعودية، وظلت تتحدث عن معاملة آل سعود «غير العادلة» لليهود.

وتؤكد الصحفية أن معظم رجال الأعمال السعوديين متضايقون ومستأثرون جداً من ضغط الدعاية الفلسطينية التي تجبرهم أحياناً على الالتزام بقرارات المقاطعة العربية.

أما غيث فرعون فلا يابه لهذه الاعتبارات أبداً، ويرفض طرد موظفيه الصهيونيين من مجموعة المصارف التي يملكها في أمريكا، ويقول ضاحكاً: «أنا أطردهم؟! لو فعلت ذلك لخسرت أفضل موظفي على الإطلاق».

نساء الأغنياء

ولم تقل اكتشافات ليندا فورد أهمية عن اكتشافات الدكتور غري في مجال حياة نساء «علية القوم» في السعودية.

إن الوحدة والعزلة التي تعاني منها تلك النساء، خاصة المطلقات منهن، هي أشبه ما تكون بعزلة الصحراء، حيث يترك المرضى يموتون وحيداً فيها.

في إحدى الحفلات التي تقيمها نساء الأمراء وعلية القوم من

آل سعود، لنفض غبار الملل والوحدة، وللتغزل ببعضهن البعض، بلغة وتعبير وحركات تظهر بما لا يدع مجالاً للشك أنه هناك علاقات شذوذ جنسي بينهن، التقت ليندا بلاند فورد بـ «عائشة». تقول ليندا: -

«كانت عائشة تبدو وكأنها تملك كل شيء: المال، والسلطة، والزوج والأطفال... بعد الحفلة التقيت بها وهي تسير وحيدة... سرنا سوية لعدة ساعات... قالت عائشة: أنا على استعداد لكي أهب أي شيء لمن يخلصني من هذا الزوج... أريد أن أتركه... ولكنه لن يسمح لي بمشاهدة أطفالي، والقانون في جانبه. إنني أكرهه... كنت عذراء حين تزوجني، وكنت أتوقعه أن يعلمني بعض الأشياء... ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث... في ليلتنا الأولى... ألقى بنفسه علي... وانتهى كل شيء في دقيقة أو دقيقتين... علمت فيما بعد أنه ينام مع نساء أخريات، مرتين وثلاث وأربع مرات في الأسبوع، أما دوري فلم يكن يتجاوز المرة أو المرتين في الشهر... وحين رجوته أن يعاملني كواحدة من عشيقاته على الأقل... صرخ في وجهي، ووصفني بأنني عاهرة!! تصوري أنه يرسل خليلاته للتعرف علي والتعرف على مدى جمالي... من باب الاحترام كما يقول!!».

«ولهذا فإن معظم نساء الطبقات العليا والغنية جداً في المجتمع السعودي يعانين من الإحباط الجنسي...».

ثم تلتقي الصحفية بسعودية أخرى، أطلقت عليها اسم نادية».

قالت نادية إن الحديث عن الزنى والاعتراف به يحتاج إلى ثقة كبيرة بمن نتحدث إليه. ولكنها اعترفت للصحفية بأنها تزني ولكن في أوروبا. اشتكت بمرارة من علاقاتها بالرجال السعوديين، الذين يسارعون إلى الاغتسال بعد العملية الجنسية مباشرة.. ثم قالت: لن أنسى المرة الأولى التي عاشرت فيها أوروبياً، ثم بقي يضمني ويشد علي بعد انتهاء العملية الجنسية، فقد شعرت بأني أقرب إليه من زوجي، لا لشيء إلا لأنه ضمني وأشعرتني بالحنان بعد العملية... ولهذا فأنا أذهب إلى أوروبا أو أظهار بأني إيطالية، وأختار من أشاء من الرجال لأنام معهم.. فأنا بحاجة إلى الجنس، رغم كل المخاطر المحتملة..

والجنس هام جداً في حياة نساء الأمراء والأغنياء السعوديين، لأن حياتهن تفتقد إلى أي شيء آخر يفكرن به أو يفعلنه.. حتى أكثر الرجال ثقافة وتفهماً يتركون زوجاتهم في حالة إحباط دائم بسبب اهتماماتهم الأخرى.. ولأنهم لا يشاركون في اهتماماتهم ومشاكلهم وتفكيرهم.. إلا حين يذهب الأزواج والزوجات إلى لندن.. هناك ينقلب الرجل السعودي إلى رجل متفهم، ويعامل زوجته كما تحب.. وما أن يعودا إلى السعودية حتى يعود الزوج إلى ما كان عليه!

وتلتقي ليندا بامرأة غنية أخرى، أطلقت عليها اسم «تنسيم». قالت تنسيم:

«إن شعوبكم تحسدنا لأننا أغنياء جداً. لكننا لسنا أغنياء. فنحن لا نستطيع حتى تثقيف أولادنا وتعليمهم تعليماً لائقاً هنا. نحن شعب له كتابه «قرآنه» ولسنا شعب صرافي عملة!! فأنا محرم علي الذهاب إلى مدرسة أولادي لمناقشة مشاكلهم مع مدرسيهم. أما زوجي.. فلا وقت لديه حتى لمشاهدة الأولاد!! أنا على استعداد للانتظار طويلاً حتى تتغير الأحوال نحو الأفضل بالنسبة لي، ولكني غير مستعدة للتضحية بمستقبل أولادي...»

هذه المرأة تحنُّ إلى لمسة حنان وحب من زوجها، ولكنها نادراً ما تحصل عليها، فزوجها يفاخر الآخرين بعدد خليلاته من الممرضات ومضيفات الطائرات!!

أما الممرضات المتعاقدات للعمل في السعودية، فأمامهن ثلاث خيارات: إما أن يكنَّ منطقيات، حسب رأي ليندا، ويبحثن عن أصدقاء رجال من الأوروبيين، أو يعشن وحيدات ويجتهدن لتحقيق أكبر مبلغ من المال قبل أن يعدن إلى بلادهن، أو يكسبن «أجوراً إضافية» من النوم مع الرجال السعوديين. هذا النوع الثالث من الممرضات هو الذي يؤكد قناعات السعوديين بأن النساء الأوروبيات عاهرات يسهل الوصول إليهن.

جدة ... باريس السعودية

هذا هو الوصف الذي يطلقه البعض على مدينة جدة، وقد تأكد للصحفية البريطانية ذلك حين اكتشفت أنَّ النساء هناك يرتدين التنانير القصيرة، ولكن ما عدا ذلك كان مأساة حقيقية. تقول الصحفية.

«... هذه الباريس السعودية مشلولة تماماً. تقول الإشاعات إن هناك جهازاً لإزالة القمامة وتنظيف المدينة، لكن معظم سكانها يعتمدون على الماعز والكلاب، بدلاً من عمال التنظيفات، لإزالة أكوام القمامة من الشوارع والمنازل. وهناك تعبير شائع في جدة، يقول: اليوم هو دور الغرب، وليس المقصود بذلك هو رياح الغرب... بل المقصود هو مقسم الهاتف في القسم الغربي من جدة، الذي قطعت خطوطه بكاملها، أو نزلت عليه فأس عامل ما. فربح الخطوط الهاتفية في جدة تكون معطلة دفعة واحدة في أغلب الأحيان..»

«وقد استطاع كبار تجار المدينة الالتفاف حول هذه المسألة،

خاصة بالنسبة للمكالمات الدولية، التي يستغرق الحصول عليها أربعة أيام إذا كانت مع لندن، وستة أيام إذا كانت مع نيويورك. فهم على علاقة شخصية مع عمال المقاسم الدولية. ويأتي هؤلاء العمال بمشاكلهم إلى التجار، وأهمها المشاكل المالية طبعاً، فيسارع التجار إلى حلها، وتتم الاتصالات الخارجية على الفور!! وجدة كلها، رغم كبر حجمها، تعمل على أسس العلاقات الشخصية البحتة. سألت أحد الأمراء - التجار الذي يدير استثماراته من لوكسمبرغ الآن، لماذا لا يدير أعماله من أوروبا بشكل دائم. فأجاب: أشعر بأنني وحيد مجهول في أوروبا. . . وأفضل العمل في جدّة، حيث يعرفني الناس، بالرغم من سوء أحوال المقاسم الهاتفية. لا تذكرني اسمي، لأنه لا يجوز لي أن أنتقد الحكومة. . . وآل سعود لا يجوز انتقادهم. . .

وهذا يعني أن الرسائل الشفهية هي وسيلة الاتصال الوحيدة في جدّة في أغلب الأحيان، وهذا مما يزيد من حركة السير على الطرقات زيادة نحيفة، يزيد من صعوبتها أن الشوارع بلا أسماء، وخدمات البريد معدومة، باستثناء صناديق بريدية غير آمنة، والمدينة عديمة التخطيط إجمالاً. . . فهي مدينة من العصور الوسطى!

لكن الأرباج هائلة في جدّة، خاصة أرباح المتعهدين الأجانب، لذلك يطرقون أبوابها باستمرار رغم مآسيها. والأرباح

من الضخامة بحيث أن أحد مساعدي أحد كبار الأمراء، والذي كان قبل بضع سنوات يعمل «قوّاداً» في باريس، يحصل، مثلاً، على «عمولة» قدرها ١٠٠٠٠٠ ريال للحصول على توقيع سيده الأمير على عقد يحضره أجنبي. كان هذا مبلغاً مقبولاً قبل عدة أعوام، أما الآن، فإن نفس «القوّاد» يفكر مرتين قبل أخذ توقيع سيده على العقد إذا كانت عمولته هو ثقل عن المليون ريال!! هذا ليس خيالاً إنه حقائق حدّث القواد الصحفية عنها!

جدة . . . وحفلاتها الصاخبة الدائمة

حين يتحدث كويتي أو بحراني عن استمرار الفصل بين مجتمع «الحريم» ومجتمع الرجال، فإنه يقوّلها لتسجيل موقف لا أكثر ولا أقل. أما حينما يتحدث سعودي عن ذلك، فإنه يعني ما يقول. في الكويت والبحرين، ترك الاستعمار الطويل آثاراً اجتماعية دائمة، والأجانب وجدوا هناك منذ أمد طويل، مما أدى إلى اضمحلال التقاليد وانمحائها تدريجياً. أما الوهابية السعودية فما تزال تضيق الخناق على حرية الإنسان وحياته.

لن تجد مكاناً في العالم يمارس فيه الإنسان حياتين متناقضتين تماماً كما تجد في السعودية خذ مثلاً الحكم الملكي المطلق، فقليلة هي البلدان التي ما يزال فيها مثل هذا الحكم قائماً حتى الآن، والسعودية هي واحدة من تلك البلدان القليلة. وأنت ترى النفاق

واضحاً في ازدواجية إدارة دفة حكم البلاد، هذه الإزدواجية
المنافقة هي أكثر ما تكون ظهوراً في جدة، بحيث لم يعد مثقفوها
يقبلون بما أطلق عليه «أسلوب الحياة السعودية».

فما هو أسلوب الحياة السعودي هذا؟ هل هو «شلل» الرجال
والنساء وهي قليلة في الرياض كثيرة جداً في جدة، الذين يسهرون
ويرقصون ويسمرون مع بعض؟

لنتحدث عن «شلل» الكبار في جدة: الأمراء والتجار وكبار
الأغنياء. هناك شلة ينتمي إليها مأمون تامر وزوجته ليتا. مأمون
يملك أكبر سلسلة صيدليات ومخازن أدوات تجميل في جدة. تكفي
نظرة واحدة إلى منزله لتقنع المشاهد بأن هذا الرجل يملك
الملايين. ولم لا، وكل النساء يصبغن جلودهن ووجوههن بأغلى ما
في العالم من مساحيق وعطور. تقول ليندا: -

«حين كنت أسلم على من في غرفة الاستقبال في منزل
مأمون، شعرت وكأنني كلب أطلق له العنان في حديقة عامة.
فأتنقل من رائحة عطرة إلى أخرى... جوي... لاير... تيمب
وكاليشي وغيرها.. وأنظر إلى حوض السباحة عبر النافذة فأرى
خميلة رائعة من الجنان الخضراء تحيط بالبركة الكبيرة الزرقاء.. في
جدة.. يبدو صاحب المليون دولار فقيراً جداً..»

وخلافاً لما تشاهده في الرياض، فإن نساء جدة الثريات

يرتدين الفساتين الشفافة الناعمة، والقصيرة، وأحياناً تكون قصيرة إلى حد لا تظن معه إلا أنك في لندن!!

تشير امرأة إلى امرأة من عائلة علي رضا، تلك العائلة التي حصلت على وكالة هاري ونستون اليهودي، فتقول لليندا: لا بدّ أنه يطير فرحاً، وقد علمت أن هاري ونستون باع في أسبوع واحد ما قيمته ستة ملايين ريال من المجوهرات، هنا (في جدة) وفي الرياض..

أما الويسكي فحدث ولا حرج.. فهو يفيض هنا كالأنهر الجارفة. فالمسكرات تعتبر أمراً طبيعياً في جدة؛ والناس تسهر صاخبة، رجالاً ونساءً، ويشربون ويطربون بدون قيود. تسترق ليندا السمع في زاوية من زوايا الغرفة الواسعة، فتسمع امرأة تتحدث لأخرى عن امرأة ثالثة تزني مع رجل في لندن، ولكن لا تسمع شيئاً عن من تزني مع من هنا في جدة!! لأنك في جدة، والناس بحاجة إلى بعضهم البعض ليتكتموا على أسرار بعضهم البعض!

وتقترب امرأة أخرى من الصحفية البريطانية لتحدثها عن الخليجيين الذين يخربون لندن؟! وتضيف قائلة إنها شخصياً تنزل في فندق الدورشستر حين تكون في لندن، لكن الخليجيين ينزلون في فندق غروفر هاوس، لذلك تضطر الإدارة إلى تهديد ورق

الجدران بعد رحيلهم!! إن هذا لأمر مشيق حقاً!! هؤلاء النسوة الخليجيات اللواتي يجلسن في بهو الفندق وهن يرتدين الملاءات السوداء التي تغطيهن من القدم حتى قمة الرأس، يحيط بكل واحدة منهن دسته من الأطفال نصف العراة!! وحين يرحل هؤلاء عن الفندق، يبدو وكأن جرّاداً قد غزاه ثم رحل عنه!

هذه أهم مواضيع البحث التي تتناولها أحاديث أغنياء جدة.

أما حديث الطب والتداوي، فليس أقل تشويقاً مما رواه الدكتور غري في كتابه: تقول إحدى سيدات المجتمع الجداوي الراقي: -

أزواجنا يتظاهرون بالصحة والفحولة، إلى أن ترفضهم مضيفة. جوية، ثم ثانية، ثم ثالثة، بعدها يهرعون إلى العيادات الطبية والجنسية في هازلي ستريت في لندن.

والنساء من عليّة القوم في جدة يخرجن إلى السهرات مع أزواجهن، خلافاً لما هو عليه الحال في الرياض. كما أنهن ألغين الحجاب منذ زمن طويل، ولم يبق من التقاليد والتراث إلا ما يعشعش في عادات وأذهان المسنين من أهل المدينة.

أغلب الزوجات في المجتمع السعودي، الجداوي. من الأجنيات، فليتا تامر يونانية وما تزال متمسكة بدينها المسيحي... وعائلة علي رضا، رغم أن منها سفراء وأصحاب بنوك وأصدقاء

لابن سعود ثم لفيفل ، فإن الجدّاوين ما يزالون يصفونها بأنها «بلا أصول». وكل ما في الأمر أن العائلة جاءت من إيران قبل عدة أجيال ، ولكنها جدّاوية الأصل ، كانت قد رحلت من جدة إلى إيران ثم عادت إليها!! زوجة علي رضا الأولى كانت أميركية ، والثانية لبنانية ، وتعيش حياتها على هواها بلا رقيب ولا حسيب ، لا يحد من حريتها إلا ترفها والمقام العالي ، فهي لا تقود سيارة ، لأن هناك أسطولاً من السيارات يقوده جيش من السائقين ينتظر إشارة من أصبعها الرقيقة . وهي لا تعمل . . ولكنها تشغل نفسها بما يأتي بالسعادة والرضى إلى قلبها الرقيق!

وحيث عين زوجها شفيراً للسعودية في واشنطن بكت المسكينة وحزنت لأن حياتها وحريتها التي تتمتع بها في جدة ستصبح مقيدة في واشنطن!! فلن تسمح الظروف هناك بطبع القبلات على الخدود ، ولا بلف الذراع على الخصر كما يحدث في جدّة!

ولم يكن زكي اليماني أول سعودي يرسل ابنته لوحدها إلى كاليفورنيا للدراسة ، ومعظم الرجال في جدة يختارون زوجات لبنانيات وأردنيات ومصريات ليتخلصوا من جحيم تقاليد العائلات السعودية .

وخين نسمع الضجة الكبرى التي أقامتتها الصحف البريطانية ولم تقصدها حين شوهد وزير الاقتصاد السعودي وهو يشرب نخباً

مسكراً في أحد فنادق لندن، نكتشف أنها ضجة مفتعلة حقاً، لا مبرر لها، كما تقول الصحفية العارفة فالكل يشرب الويسكي في حفلات جدّة، هكذا علناً وبدون خوف!

تبدأ الوليمة، فترتب المواد حول بركة السباحة، وهناك تلتقي الصحفية بعبد العزيز سليمان. عبد العزيز في سن الرجولة المكتملة. . ذو عينيّن ناريتين، ورئيس لامبراطورية تجارية تحرك عدة مئات من ملايين الدولارات سنوياً. وعبد العزيز نجدي كان والده وزير مالية ابن سعود لفترة طويلة من الزمن، وهو الذي وقع اتفاقية النفط الأميركية السعودية المشهورة عام ١٩٣٣. وعبد العزيز وضع عقوداً لبناء عدد من الفنادق الدولية (انتركونتيننتال) الضخمة في جدة والظهران وجبيل والقاهرة. لكن قبل أن يبدأ الحديث تنضم زوجة عبد العزيز اللبنانية إلى الحلقة، وسرعان ما تنتهي الوليمة!

يعرض عبد العزيز نسليان وزوجته على الصحفية توصيلها بسيارته إلى فندقها، وعلى الطريق تشاهد الصحفية منزل عبد العزيز ذي العشرين غرفة، والمسور بأسوار عالية، تحيط به طرقات محفرة قدرة كريمة الرائحة، وأزقة ومنازل يميزها الفقر المدقع. . . وتذكر ليندا الملايين من الدولارات فتشعر بأن الهواء مشبع برائحة ملايين الدولارات الحرام التي يجري «تصحيح تاريخها وسيرتها» في جدة. . فتتلف الدولارات ولكن تبقى رائحة

الحرام العفنة تعبق في هواء جدة، لا يخلو منها في ليل أو نهار.

المخابرات والتعذيب

قال الأمير «خليل» وأصدقائه من الأمراء في تلك الليلة الليلية، إنه لا يوجد سجناء سياسيون في السعودية. لكن ما علمته ليندا الصحيفة يؤكد أن خليل وزمرته لم ينطقوا بكلمة صدق واحدة.

تقول ليندا:-

«في الكويت التقيت برجل أرسله رجل آخر إليّ بعد أن أمضى أربعة أيام يقلب احتمالات الخطأ في الثقة بي. فقد التقى عبد العزيز معمر بي وأمضى معي ساعتين في محاولة للاطلاع على ما يجري في السعودية. كان يريد التحدث بأي ثمن. عيناه نصف ضيرتين، وعقله مشوش مضطرب، وكان له منظر حيوان متوحش بري كسر قفصه وخرج منه لتوه.

قضى معمر إثني عشر عاماً في زنزانة منفردة في الهفوف في السعودية. ثم أطلق الملك خالد سراحه. ولكن ظلمة الزنزانة الحالكة تركته شبه أعمى، حيث بقي طوال المدة مكبلاً بالسلاسل... لكن ماذا كانت جريمته؟ لا أحد يعلم، ويقول

معمر إن أحداً لم يخبره بجريمته طوال فترة التوقيف. قالوا إنه يحمل «أفكاراً إصلاحية»، ولم يقل أحد إنه كان يتآمر على آل سعود، فما كان ليبقى على قيد الحياة لو كانت التهمة من ذلك النوع.

في عهد الملك سعود، كان معمر يشغل منصب السفير السعودي في سويسرا، وحين تسلم فيصل مقاليد الأمور، استدعاه من هناك وأمر بالقاء القبض عليه وزجه بالسجن بدون محاكمة. أخلي سبيله بلا مقدمات بعد موت فيصل.

قال معمر إنه كان يوجد في نفس السجن في الهفوف حوالي سبعين سجيناً مثله، وسجن الهفوف هو واحد من سجون المملكة العديدة. وقد اختفى معمر، كما ظهر، فجأة، ولم يترك في ذاكرة الصحفية البريطانية سوى صورة الألم والمعاناة. إن السنوات التي سرقت من حياة معمر هي قصة الوجه الآخر، الوجه السري، للسعودية. فجهازها السري له باع طويل في عالم القسوة الوحشية والقتل.

تقول ليندا:

«إن أجهزة الأمن هي جزء لا يتجزأ من طبيعة الحياة وأسلوبها في السعودية. غبي من يعتقد بأن مهام هذه الأجهزة تنحصر في فتح فجوات في الصحف اليومية، حيث تظهر كلمة «إسرائيل» أو صورة امرأة. صحيح أن هناك جيش جرار من

موظفي مراقبة الصحف والمطبوعات يقرأون كل شيء، لكن مهمة أجهزة الأمن تشمل مجالاً أوسع من ذلك بكثير، وتتراوح بين اختطاف رجال من أمثال معمر وبين مراقبة العمال القادمين من الخارج الذين قد يجلبون معهم أفكاراً تزعج آل سعود. ويحظى اليمنيون بأكبر نصيب من هذه المراقبة، فهم يجتازون الحدود ويحضرون إلى السعودية لبناء القصور والقيلات لأهلها، وربما يدفعهم فقرهم لتبني أفكاراً ثورية. وقد كان هذا الاحتمال موضع قلق عظيم لآل سعود، حتى إنهم استصدروا فتوى من علماء الدين الوهابيين للسماح بوضع صور النساء على جوازات السفر. وقد وافق علماء الدين الوهابيون على ذلك لأن آل سعود كانوا يخشون من تسلل الثوريين اليمنيين إلى السعودية متخفين بلباس النساء!! ثم إن آل سعود حلوا الأمر حلاً جذرياً، حين قرروا منع العمال اليمنيين من اصطحاب زوجاتهم إلى السعودية!!

يستحيل معرفة أو تقدير عدد شبكة المخبزين في السعودية، ولكن ما لا يستحيل معرفته هو أن أي يمني يصبح موضع شبهة يطرد على الفور من البلاد. وقد ساهم هذا الإجراء بالإبقاء على «السعودية للسعوديين»، أو بالأحرى، لآل سعود!! آمنة مطمئنة، بين أيديهم، ونفطها يتدفق بأمان إلى بلدان الغرب!!

لكن التناقض السعودي الأكبر يكمن في حقيقة أن رئيس المخابرات السعودية والأمن القومي فيها لا تجري في عروقه قطرة

دم سعودية واحدة. إنها لفارقة يصعب هضمها، ولكنها حقيقة واقعة.

فكمال أدهم ، الذي سيطر على أجهزة الأمن ردحاً طويلاً من الزمن ، هو مزيج ألباني - تركي - فكيف وصل إلى هذا المنصب الهام ؟ الجواب على ذلك هو أن كمال هذا هو أخو الملكة عفت ، زوجة الملك فيصل . وخلال عهد فيصل كان كمال أقرب المقربين إلى الملك ، وحين تسلم الملك خالد الحكم ، حاول أعداء أدهم الإطاحة به ، ولكنهم فشلوا ، وظل متحصناً بمكانته القوية ، يدعمه في سلطته كل جهاز وكالة المخابرات المركزية الأميركية .

وقد انضم كمال أدهم إلى شقيقته عفت بعد زواجها من فيصل مباشرة ، وربته كإبنتها . فكيف إذن نستغرب وصوله إلى ذلك المركز الهام ؟

أهم مميزات شخصية كمال أدهم أنه متكتم شبحي ، يجول العالم دون أن يسمع به أحد .

ولكن يخطيء من يتصور أن رحلاته تتعلق بالمهام الأمنية والرسمية ، فلكمال أدهم امبراطورية تجارة وأعمال تمتد إلى مختلف أقطار العالم الذي تتحكم فيه الولايات المتحدة والغرب ، كما يدير جزءاً كبيراً من ثورة الملك فيصل وزوجته .

أهم منجزات كمال أدهم كانت خطته لاغتيال جمال
عبد الناصر في أواخر الخمسينات ، حيث قدم لعبد الحميد
السراج ، رئيس المخابرات العسكرية السورية ، شيكاً بمبلغ
مليون جنيه لتنفيذ العملية . وقد استلم عبد الحميد السراج
الشيك وسلمه لعبد الناصر !!

بعد عبد الناصر ، صار كمال أدهم صلة الوصل بين آل
سعود وأنور السادات ، كما أن كمال يملك منظمة خاصة به في
السعودية تتجاوز صلاحياتها كل المسؤولين الرسميين ، وله
صلاحية اتخاذ القرار دون الرجوع إلى أحد . ومن جملة فروع
منظمته محكمة الارتباط بالولايات المتحدة ، مؤسسة جريدة
الشرق الأوسط ومطبوعاتها التي تصدر في لندن .

كمال أدهم يعيش خلف أسوار تبدو وكأنها تمتد إلى ما لا
نهاية ، أسوار أسرار تجمع بين الثراء الفاحش والغموض
المقصود . حدائق قصره ملاعب دائمة الخضرة ، يشرف على
العناية بها فرقة « صاعقة » من اختصاصيين النباتات والأزهار .
أما أرض القصر فرخام بديع ، وأما الجدران فيضاء ناصعة ،
والسجاجيد صينية تغطي ما لا يغطيه الرخام .

يجلس كمال في منزله مسمراً إلى جهاز الفيديو الذي لا يتوقف
عن العمل ، وبين حين وآخر يقترب من كمال أحد أعوانه ،
ويهمس في أذنه شيئاً ما ، فلا يزيد كمال عن الابتسام الهادئ ،

إنه جزء من تركيا التي أنبتته ، يجمع بين مظاهر الأسد المريض المتلاشي الذي يراقب امبراطوريته الواسعة تتمزق وتتلاشى ، وبين المكر والدهاء والقسوة التي يحاول بواسطتها أن يبقى على ما تبقى من تلك الامبراطورية المتلاشية .

يدير كمال جهاز الفيديو لعرض على الصحيفة البريطانية فيلماً عن ابن أخته ، الذي قرر كمال أدهم دفعه إلى منصب وزير الخارجية السعودية بعد أن اكتشف فيه مواهب السياسي البار . إنه الأمير سعود بن فيصل . بناءً على نصيحة كمال أدهم يظهر الأمير سعود على التلفزيون الأمريكي ، ليس في زيه الوطني ، ولكن في ثياب أوروبية أنيقة . يقول كمال إنه هو الذي درس شخصية سعود وقرر أنه « قطع نادر » يجب استغلاله ، وأن يستغل مظهره في تحسين صورة آل سعود ومملكتهم في عيون الغرب ، فكان أن أشار عليه بأن يظهر بالمظهر الذي يؤدي إلى تلك النتيجة ، وأن يرتدي الأزياء الغربية بالتالي . ولكن أدهم يشعر بخيبة الأمل والاستياء لأن الأمير سعود قرر إلقاء خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة باللغة العربية ، فجاذبيته تصبح أكبر بكثير حين يتحدث بالانكليزية ، خاصة وأن كمال هو الذي يضع ملامح الخطاب ويقرر محتوياته ، بعد استشارة رؤسائه في واشنطن !!

وينتهي شريط الفيديو بقصيدة مدح وإطراء يلقيها شاعر

البلاط كنعان الخطيب ، الذي كان حاضراً شخصياً أيضاً . كنعان الخطيب كان له مقامه الرفيع عند الملك فيصل ، فهو الذي ربي خمسة من سفراء السعودية وثقفتهم في الجامعة الأميركية في بيروت . وهو الذي اعتمده بول غيتي ، صاحب الملايين الذي لا يدري ما يفعل بها ، ليكون مثله في جدّة ، وهو الذي أتى إليه آرستوتل أوناسيس يطلب منه مساعدته في الحصول على عقد لشحن كل نفط السعودية إلى الغرب ، ولكن وكالة المخابرات المركزية الأميركية اعترضت ، ففشل أوناسيس ! وهو الذي عمل شريكاً للمليونير النفط التكساسي الأميركي هـ . ل . هنت قبل أن يأمره آل سعود بالعودة إلى السعودية والعمل في خدمة فيصل ، حيث بقي معه حتى وفاته . أما عمله مع الملك فيصل فكان مهمة . . شاعر البلاط !! ومهانم أخرى . . قال للصحفية البريطانية أنه قرأ كتب كارل ماركس ، لا شيء سوى للتعرف على مركب النقص في شخصية ماركس !

وتنتقل الصحفية البارعة إلى « رجل الأعمال » فؤاد رزق ، الذي كان ضيف كمال أدهم في ذلك المساء . فؤاد رزق لبناني ناعم جداً وثري إلى أبعد حدود الثراء ، ويعرف كيف يقبل الأيدي بلباقة المحترف ، وكيف ينظر إلى كمال أدهم كما ينظر صاحب المدير إلى مديره . ثم تنتقل ليندا إلى فيليب تراد ، وهو صديق آخر لكمال كان حاضراً . إن فيليب يبدو بالغ الأهمية حين

يكون بعيداً عن الحضرة الأدهمية ، ولكنه الآن يقوم بدور مقدم
المسكرات على البار !

أما محمد العشماوي ، أحد أعوان كمال أدهم غير البارزين ،
فهو وكيل سيارات رولز رويس وستتد ، أغلى سيارة في العالم .
محمد العشماوي لا يبيع سيارات ستتد المغطاة بالذهب ، ولكنه
يقدمها هدايا لأبناء الملك خالد . .

وتعود الصحفية إلى شاعر البلاط ، كنعان الخطيب . تسأله
عن منزله ، فيقول لها إنه أجره مؤخراً ألى إحدى السفارات .
الأجرة السنوية كانت ١٧٥٠٠٠ ريال ، ولكنه نادم على ذلك ،
فقد ارتفع الأجر إلى ٢٥٠٠٠٠ ريال بعد بضعة أشهر .

هذا عن أمور كنعان الخطيب المالية ، أما محمد العشماوي ،
فأوضاعه المالية أفضل قليلاً . محمد العشماوي يقرض الأفلام
وأشرطة الفيديو ، التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع
السعودي ، وخاصة الجداوي . إنه يملك مكتبة هائلة من أشرطة
الفيديو ، وهناك تلتقي الصحفية به ، فتجد عنده مضيئة جوية
« غير محددة الهوية » . تشعر الصحفية أنها وصلت في وقت غير
مناسب !! ولكن محمد العشماوي سرعان ما يأخذها إلى بيته ، مع
المضيئة الجوية ، لتعريفها على زوجته الألمانية وأطفاله ، ودعوتها
إلى وجبة من الخوايف المحشية .

محمد العشماوي لا يحب الكلاب ، فهي محرمة في الاسلام ،
حسبما قال للصحفية ، ولكن زوجته تحب الكلاب ، وقد
أحضرت معها كلباً من بلادها ..

تقول ليندا ، صحيح أن الاسلام يمنع المسلمين من اقتناء
الكلاب ، ولكنه يمنعهم أيضاً من لبس الحلي الذهبية والساعات
والأزرار الذهبية . يبدو أن كل إنسان في جدة يملك مجموعة من
الساعات الذهبية ، لا ساعة واحدة ، أما العشماوي فيملك منها
ما يكفي لفتح مخزن بكامله !! فمن قال أن محمد العشماوي
سيكتفي بوكالتي سيارات ومكتبة لتأجير الأفلام ؟! لا . . لم يكتف
بذلك ، فإمبراطوريته الخفية المليئة بعجائب الصفقات كبيرة بقدر
ما هي غامضة مبهمة .

خذ مثلاً عقده مع مطار جدة . فهو يزود بالوقود نصف عدد
الطائرات التي تهبط هناك ، وهذه كمية تصل في موسم الحج إلى
مليون غالون يومياً . أما سبب اكتفائه بتزويد نصف طائرات
المطار في جدة فهو أنه يملك امتياز شركة شل فقط ، بينما يملك
« امبراطور آخر » امتياز شركة موبيل . هذا العقد فقط يزوده بما
يكفي من المال لفتح بيوت في ميونيخ وبيروت ، وأربعة قصور في
جدة . أما مكتبة أشرطة الفيديو التي تشرف على إدارتها سكرتيرة
أميركية بالغة الإغراء ، فهي لتأمين « الأفلام الخاصة » لأصدقائه
« المقربين » ..

فأفلام الدعارة والجنس هي المادة التموينية الكبرى التي يزود بها محمد العشماوي هؤلاء الأصدقاء . وهو يقدمها لهم بالمجان طبعاً ، خاصة لأولئك الأصدقاء الذين كانوا زملاءه في كلية فكتوريا في القاهرة ، والذين يحتلون الآن مناصب الملوك والأمراء والوزراء وكبار رجال الأعمال .

بعد استضافة الصحفية ، يرسلها محمد العشماوي إلى حفلة أخرى في سيارة رولز رويس . إنها حفلة عيد ميلاد أحد كبار القوم ، والأنخاب جارية ، وأفلام الدعارة والجنس ، هدية من محمد العشماوي ، جارية أيضاً بلا انقطاع . .

امبراطورية بن لادن

تلتقي ليندا بلاندفورد بموظف حكومي بسيط ، حتى إنها ليرق قلبها من رؤيته يخرج الريالات القليلة من جيبه ليدفع فاتورة المشروب الذي تناولته معه في إحدى المقاهي الفخمة . ولكن مع الريالات القليلة خرجت ألماسة صفراء ساحرة اللون من عيار ثلاثة قيراطات ، ثم خرجت أيضاً حجرة ماركيز بيضاء وزرقاء ، وخاتم سوليتير من عيار خمسة قيراطات . الموظف الحكومي إذن تاجر ألماس .

قال له إنه يواجه بعض المشاكل مع عمال البناء الذين يعملون لديه . لا . . ليس في بناء منزل له ، فذلك أمر قد تم

منذ زمن بعيد ، ولكنهم يعملون في بناء أبنية على بعض قطع الأرض في جدة والمدينة التي « وهبها » الملك فيصل له ! فلا بد لكل من يتسكع على أبواب القصر فترة كافية من الزمن من أن يحصل على هبة ما مقابل خدماته الطويلة والمخلصة للعائلة المالكة . ومن يعمل في الحكومة يمكن أن يصل إلى القصر . . أحياناً . . .

ثم ان مظهر الإنسان السعودي ، في ذلك الزمى الموحد ، لا يعبر عن الثروة التي يملكها ، خاصة إذا كانت من هبات آل سعود . ولا حتى الساعات والأزوار والأساور الذهبية التي يملكها الرجال ويرتدونها تعبر عن حجم الثروة التي يملكونها . . فربما تكون الساعات والأزوار هبات من أولياء النعمة أيضاً . .

من هؤلاء المحظوظين سليم بن لادن ، الذي لم يكن يخطط أبداً للعودة إلى السعودية ، فقد كان يقضي أحلى الأوقات مع أصدقائه في انكلتره ، حيث كان يتحدث بلهفة عن أمنيته في أن يصبح طبيباً . كان ذلك في عام ١٩٦٦ ، حين كان والده أغنى متعهد بناء ومنشآت في السعودية ، وكان هو يحصل الأموال والعائدات التي جناها والده من بناء القصور .

مات بن لادن الأب في حادث تحطم طائرة ، فعاد سليم مرغماً إلى السعودية ليتولى أعمال والده ، ويكون نائباً لوالده في

الوصاية على اخوته وأخواته . كانت أمه تنتظر ولادة إحدى الأخوات ، أما الأختان الأخريان ، فلم تكن عينا سليم قد وقعتا عليهما من قبل .

لا يمكن أن يخطر على بال أحد يرى سليم بن لادن أنه مليونير . شاهدته الصحفية في منزله على شاطئ جدة ، تلك المنطقة التي لا يملك فيها القيلات إلا أصحاب المقامات والملايين ، يجلس قرب حوض السباحة بثياب البحر ، هيكلاً عظيماً نحيلاً حتى لتظنه لم يتجاوز السابعة عشرة من العمر . وهو في السادسة والثلاثين !

الشيخ سليم بن لادن ، الذي منح نفسه لقب « شيخ » بعد أن أصبح المسؤول عن عائلة أبيه وأعماله ، لم يكن يريد العودة إلى السعودية أبداً . فما ذنبه إذا كان والده المليونير الكبير ، والذي بدأ حياته كعامل بناء بالمياومة ، مات وهو في السابعة والأربعين ، وخلف وراءه امبراطورية بلغ عدد عمالها ٥٠٠٠ عامل ؟ لكن لم يكن المال هو الذي أعاد سليم إلى جدة ، بل هي المسؤولية التقليدية تجاه العائلة ، فهو الذي يجب أن يقرر الآن المدارس التي سيذهب إخوته إليها ، والأموال التي سيسمح لهم بصرفها ، والأزواج الذين ستقبل بهم شقيقاته . والده كان أمياً ، ولكنه بنى ثروة لم تكن تخطر على بال أحد . أما سليم فيريد أن يعيش حياة هائلة ممتعة ، بعيدة عن هموم جمع المال . .

ولهذا فهو يقضي ستة أشهر من كل عام في الخارج ليس دائماً
لأمور تتعلق بالعقود والأعمال ! فلهذه أربع طائرات خاصة ،
يتنقل على ظهرها من مكان إلى آخر ، ويقود طائراته بنفسه ، حتى
إنه بدأ يعلم زوجته فنون الطيران . صحيح أنه لا يحق لها قيادة
السيارة في السعودية ، ولكن ليس هناك ما يمنعها من قيادة
الطائرة :

وسليم بن لادن يحب الموسيقى الغربية كثيراً ، لذلك فهو
من المداومين على الحفلة الموسيقية التي يقيمها السفير الهولندي في
جدة مساء كل يوم اثنين . وغالباً ما يذهب إلى حفلات الاستقبال
الرسمية وهو يحمل آلتة « الهرمونيكا » ليعزف عليها !! فقد أقام
أحد كبار رجال الأعمال الأميركيين حفلة كبرى على شرفه ،
ولكن ذلك الأميركي أصيب بصدمة حين تحول خطاب سليم
إبن لادن المقرر ، فجأة إلى عزف على آلتة المفضلة !!

يقول سليم : ليس لنا أن نفخر بأي شيء ، نحن الأجيال
الشابة ، فقد ورثنا عن آبائنا كل شيء جاهزاً ، ونحن نتمتع بشمار
جهودهم .

يملك سليم مئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية ، كما
يملك عدة أخوات يبحث هن عن الأزواج المناسبين . وهو يملك
القدرة على حل جميع الصعوبات ، إن لم يكن بالمال فبالعزف على

آلة الهرمونيكا!! ،

الوداع يا آل علي رضى !!

أحبت الصحفية البريطانية عائلة علي رضى ، حتى إنها تتمنى العودة إلى السعودية ، لا لشيء إلا للاجتماع بها والتحدث إليها ..

تقول ليندا بلاندفورد :

« على الجانب الأيسر لطريق مكة المتجه إلى هناك من جدة ، يشاهد المار من هناك بوابتين هائلتي الحجم ، تنفتحان على شارع محاط بالأشجار الياقة وينتهي بقصر منيف تنفتح أمامه بركة ماء شلالاتها لا تتوقف عن تدوير المياه الراقصة ! وحول القصر ينتشر عدد آخر من المنازل الأصغر كان يشغلها أفراد العائلة المتزايدين باستمرار ..

ذلك هو قصر آل علي رضى .. يجيم عليه في الصباح الباكر ذلك السديم الجداوي الصيفي ، ويتحرك مع شروق شمس الساطعة عدد من الخدم ، كانوا يوماً عبداً للعائلة ، يهيئون وسائل الراحة لمن لم يستيقظوا بعد . فهم لا يستيقظون قبل العاشرة ، حين يتوافدون إلى موائد الإفطار العديدة المعدة لهم ..

واليوم يوم عطلة اسبوعية ، لذلك تستعد العائلة كلها للذهاب إلى مقرها الآخر على شاطئ البحر ، وفي نفس تلك

المنطقة المحرمة على من لا يملك الجاه والمالين . يتحرك الطعام أولاً ، تتبعه شاحنة كبيرة محملة بالمياه العذبة . . . لكن فهد ، ابن العائلة البالغ ثمانية وعشرين عاماً من العمر ، غاضب متبرم ، ويفكر بعدم الذهاب إلى البحر ، لأنه سمع بأن مولد الكهرباء الخاص بالقصر معطل ، فهل يمكن أن يذهب فهد إلى البحر ثم لا يجد ماءً ساخناً لأخذ « دوش » بعد السباحة ؟!

لكن المسألة تسوّى ودياً ، وينطلق الركب ، ومعه الصحفية البريطانية . منطقة « الكريك » منطقة بديعة حقاً ، ليس فقط لنظافة مياه بحرها ، وللأسماك الجميلة التي تسبح فيها ، ولكن لأنها المنطقة التي لا يدخلها إلا أصحاب القصور الحاملة التي بنوها هناك ، للاستحمام والاستجمام ، ثم طوقوها بأسوار عالية تمنع الآخرين حتى من مشاهدة البحر الجميل . « فالآخرون » هؤلاء لا يستطيعون شراء أرض هناك لا بالمال ولا بغيره ، لأن جزءاً كبيراً من المنطقة ملك لشقيق الملك الذي بنى قصرًا كالقلعة فيه ، ومع أنه ترك جزءاً آخر كشاطئ « مباح » فإنك لن ترى سعودياً يتمشى هناك !

ويملك فهد جزءاً آخر من الشاطئ ، بنى عليه أيضاً قصرًا أو قلعة ، سمها ما شئت .

أما ما تبقى من ذلك الشاطئ الجميل فتملكه بضع عائلات من علية القوم ، مثل عائلة علي رضى ، التي بنت هناك مجمعاً

مؤلفاً من عدد من المنازل والشاليهات ، يتوسطها منزل كبير قريب من شاطئ البحر ، وكل هذا يخضع لإشراف محمد علي رضی ، سفير السعودية (السابق) في واشنطن ، ووكيل شركة هاري ونستون اليهودي حين ينتهي من عمله الرسمي كسفير . . . فالسفارة شيء . . . ووكالة الألماس والجواهر اليهودية شيء آخر ، لا علاقة له بالسفارة !

عائلة علي رضی غنية جداً ، طبعاً ، ووكالاتها في جدة تشمل ، بالإضافة إلى وكالة هاري ونستون ، وكالات أخرى كثيرة ، ولكن ألماس أحمد علي رضا - هاري ونستون ، يدر على العائلة المستورة أرباحاً خيالية . فقد شاهدت الضحفية عقداً من الألماس في خزانة أحمد تبلغ قيمته ثلاثة ملايين دولار . . أكد لها أنه سيناع قبل نهاية الأسبوع !

معظم زوجات العائلة من الأجنيات ، لذلك فإن بعض أفراد العائلة هم نصف - أمريكيين ، لأن الزجال يحبون الأمريكيات كثيراً ويتزوجونهم أكثر . خذ مثلاً زوجة السفير محمد علي رضی الأولى ، فقد كانت أميركية ، ثم تزوج بعدها بلبنانية ، وربما كان هذا سبب تغيير العائلة بأنها بلا أصل ، مضافاً إليه سبب آخر ، هو أنها ، كما ذكرنا ، كانت في إيران . لكن الحقيقة أن الروابط التي تربط بين آل علي رضی وآل سعود جعلتهم أكثر سعودية من أنقى الدماء النجدية .

هذه هي العائلة التي تجمعت في هذا اليوم للاستحمام والاستجمام على شاطئ البحر ، فالיום يوم راحة ، تتوقف فيه الأعمال والهموم المالية ..

أطفال وأولاد العائلة كثيرون . من المعروف أنهم قادرون على الشجار والعراك وارتكاب جرائم القتل بحق الآخرين دون أن يخشوا عقاباً أو طائلة قانونية !! ولكنهم يطيعون كبارهم طاعة عمياء .

وهم الآن يلعبون ويمرحون كما يحلو لهم ، وتنطلق الصحفية إلى حضن البحر مع النساء السابحات من عائلة رضى ، بينما الأم ، حياة ، تلعب الطاولة مع أخريات لا يسبحن . . . ما أحلى موكب النساء هذا ، غير الأم طبعاً يذهبن إلى مياه البحر للسباحة ، وهن يتعلقن بأذيال ثياب الاستحمام حياءً . . . إلى أن يصلن حافة الماء . ما تزال سباحة النساء أمام الرجال ، حتى ولو كان الرجال أهلهن ، أمراً جديداً فيه مخاطرة . . لكن نساء عائلة علي رضا يسبحن تحت رعاية ومراقبة رجالهن .

أما في المساء ، فهناك الفيلم الذي لا بد من مشاهدته ، يعرض على شاشة بيضاء ، هي في الواقع جزء من الجدار طلي بالدهان الأبيض . لم نذهب إلى الفراش إلا بعد الساعة الثالثة صباحاً ، ولم يكن تلاطم الأمواج هو الذي جلب النوم إلى

عيوني ، لكنه طنين مكيف الهواء . وعند الفجر يتحرك جمع إلى البحر للقيام برحلة صيد بحري قبل طلوع الشمس وقبل أن يشتد حرها . أما بقية العشيرة فتبقى في فراشها إلى وقت متأخر . فالיום الجديد سيكون يوم راحة واسترخاء آخر ، لا يقطع رتافته سوى أربعة وجبات ، وخمس صلوات . فعائلة علي رضا عائلة متدينة تؤدي فرائض دينها بعفوية ودون ادعاء . فترى أفرادها ينشرون سجاجيدهم الصغيرة ويبدأون بالركوع والسجود في أوقات متباينة ، وليس جميعهم في نفس الوقت ، بينما غير المصلين يستمرون في أعمالهم الأخرى كما وكأن الوقت ليس وقت عبادة . كانت هناك امرأة لم تصل طوال النهار وعندما سألتها عن السبب ، قالت أنها في العادة الشهرية ، قالتها وكأنها أمر عادي تماماً ، بدون حرج ولا تردد .

وتقول الصحفية البريطانية معلقة على هذا :

« إن هذا الأمر هو تذكير حاد لنا على ضعة مركز المرأة في مجتمعهم . وهو مركز زاد من وضاعتها ، بالنسبة لحياة خاصة ، عدة مآسي متوالية : فبالرغم من المرح والتألق الذي يملأ وجهها ، لا تبدي أي ألم أو مرارة من الماضي . ولكن في ذلك الماضي ، كانت حياة الزوجة الأولى والوحيدة لمحمد ، عماد العائلة المقيم حالياً في باريس ، حيث يعمل سفيراً لآل سعود فيها . هي ما تزال زوجته ... رسمياً . ولكن في فترة الخمسينات ، تزوج

محمد بزوجة أخرى اسمها همسة (أو حمصة Hamsa) وخلافاً لحالة الكثير من النساء في تلك الحقبة السعودية من الزمن ، لم تستطع حياة تقبل مقاسمة امرأة ثانية لها زوجها ، وهكذا عاشا منفصلين . ولكن ليس بعيداً جداً عن بعضهما ، فقد بقيت في منزل في موقع على طريق مكة ، أقامت فيه مع أطفالها من زوجها محمد ، بينما استقر هو وزوجته الجديدة (همسة) ، في المنزل المجاور له مع أولادهما .

ابن حياة البكر مات موتاً بطيئاً وهو تحت العلاج من مرض اللوكيميا في المستشفى الأميريكي . مات قبل عامين . أما كيف مات فحكاية لا تنسى : في أحد الأيام شعر بتحسن ، فنهض من الفراش ، وأخذ زوجته (وهي إحدى بنات عمه ، فزواج بنات العم عادة متبعة في عائلة علي رضا) ، وإحدى شقيقاته وممرضته إلى مطعم لتناول الغذاء . ثم مات في اليوم التالي : أما المأساة الثانية فكانت حادثة اصطدام السيارة في باريس . فقد قرر السفير محمد أن يأخذ بعض أفراد عائلته إلى شاطئ البحر في فرنسا . لكنه صدم شجرة على الطريق . قتلت زوجته الثانية همسة ، التي كانت جالسة بجانبه على الفور . كما أن ابن حياة الثاني كسرت عنقه . وكانت هناك ابنة متبناة معهم ، انشقت جمجمتها ، بينما ابنة همسة الصغرى ، التي كانت تشاهد كل ما جرى ، فلم تصب بسوء .

« لن يكون بإمكان المرء أن يفهم أي شيء عن العربية
السعودية إلا إذا علم وأدرك تلك القوة التي تبقي على عائلة محافظة
مثل عائلة علي رضا متماسكة مترابطة . إن هذه القوة هي من
الصلابة بحيث جعلت حياة الزوجة المهجورة ، تقوم بنفسها
بتمديد ضررتها وغسلها قبل الدفن . .

الجزء الثاني

الفصل الرابع

قطر

ذلك الحاضر الضبي ..

والماضي المشبوه

قال عبد الله الطريقي يحدثني عن الجو «المخمل» الخليجي في الكويت : حين كنت وزيراً للنفط ، قمت بزيارة لمدة يوم واحد الى قطر لأقابل الأمير . فقدم لي حقيبتين مملوءتين بساعات زولكس والملابس الحديدية ! وبعد أن اضطرت لمغادرة العربية السعودية ذهبت لمقابلة نفس الأمير . لم يعطني ولا حتى خمس دقائق من وقته : كان خائفاً حتى الهلع . ولم لا؟ فرجال الحكم والسياسيون وقادة الدول يتوافدون اليوم لمقابلة أمير تلك البقعة الصغيرة شبه المجهولة : أوليست تلك نكتة مضحكة ؟ !

كان الطريقي يفور غضباً لسماعه بأن ليوبولد سنغور، رئيس السنغال والشاعر المشهور الذي فاز شعره بالجوائز الدولية الكبيرة، قد أعاد ترتيب الجدول الزمني لجولته بأكملها بما يتلاءم مع رغبة الأمير ، سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني . أما الرئيس (أو الذي كان رئيساً) عيدي أمين فيصل حاملاً كشكول التسول . ولكن الأبهة

أقل رنباً؁ فهو يصلي لكي يحصل على مبالا يتجاوز الـ ١,٧ مليون جنيه استرليني؁ وهكذا كان؁ فقد قرر الأمير أن ذلك المبلغ هو كل ما يستحقه الرئيس . الحقيقة أن الشيخ خليفة يطمح لأن يكون زعيماً ذا أبعاد عالمية (وهذا ما يفضل المترجم الفوري أن يترجمه بقوله : إن الشيخ مدرك لمكانه في التاريخ) . ولقد نجح الأمير نجاحاً باهراً . على تلك الطريق؁ حين أقام الرئيس جيسكارديستان حفلة استقبال على شرفه في قصر الإليزيه . ثم هو يسعى الآن للوصول الى نفس الخطوة ونفس النجاح في أمريكا . وذهب في رحلة خاصة الى انكلترة . ولف ودار حول القصر الملكي هناك؁ أملاً بدخوله . لكنه أعيد الى بلاده بخفي حين . وأخذ الأمير يتعلم اللغات؁ ولكنه كان يزوغ عن الدروس ثم حقق بعض النجاح ولكن على مجموعة من اسطوانات لينغوافون سُجلت خصيصاً لحسابه .

هذا النابوليون القزم يحكم رابية رملية أقل مساحة من الكويت؁ وسكانها لا يتجاوز عددهم عشر سكان الكويت أيضاً!! مرّ بأعوام مراهقة بائسة مشبوهة؁ وبالرغم من إصابته بمرض الشقيقة والتهاب الجيوب الأنفية المزمن؁ وبالرغم من النقص الواضح في علومه وثقافته؁ فإنه يشغل نفسه من الصباح الباكر حتى المساء؁ متنقلاً تحت حراسة بالغة الفخامة من مشروع الى آخر؁ ويا ويل موظفي التلفزيون إذا عرض برنامج لم يرق

له ، إذ سرعان ما يمد يده الى الهاتف ويتصل بالمسؤولين عن البرنامج لاعناً ساباً مؤنباً!! ويشكو من انعدام برامج التسلية المحببة له في شهر رمضان ، ولو أنه تأخر ، لحسن الحظ ، عن مشاهدة برنامج وثائقي أعد عن «تاريخ قطر» ، ولم يكتشف إلا متأخراً أن الموسيقى المرافقة للشريط كانت مقطوعة «الخروج» التي تصور هجرة اليهود وتشتتهم .

والأمير السعيد لا يبتعد عن حرسه الشخصي ولا لحظة واحدة ، حتى حين كان يتنزه في حديقة هايد بارك في لندن . فهذا الأمير المهووس والصلف المتجهم الوجه يعاني من عقدة الأمن . ويمكننا أن نتفهم هذا حين نعلم أن جدّه ظل يعده بالعرش مدة طويلة من الزمن ، ولكن العرش وقع في يد ابن عمه الطماع الشره ، أحمد . ورضي خليفة على مضض بمنصب وزير المالية والنفط ، حتى عام ١٩٧٢ ، حين وصل الى علمه أن ابن الأمير أحمد يعد لانحة اغتيالات أطلق عليها اسم «قائمة الموت» وان اسمه كان في قمّتها . ثم انعقد «مجلس العائلة» وأجبر أحمد على الإستقالة ومغادرة البلاد . أما ابنه فيعيش في إيران «الشاه» عبر الخليج ، وهناك كان ، حتى وقت قريب ، يلقي مباركة الشاه الكريمة المضيافة كمدمن على المورفين والمخدرات . (فقد استحال على أي دولة عربية أن تقبله ، حتى للعلاج ، ولكن الشاه ، ولأسبابه الخاصة ، قبل به واستضافه وأوسع عليه) .

وهكذا وصل العرش الى يد الشيخ خليفة ، وهو في قمة الإنتصار والإعتزاز . وجمع حوله زمرة من عائلته ، عائلة آل ثاني ، لم يكن من أفرادها أشخاص وجهاء مثل أخيه وزير الخارجية ، مثلاً ، لأنه منافس ومزاحم خطير . فكل ما كان يريده من هذه العصابة هو زمرة مؤيدة يعتمد عليها ، وتتكلم عليه ، ويقدم هو لها الأموال .

كان قد اقترن بزوجته الجديدة الأولى قبل خمسة عشر عاماً ، وكانت سيدة شابة متعلمة من بنات عمه . ولكن الأمير لسوء الحظ ، كان مشغولاً جداً فلم يعلن على شعب قطر ما إذا كانت الزوجة «قد ظهرت» (أي أعلن عن الزواج رسمياً) . ونساء الطبقات العليا ما زلن يزرن زوجته السابقة . وقد أمر ابنه الأكبر وولي عهده بالعودة فوراً من كلية ساند هيرست الحربية البريطانية لكي يصبح قائداً للجيش . واسترجع ابنه الأصغر من جامعته الأمريكية وعينه وزيراً للمالية . لكن هذين الولدين لا يمارسان سلطة فعلية ، فالسلطة الحقيقية كلها مركزة بيدي نابليون القزم نفسه ، يمارسها من مكتبة - القصر أو قصره - المكتب في عاصمته الدوحة .

لا يخطيء الزائر مكتبه ، فهو علامة مميزة ، وكل باب من أبوابه يفتح على غرفة خالية غير مؤثثة ، تتسع لحوالي خمسائة شخص . ويعمل في قصره حوالي أربعين شخصاً (ولو أننا لم

نعذهم !) أما جناح سموه ففي الطابق الثاني ، لكنك تلتقي بمساحات فارغة كثيرة قبل أن تصل الى هناك .

بعد قصر سمو الأمير ، تجد عاصمته نفسها ، التي تذكر بمخزن لبيع الألبسة في فترة التخفيضات (الأوكازيون) ، وتكاد تخطيء رؤية شوارعها الصغيرة وبيوتها ، التي بدت وكأنه لا يسمح لها بالارتفاع الى علو قصر آل ثاني ، باستثناء وزارة المالية ، ومتحف قطر الذي بني خصيصاً لإرضاء ذوق سعادة الأمير . .

والحقيقة أنك تتعلم الكثير عن الاختلافات والفوارق بين بلدان الخليج من الطريقة التي يحيي فيها هؤلاء ماضيهم .

ففي السعودية التقيت بعالم آثار أمريكي قدمت له الحكومة ٨٠٠ مليون ، لا شيء سوى ليجمد التاريخ الذي ينهمك الجميع حالياً في تدميره . أما في البحرين ، فهناك متحف أيضاً ، ولكن السائق الحكومي الذي نقلني الى هناك لا يعرف الطريق إليه ، وقد أكتشفت فيما بعد أنه لا يعرف ما هو المتحف !! وحتى الناس الذين سأهم لم يعرفوا الجواب ! ولم أتمكن من الوصول الى المتحف أبداً ، أما المتحف الحقيقي الذي زرته فقد كان منزل الشيخة حياة الخليفة ، التي كان يظنها عمال الآثار رجلاً ، ولم يكتشفوا أنها امرأة إلا حينها لاحظو صباغ التجميل على أظافرها .

وها أنا في قطر الآن ، وفي الدوحة ، تلك المدينة التي تشبه

لعب الأطفال . . لا وجه لها ولا معالم !!

وإذا يدا لكم المستقبل سخيلاً ، فإن الماضي يستحيل تصديقه هنا ، أتعرفون ما هو متحف قطر التاريخي ؟ إنه بيت الشيخ خليفة القديم !! فيه تجمعت سيرة طفولة الشيخ ، وهنوح حج الزوار ، وذكريات والده الذي يحبه حتى العبادة ، كما كان يحبه قبل أن يموت . وهكذا ، ولأن ماضي قطر لا يتعدى سيرة آل ثاني ، فقد كان ذلك « المتحف » هو أول شيء قرر الأمير بناءه بعد توليه العرش . وفي ليلة افتتاح المتحف قرر سمو الأمير أن يتزوج بابنة عمه ، من باب الإحتفال بافتتاح [المتحف] !

وأما القيم على هذا المتحف الذي تكلف بناؤه مليوني جنيه استرليني ، فبريطاني ، بالطبع ، من النوع الذي يحكم به العرب عادة ، وسمو الأمير تحديداً .

وزيارة هذا المتحف ، أي منزل والد سمو الأمير ، واجب مفروض على كل رئيس دولة يأتي لزيارة الأمير ، تماماً كقبر لينين في موسكو ، وقبر الجندي المجهول في البلدان الأخرى .

وأهم ما في المتحف هي صور سمو الأمير في أوضاع مختلفة ، يصافح الزائرين ، من الرؤساء وطالبي التقرب الدولاري ، الذين يبدون ، في الصورة ، صغار الحجم دائماً بالمقارنة مع سموه !!

وأينما نظرت وتجولت في المتحف ، تجد قطعة فنية ترحل معك دائماً ، هي القطري الوحيد الذي تشاهده هناك ، سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .

ولكن قطر الوهابية تختلف عن السعودية الوهابية أيضاً ، وتقول مؤلفة الكتاب البريطانية إن الفضل يعود في ذلك لوجود البريطانيين مستعمرين في قطر . ورغم أنها لا تتحدث عن فضل بريطانيا في استمرار وجود مثل هذا الأمير على رأس السلطة ، وهو الذي تصفه وكأنه مهرج السيرك ، فإن الكاتبة البريطانية تذكرنا بفضل بريطانيا على «نساء قطر» اللواتي لا يعملن فقط ولكن يقدن السيارات أيضاً ، مما حلّ مشكلة العلاقات الحسنة جداً في السعودية بين نساء الثراء وسائقيهم المخلصين . وقد سرنا كثيراً أن تجد الكثير من الويسكي والخمر الأخرى مباحة للجميع - من الأجانب ومن هو على علاقة بهم - شريطة أن تعرف كيف تطلب من مديري الفنادق الفخمة هناك «إذن الدخول» وتعرف أيضاً كيف تجد طريقك إلى البار والمصعد المخفي الذي يوصلك إليه في فندق البنتاهاوز في الدوحة .

ولكن الدوحة تثير قرف الكاتبة ، لأنها ، كما تقول ، مدينة ذات طابع إسلامي إذا ما قورنت بالكويت والبحرين ، كما أن أميرها الحالي يشن حملة على الرذائل المفضوحة . في الماضي كان آل ثاني ورعاياهم الأغنياء ، يتمتعون علناً بكل ما هو مباح وما هو

غير مباح ، أما الآن ، فقد عاد آل ثاني إلى الطريق الوهابية -
السعودية ، أي أنهم يحاربون الرذائل العلنية ، ولكنهم يمارسونها
بين جدران قصورهم ..

ولهذا أحزن الكاتبة البريطانية أن تكتشف أنه لا توجد «حياة
اجتماعية» للقطريين طبعاً - في الدوحة . حتى الأوروبي يتوجب
عليه أن يكون بالغ الحرص ، والذي يمسك به وهو يحاول تقديم
المسكرات الى قطري يطرد فوراً من البلاد ، ولأن بيع المسكرات
صار ممنوعاً ، فقد أعطت حكومة قطر إذناً لإحدى السفارات
الأوروبية لتوزيع الخمر وبيعها لمن لم تحرم عليه من الأجانب
المقيمين هناك .

أما القطريون في لندن فهم مشهورون بشيء واحد : إذا
أجرت لهم منزلاً أو شقة أو حتى غرفة في فندق ، فكن على ثقة
بأنهم سيتركونها خراباً يباباً (الكاتبة البريطانية هنا تشير على
مؤجري العقارات البريطانيين ، كما يبدو ، ألا يؤجروا القطريين
إلا ما هو يباب خراب قبل أن يسكنوه ! وبريطانيا - ولندن
خاصة - فيها الكثير من هذه العقارات وأصحابها !!)

وتضيف الكاتبة قائلة إنه لا يوجد مليونيرية كثيرون في
قطر ، لأن عدد سكانها قليل . ومن هؤلاء المليونيرية السلطان
عيسى . ذهبت لتناول القهوة مع زوجته ، فوجدتها قلقة مضطربة

لأن الأثاث الذي اشترته من لندن لم يصل بعد . اشترت الأثاث من محلات وارنغ أند هيلو (waring & Gillow) ، وقد أخبرها أحدهم قبل قليل أن هذه المحلات تتعامل مع إسرائيل وأنها على قائمة المقاطعة العربية ، وأن الأمور ، لذلك ، ليست على ما يرام .

أما ابنتها شريفة فترفض رفضاً باتاً لبس «البرقع» الذي ترتديه الكثيرات من النساء في قطر ، حتى ان بعضهن يغطين وجوههن بأكملها ، وهذا ينطبق بصورة خاصة على النساء المتقدمات في السن . أما الابنة الثانية للأمير - أو السلطان - عيسى ، وهي مفتشة في وزارة التعليم مع أنها لا تتجاوز الثالثة والعشرين من العمر ، فقد اقتحمت الباب وهي ترتدي تنورة (ميني سكيرت) . لا تكاد تستر شيئاً ، بل أنها من النوع الذي يوقف حركة المرور في ميدان البيكاديلي بلندن . وتدخل الابنة الثالثة ، جهينة ، البالغة من العمر سبعة وعشرين عاماً ، والتي تحضر لشهادة الدكتوراه في القاهرة . لونت أظافرها باللون القرمزي ، وكشفت عن كل أنوثتها بلا حساب !! أما الرابعة ، فحتى اسمها على الموضة ، وهو هارلا . ولأنها ما تزال طالبة في المدرسة ، فقد كانت مضطرة للبس الزي المدرسي الأزرق الطويل . . .

وفي الطابق الأعلى اقتحمت الكاتبة خلوة الإبن المدلل ، محمد ، الذي يستعد لتولي أعمال سلطان (وأعمال سلطان هي وكالة

رولزرويسن ، ووكالة محركات وشركة بناء ، وهلم جرا) ، وهو يستعد لهذه المهمة بكل جد . أما الأب فمسمر أمام شاشة التلفزيون ، كالعادة .

وحين تعود الكاتبة الى لندن تجد رسائل الدعوة من شريفة وبناتها يدعوانها لزيارتهم في منزلهن الفخم في لندن . الأم مشغولة برحلات المعالجة الى عيادات هارلي ستريت المشهورة : موعد مع طبيب الأسنان ، وموعد مع طبيب الروماتزم ، وما بينهما زيارات عديدة لمحلات وارنغ آند جيلو ، ولتمت المقاطعة العربية بقلبها ، ولتحى البضاعة الإسرائيلية !! فقد قررت السيدة شريفة شراء منزل أكبر من منزلها الحالي في لندن ، وقررت شراء أثاثه من تلك المحلات ، حيث لا تصلها يد المقاطعة العربية ، ولا تمنعها من التمتع بشراء أفخم الأثاث من محلات أصدقائها الإسرائيليين ، وهي المحلات المفضلة لديها .

والحقيقة أن السيدة شريفة لم تخرج في هذا عن أعراف عائلتها الحاكمة في قطر . فتلك الدولة (سبحان الله ! إنها دولة !) . كانت من أول الدول العربية التي أغرقت البضائع الإسرائيلية أسواقها في السبعينات وأوائل الثمانينات . وأهل الحكم فيها قوم أذكاء ، لا يربطون أبداً بين المواقف السياسية المعلنة وبين المصالح التجارية للعائلة . وما سترويه الصفحات التالية ، والذي لا يصدق عقل أو ضمير ، ليس سوى تفيد حرفي

بهذا الفصل الكامل بين الأمرين . . .

فلنبداً القصة من أولها . وعنوانها «شركة الماس الخليج المحدودة» . ووراء العنوان قصة أغرب من الخيال .

في صيف عام ١٩٨٥ ، جاء الى لندن ، كالمعتاد ، رهط من كبار شيوخ عائلة آل ثاني ، حكام قطر ، ووصل معهم أحد الشيوخ. الشباب ، هو ابن أخ وزير خارجية قطر . من المعروف عن الشيخ الشاب أنه يحب النساء والشراب أكثر مما يحب القمار فهو شاعر حساس مرهف المشاعر . . ولأنه بهذا القدر من رهافة الإحساس فهو يحب المال الذي تحبه الجواهر التي تحبها النساء اللواتي يحبهن الشيخ الشاعر . ولتسهيل أنساب الوصول إلى أهم حلقات هذه السلسلة - النساء - استأجر الشيخ - كعادته - سائقاً مع سيارته الفخمة ، ونزل في جناح فخم أيضاً في فندق «الرويال لانكستر هوتيل» في لندن . وسارت الأمور على أحسن ما يرام ، الى أن وقع ما لم يكن متوقعاً . .

لم يكن السائق يعلم أنه مراقب ، ليس من قبل أي جهاز أمني ، ولكن من قبل فلسطيني جاء من القدس المحتلة قبل عدة أشهر ، واسمه «أبو ناصر» . عندما وصل أبو ناصر إلى لندن في أوائل عام ١٩٨٥ ، كان يربط بنطاله بخيط من القنب ، ويشكو من القلة والجوع ، ورغم محفظة السامسونايت الأنيقة التي كان

يحملها حين نزل من طائرة «العال» الإسرائيلية ، ادعى أنه ، رغم فقره المدقع ، قدم الى لندن خصيصاً لجمع التبرعات من المحسنين الفلسطينيين لدعم إحدى الجمعيات الخيرية العاملة في الضفة الغربية المحتلة . ولأن جمع هذه الأموال يحتاج الى «رسائل توصية» فقد توجه أبو ناصر الى مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وطلب منه التوصيات . يبدو أن مدير مكتب المنظمة لم يعط رسائل توصية بل اكتفى بتقديم التوصيات «الهاتفية» ، وقامت بينه وبين «أبو ناصر» علاقات وصلات قوية حصل منها الأخير ، بالإضافة الى التوصيات إياها ، على مكسبين : أولهما أن أحد حرس ومرافقي مدير المكتب وجد «عمالاً إضافياً» لدى أبي ناصر ، وصار حلقة وصل بينه وبين مدير المكتب . وثانيهما أن مدير المكتب عرف «أبا ناصر» على محام فلسطيني معروف في لندن ، خاصة في مجال العمل من أجل قضية فلسطين . . . المقدسة على قلبه قدر قداسة علاقته المتنامية مع أبي ناصر ، جامع التبرعات ، فصار محامي جامع التبرعات . . . وصديقه الحميم . أما لماذا احتاج أبو ناصر إلى محام ، وعلى هذا القدر من الشهرة ، فستكشفه الأحداث التالية . .

يحاول السائق أن يجلب النوم الى عينيه بعد أن عاد الى بيته صباح أحد أيام صيف ١٩٨٥ ، وبعد ليلة حافلة بالسهر على راحة الشيخ الشاعر القطري . يجد صعوبة . يطبق عينيه مرة ثانية

وثالثة ، ويكاد ينجح رغم صياح طفليه اللذين كانا يطالبانه
ببعض المال ، وكان يطلب منهما الإنتظار قليلاً حتى يفتح الشيخ
محفظته . لم يكن السائق المسكين قد حصل على مليم واحد من
شيخ آل ثاني .

فجأة رنّ جرس الهاتف .. قفز السائق من فراشه ورفع
الساعة ..

- ألو ... مين ؟!

- أنا صديق لأحد أصدقائك في قطر ، وهو الذي أعطاني
رقم هاتفك ..

- أهلاً وسهلاً .. الإسم الكريم ؟

- أبو ناصر .. أنا من القدس .. حضرت الى لندن قبل
مدة ، وأنا بحاجة الى مساعدتك !

- أين التقيت بصديقي الذي أعطاك رقم الهاتف إذن ؟

- تلك حكاية طويلة ، سأقصها عليك حين نلتقي ، وآمل
أن يكون ذلك قريباً .. الآن مثلاً ..

- ولكنني لم أنم دقيقة واحدة طوال الليلة الماضية

- أعرف ذلك .. ولذا يجب أن أراك !!

- ولكن ..

- أنا بانتظارك في المقهى الكائنة في الطابق السفلي من فندق

لانكستر .. صاحبك الشيخ لا ينزل الى هناك ، فلن يرانا !!

اقتحم خيال السائق نصف النائم مزيج محير من الشك والقلق وحب الاستطلاع ، بدد النوم ، أو الرغبة فيه ، من عينيه ووجد نفسه يقول ، دون تفكير :

- سأكون عندك بعد نصف ساعة .. ولكن كيف سأتعرف

عليك ..

- لا تزعج نفسك .. سأقدم لك نفسي .. أنا أعرفك

جيداً ..

طار النوم نهائياً ، وطار معه سيارة السائق المذهول باتجاه مقهى فندق اللانكستر . أوقف سيارته في مكان بعيد لكي لا يراها الشيخ الشاعر إذا خطر له أن ينظر من النافذة ، وكان هذا أمراً مستبعداً على أي حال ، لأن عدد الكؤوس التي احتساها الشيخ في الليلة السابقة ، وجمال وجه وجسد «سوزي» ، صيد الأمس ، كانا كفيلين معاً ببقائه في فراشه حتى المساء .. ولكن الحيلة ضرورية ، فمن يدري ما قد يحدث ؟!

اقرب السائق من بوابة المقهى ، نظر جوله قبل أن يدخل ،

ثم قفز بخطوات سريعة الى داخل المقهى

- أهلاً أبو باسل !! تفضل إجلس !!

كان يجلس إلى طاولة قريبة من الباب رجل يناهز الخمسين من العمر ، سمين كبير البطن أصلع الرأس تقريباً إلا من بضع خصلات استقرت فوق أذنيه ، وكان اسمر اللون ، قصيراً ، يرتدي بدلة لم تلمسها مكواة منذ زمن بعيد ، وتحيط بقبة قميصه ربطة عنق سقطت عليها بضع قطرات من عصير الطماطم لم يحاول إزالتها . .

- تفضل يا أبا باسل . . تفضل

- شكراً . . وجلس الاثنان . .

- الداعي أبو ناصر . . من القدس . . جئت الى هنا لجمع التبرعات ، وأنا أجد صعوبة بالغة في ذلك . .

- أهلاً أبا ناصر . . تشرفنا . . وماذا تريدني أن أفعل . .

رشف أبو ناصر قهوته من فنجان كاد يختفي كله بين شفتين غليظتين تكوم فوقهما شاربان لم يكونا أقل حجماً من شفتيه ، ثم نادى على النادل وطلب فنجان قهوة عربية لأبي باسل . . ثم ثبت عينيه المحمرتين في عيني أبي باسل ، وقال بصوت هادئ واثق .

- علمت من أشخاص كثيرين أن علاقتك بشيوخ الخليج قوية ، وأنهم يثقون بك ويحبونك و . .

- إنني أسعى لكسب رزق أطفالي . . وأنا أملك سيارة

أوجرها لهم ، مع نفسي ، خلال الصيف ..

رسم أبو ناصر ابتسامة ذات مغزى على شفيتين كانتا مموهتين
بالشاربين الكثيفين ..

- نعم .. نعم .. ولهذا أردت أن أراك .. الواقع ..

- ولكن إذا كنت تعتقد بأن أمثال هؤلاء يقدمون

التبرعات .. فأنت مخطيء واهم .. واهم جداً يا أبا ناصر ..

- أنا لست من الذين يتصرفون بناء على الأوهام .. كنت أريد أن

أقول لك أنني حصلت على رقم هاتفك من أناس يقيمون هناك في

لندن ، وهم الذين ذكروا قريبك في قطر .. تمويهاً .. لأنهم لا

يريدون أن أكشف عن هويتهم .. فهم ذوو مقامات .. عليا ..

وابتسم أبو ناصر ابتسامة حجرية أخرى ..

- أنت تزدداد غموضاً يا أبا ناصر ..

- لا .. أبداً .. سأكون معك صريحاً جداً ، لأن علاقتنا لا

يمكن أن تكون وطيدة إلا بالصراحة .. والثقة !!

- طبعاً .. طبعاً ..

رشف أبو ناصر ما تبقى من قهوته ، وأخرج لفافة تبغ قدمها

لأبي باسل وأخرى لنفسه .. أشعلهما ، ثم انتظر حتى ابتعد

النادل عن طاولتهما التي وضع عليها قهوة أبي باسل ، وانحنى عبر

الطاولة حتى كادت شفتاه تلامسان وجه رفيقه ..

- أريد أن تعرفني على الشيخ ..

- لماذا ؟

- لأنني عندما أتيت الى لندن ، كنت أحمل معي حقيبة مملوءة
بالألماس المصقول !! من القدس طبعاً ..

- لكن الفلسطينيين لا يملكون ..

- دعني أنهي كلامي .. قيمة الألماس نصف مليون جنيه
استرليني .. وهو الآن في صندوق حديدي في أحد بنوك لندن ..
النصف مليون جنيه هي سعر الجملة .. أما القيمة عند البيع
فتصل الى ١,٥ الى ٢ مليون جنيه .. أريد أن أعقد صفقة مع
الشيخ لبيعه الألماس .. يجب أن أبيعته وإلا كان حسابي عسيراً ..

- ومن سيحاسبك ؟

- أصحاب الألماس ..

- ومن هم ..

- لا يهم .. أخذت صفقة ماثلة الى مصر عبر سيناء ، ولكن
حرس الحدود المصرية أوقفوني وفتشوني ، ولم أستطع التخلص
والعودة الى القدس إلا بعد أن رشوت الحرس بثلاثة آلاف

دولار . . أصحاب الماس لا يصدقوني . . وقد أرسلوني الى لندن
لبيع الألماس للشيوخ العرب . . وهم يراقبونني هنا . .

- ولماذا تخضع لهم بهذا الشكل . .

- عائلتي وأولادي في القدس . . أخاف عليهم . . وأنا
غارق حتى قمة رأسي مع تجار الألماس . .

- من يعرف عن وجود الألماس معك ؟

- أنت أول من يعرف !

- وماذا عن الذين أعطوك رقم هاتفي ؟

- قلت لهم إنني أريد جمع التبرعات . . وأنني بحاجة الى من
يوصلني الى شيوخ النفط . .

- ولكن . .

- حصتك خمسة بالمائة من قيمة المبيعات !! توقف أبو باسل
وحاول أن يحسب المبلغ الذي سيكون من نصيبه من المليون
جنيه . عجز عن الحساب خاصة بعد أن اخترقت أفكاره صورة
طفليه وأمهما وهم يتضرعون إليه لكي يعطيهم بعض المال لشراء
ثياب للطفلين . .

- ولكن . . ما . . أقصد . . يصعب طرح الموضوع . .

- لماذا ؟ أنت إنسان ذكي وستسنع لك الفرصة المناسبة . .

آمل أن تسنح لك مساء اليوم . سوزي جميلة جداً ، ولا بد أن يكون الشيخ مسروراً وممتناً لك ..

احمر وجه أبي باسل . أراد أن يترك الطاولة ويخرج .. لكن شيئاً ما أقعده عن ذلك ..

- لا يا أبا باسل .. لا ... أقصد أعذرني .. أنا آسف .. لكن نحن نعرف هؤلاء ال ..

أراد أبو باسل أن يسأله عن الفرق بينه (بين أبي ناصر) وبين هؤلاء ال .. ولكن ، وللمرة الثانية ، أقعده شيء ما ...

- حاول الليلة يا أبا باسل .. خمسة بالمائة من مليوني جنيه تعادل مائة ألف جنيه ، وأنا أدفع نقداً .. لا شيكات ولا إيصالات .. !! كيف حال ابنك ، المحروس باسل ، وشقيقته ؟
- بخير والحمد لله !! ولكن تعرف أيضاً أن لي ولدين ؟!

ابتسم أبو ناصر وقال

- ليحفظهما الله لك .. أنا عندي خمسة أطفال !!

- حفظهم الله لك ..

سادت فترة صمت ... وخطرت على بال أبي باسل عدة أسئلة .. لم يسألها .. ولم تجد جواباً .. سأل نفسه : ما العلاقة بين جمع التبرعات وبيع الألباس المصقول في لندن ؟ كان يعرف

تماماً من هم تجار الألباس ، ليس في القدس وحدها ، بل وفي
جميع أنحاء العالم ، فهم على شفة كل أمير وأميرة سعودية وخليجية
التقى بهما .. حيرَ اللغز .. استمر الصمت بضع ثوان ، ثم
قطعه أبو ناصر ..

- متى سنلتقي بالشيخ الشاعر ؟

- في السابعة مساءً .. إذا استيقظ ..

- خذ رقم هاتفي الخاص .. الناس يعرفون أنني أقيم في
فندق من الدرجة التي لا رقم لها .. والغرفة محجوزة باسمي
للتمويه .. أنا مقيم في شقة في «مي فين» .. هذا عنوانها .. ورقم
الهاتف هو رقمي الخاص في تلك الشقة ..

يمكنك أن تتصل بي في أي وقت .. وأنا بالانتظار ..

وقف أبو ناصر ، فوقف أبو باسل .. مدا يديهما
مصافحين .. وقبل الإفتراق قال أبو باسل ..

- تعرف عني كل شيء .. ولا أعرف عنك شيئاً ..

- سبتعرف الكثير ..

- وماذا أقول للشيخ عنك ..

- قل له . تاجر الألباس مصقول بأرخص الأسعار !!

وشدَّ على يد أبي باسل ، وفي لمحة البصر ، خرج من

المقهى ، واختفى !!

وقف أبو باسل عند بوابة المقهى يحاول أن يستجمع أفكاره .. ولكنه عجز عن التفكير .. وحتى عن القيادة بشكل سليم .. وكاد يصدم بسيارته سيارة أخرى لولا مهارة السائق الآخر .. وصل إلى بيته ، وانسلّ في فراشه وبدأ مغازلة النوم .. سألته زوجته أين كان ومن الذي استدعاه .. قال : سأحدثك عنه بعد أن استيقظ .. أين الأطفال ؟ .

ولم يسمع أبو باسل جواب زوجته ، فقد أتاه النوم سريعاً .
هذه المرة ..

بعد ثلاثة أيام كان أبو ناصر وأبو باسل والشيخ الشاعر يحيطون بسوزي الشقراء التي خلبت عقل الشيخ وخرقت جيوبه .
وكانوا يجلسون في زاوية هادئة من غرفة الإستقبال الكبرى في فندق «الرتذ» ، بعيداً عن الأنظار . أفرغت سوزي كأس الشمبانيا في جوفها دفعة واحدة ، فاستغل أبو ناصر الفرصة وتحدث باللغة العربية الى الشيخ ..

- سيدي .. كما تعلمون .. موضوعنا بالغ السرية حبذا لو جلسنا لوحدها .. أقصد .. على انفراد ..

- ماذا .. ؟ هل تريد أن يتركنا أبو باسل ؟ حسناً فليكن ذلك .

اضطرب أبو ناصر قليلاً ..

- المقصود يا سيدي .. المقصود .. ربما نقلت من ألسنتنا
بضع كلمات قد تفهم هذه الجميلة منها شيئاً !!

- ماذا .. سوزي تذهب ؟ ولكن ..

- أمرك يا سيدي ! أردت فقط أن نكون أكثر حذراً ..

نظر الشيخ الى سوزي نظرة عاشق ولهان ، ثم ضم صدرها
الى صدره ، فمالت عليه . وبينما كان يقبلها قبله طويلة امتدت
احدى يديه الى قفاها ، فدفعت نفسها وضحكت ، وعندها أدخل
يده تحت قفاها .. (وساعدها على النهوض) .. لم يقف هو طبعاً

- كم الساعة الآن يا سوزي ؟

- الثامنة ..

- اذهبي الى الجناح .. في الفندق .. خذي حماماً
ساخناً .. وسأكون عندك في العاشرة ..

ذهبت سوزي ، وتحولت الجلسة الشاعرية الى جلسة
عمل . : بدأ الشيخ :

- حدثني أبو باسل عنكم كثيراً .. وأنا مسرور ببقائني
بك .. هل يمكن أن نرى البضاعة ..

- في أي وقت تشاؤون يا سيدي .. ولكن ..

- دعنا من «ولكن» هذه .. كم الثمن

- قبل أن تروها ؟!

- أبو باسل هو الكفيل .. سآتي بها غداً .. وسنتفق على

السعر ..

- إن كنت مصرّاً .. فأت بها الآن .. أو فلنذهب نحن

إليها !!

- أنا رهن إشارتكم .. فلنذهب الآن !!

فتح أبو باسل عينين مشدوهتين ..

- ولكنها في صندوق حديدي في البنك !!

- كان ذلك قبل ثلاثة أيام .. ولكني حسبت حساب رغبة

معالي الشيخ !!

لم تكن المسافة بعيدة بين فندق «الرتذ» وشقة أبي ناصر في «مي فير». فمشى الثلاثة حتى وصلوها سيراً على الأقدام . الباب الخارجي مغلق . لمس أبو باسل بضعة أزرار بسرعة ، فانفتح الباب ، ودخل الجميع . وصلوا باب الشقة فوجدوا هناك رجلاً ضخماً هائلاً يقف على الباب ، تعرف عليه أبو باسل على الفور :

- أبا خليل !! ماذا تفعل هنا ؟

- أعمل عند أبي ناصر في المساء ! راتب منظمة التحرير لا يسد الرmq !!

- وهل يعرف مدير المكتب بذلك ؟

لم يجب أبو خليل ، لأن أبا ناصر كان قد ضغط على بضعة أزرار أخرى وفتح باب الشقة ، فدخلها الثلاثة ، وبقي «أبو خليل» عند الباب . ظهرت معالم الدهشة والإعجاب على وجه الشيخ الشاعر ، أما أبو باسل فلم يكذب يصدق ما رآته عيناه . حتى الشيخ لا تتوفر له مثل هذه الشقق الفاخرة . : سؤال الشيخ . . .

- كيف حصلت على مثل هذه الشقة ؟ بحثت كثيراً عن شقة مثله هنا فلم أوفق . . .

- إنها تابعة «للشغل» يا سيدي !!

- أتقصد . . أنها ملك للشركة ؟

- لا أعرف بالضبط ، ولكن أصحاب الألباس هم الذين دبروها . .

وسارع أبو ناصر الى جدار لم يكن يبدو عليه ما يوحي بأنه غير ذلك ، ثم أخرج من جيبه آلة صغيرة وضغط على أزرارها ، فتحرك الجدار ودخل في فتحة داخل جدار مجاور ، وانكشف أمام

الجمع صندوق حديدي كبير . . عالج سره أبو ناصر فانفتح هو الآخر ، ثم أخرج منه محفظة سوداء أنيقة ، سرعان ما انفتحت بناء على أوامر من شيفرة سرية أخرى .

- هذه هي البضاعة يا سيدي !!

- لكن لسان الشيخ كان قد شلّ لما رأى ، فلم ينطق بكلمة

واحدة !!

- هل أعجبتكم ؟

هز الشيخ رأسه . إحدى الماسات كانت بحجم زجاجة عطر

صغيرة .

بعد فترة نطق الشيخ :

- كم الثمن ؟

- مليوناً جنيه استرليني يا سيدي . الشركة لا تقبل

الشيكات . تتسلمون هذه الحقيبة وتسلم حقيبة مشابهة تضم

المبلغ . .

- هذا كثير يا أبا ناصر !!

- إنها قطع نادرة يا معالي الشيخ . والشركة مصرّة على هذا

السعر . . فالتكاليف باهظة أيضاً . .

- أفضل أن أتحدث الى مسؤولين أكبر منك في الشركة ..

- لماذا ؟

- لأنهم قد يتهاودون في السعر . ولأن لدي مشروعاً آخر ..

- وما هو ؟

- قلت لك إنني أود التعرف على رئيس الشركة ..

- حالياً أنا رئيسها !

نهض الشيخ وتوجه صوب الباب .

- لا تتصل بي بعد الآن .. مدير الشركة أو لا شراء ..

كان أبو ناصر قد سبقه الى الباب وقد فتح يدين ضارعتين
وغطى العرق جبيناً ذليلة ، وقال وخنقة الدموع في حلقه :

- يا معالي الشيخ .. مولاي .. اعذرني .. لم أقصد

الإهانة .. اجلس وسأحدثك بكل شيء .. تفضل يا سيدي ..

تفضل ..

عاد الشيخ أدراجه ، ثم جلس قبالة محافظة الألباس وأطال
النظر الى ما فيها . التفت فجأة الى أبي باسل فوجده مسمرّاً في
مكانه وعيناه على المحافظة ، ولكن بدا وكأنه لا ينظر الى ما فيها ،
بل عبرها .. عاد أبو ناصر الى الظلام :

- سيدي .. تعرفون أن أصحاب الألباس سيطلبون مني

سبباً لإرسال المدير الى هنا ..

- قل لهم .. إنني سأشتري هذا الألباس ، وسأنشئ شركة معهم .. لتغطية منطقة الخليج والسعودية بأكملها ! هل هذا يكفي لظهور مدير الشركة ..

انهال أبو ناصر على الكرسي المقابل ، وبدأ ساهماً يبحث عن جواب .. فجأة اعتدل في جلسته وراح يتحدث وكأنه شريط مسجل ..

- أصحاب الألباس يا سيدي يهود إسرائيليون ، فركزهم الرئيسي في القدس ، ولهم مقر كبير في نيويورك هم .. بما فيا منتشرة في كل مكان .. و

اسمع يا ولد!! لا تكرر هذا الكلام مرة أخرى... لا يهمني إن كانوا يهوداً إسرائيليين أم شياطين!! أنا لم أسمع هذا الكلام منك ولا من غيرك!! فهمت؟! أنا أتعامل مع شركة الماس . وكفى!! وماذا يفيدهم ان يكونوا إسرائيليين . ولكن .. مرة أخرى .. أقول أنا لم أسمع ما قلته الآن ولا أعرفه .. فهمت ..
- فهمت يا سيدي .. فهمت ..

لاحت من أبي ناصر التفاتة الى أبي باسل .. كان العرق يتصبب من على جبينه ، وخيل لأبي ناصر أنه رأى دموعاً في عينيه .. ولكنه لم ينطق بحرف واحد .. لكن المتحدث كان الشيخ الشاعر :-

- أنا هنا لمدة أسبوع .. وأريد أن أنهي كل شيء قبل
مغادرتي لـ لندن ..

- ما رأيكم يا سيدي أن نلتقي «بمحامي الشركة» ونتفق على
كل التفاصيل ، ثم استدعي المدير من نيويورك للتوقيع ...
- موافق

- سأتصل بكم في أقرب فرصة ..

في الإجتماع الذي عقد بين يومين ، والذي حضره أبو ناصر
ومحامية ، الذي لم يكن سوى ذلك المحامي المدافع عن القضية
الفلسطينية في بريطانيا ، وأبو باسل ، والشيخ الشاعر ، تم
الاتفاق على أن صفقة الألباس الحالية تعتبر جزءاً من أعمال
الشركة ، وعلى قيام شركة تسمى «شركة ألباس الخليج
المحدودة» . اتفق على أن يكون شركاؤها في الخليج وأصحاب
فروعها الشيخ آل ثاني الذي حضر الاجتماع .. وأحد كبار الأمراء
السعوديين الذي سيكون المسؤول عن فروعها في السعودية .
واتفق على تقاسم أرباح المبيعات في الخليج والسعودية مناصفة بين
الشركة الأم والأميرين ، وحين طالب أبو باسل بأن ينص عقد
الشركة على حقه المقدر بخمسة بالمائة من الأرباح ، رفض الشيخ
حتى ذكر اسم أبي باسل في العقد ، وتدخل أبو ناصر ومحاميه
لإقناع أبي باسل بأن حقه «في ذمتها» .. حتى بالنسبة للصفقة
الحالية ، أصر الشيخ على عدم ذكر اسم أبي باسل ، السائق

الصغير ، لكنه وعده بخمس سيارات مرسيدس من المانيا ، هدية شخصية منه . فسكت أبو باسل مكرهاً كارهاً . قدر رأس مال الشركة في الخليج والسعودية بثمانين مليون دولار ، وسلمت للشيخ أرقام هواتف في إسرائيل ونيويورك ، وذكر له اسم الشخص الذي سيصل في اليوم التالي من نيويورك لتوقيع العقد . وبالفعل ، نقل المسكين أبوباسل الجمع الى مطار هيترو في اليوم التالي والتقى الأمير وأبو ناصر ، يرافقهما الشيخ وأبو باسل !! بشخص وصل على ظهر طائرة خاصة من نيويورك ، كان يرتدي بنطالاً وقميصاً قصير الكمين ويدخن السيجار . لم يتوجه القادم من نيويورك الى مدينة لندن ، بل عقد الجميع اجتماعاً معه في أحد الفنادق القريبة من المطار ، ووقع عقد إقامة الشركة بصفته محامي الشركة الأم وبالنيابة عنها ، وأبرز وثائق تؤكد هويته ، وتؤكد أنه مواطن إسرائيلي من مواليد نيويورك . . ووقع المحامي الفلسطيني أيضاً بالنيابة عن أبي ناصر . . بينما وقع الشيخ العقد نيابة عن نفسه وعن الأمير السعودي (الوزير الهام) . لكن أحداً لم يشاهد الأمير السعودي في حين يقول أبو باسل ، الذي استطاع حفظ الأرقام الهاتفية التي تبودلت بين الطرفين ، أن فاتورة الهاتف التي سددها الشيخ الشاعر للفندق بلغت أكثر من ألفي جنيه ، وأنه كان يطلب منه مغادرة غرفته حين كان يتحدث على الهاتف .

لم يحصل أبو باسل على السيارات الخمس ، ولا حتى على

عجلة سيارة واحدة ، وصار الشيخ يرفض استقباله . يقول أبو باسل إنه انفق كل مدخراته في ذلك الصيف على تكريم أبي ناصر ، وأنه لم يقبض أي مبلغ لقاء مرافقته للأمير في ذلك الصيف . لذلك قرر مطالبة أبي ناصر باستحقاقاته ، وبدأ أبو ناصر يتهرب منه ، فلبجأ الى المحامي ، فقال له : أنا محامي الشركة وأفعل ما تقوله الشركة . وفي إحدى المرات التي نفذ فيها صبره توجه الى شقة أبي ناصر في «مي فير» وضغط على زر الجرس الخارجي . رد عليه صوت نسائي من الداخل ..

- من ؟

- أنا .. أبو باسل .. هل أبو ناصر موجود ..

- انتظر لحظة ..

وانتظر لحظة ، ثم تناهى اليه الصوت النسائي مرة أخرى ..

- لا .. غير موجود ..

ضرب أبو باسل رأسه بيده : هذا الصوت .. إنه مألوف تماماً .. إنه يعرف صاحبه .. فرك جبينه مرة أخرى .. ثم قال ..

- هل ترك لي رسالة ؟

- كلا . . لم يترك أي رسالة .

- ومتى يعود ؟؟

- لا أدري . .

- شكراً يا سوزي !! قولي له ، إنني أتيت لزيارته ، وسأعود

ثانية .

- عفواً أبو باسل !! مع السلامة !!

استدار أبو باسل صوب سيارته ، فرأى سيارة «بي أم دبليو» فخمة تقف بجانب الشقة . أبو باسل يحب السيارات الفخمة ويحلم باقتنائها . لذلك وقف ينظر الى تلك السيارة ويتفحص مميزاتا ، ولكنه كان يفكر بشيء آخر . . القتل !! أبو ناصر لم يضحك عليه فقط ، بل ضحك على الشيخ أيضاً !! حتى سوزي جزء من الخطة !! بدأ يفكر بأسلوب قتل أبي ناصر ، وبعد الخطة . . خطر على باله ولداه وزوجته . . من أجلهما فعل ما فعل . . إذا دخل السجن فماذا يجنون . . لا بد من خطة أخرى لا يكون هو المنفذ لها . . استئجار قتلة . . ولندن تعج بهم !! وبأرخص الأثمان . . سيبحث عنهم وسيستأجر واحداً منهم . . فجأة سمع فتح باب خلفه . التفت فرأى أبا ناصر وسوزي يخرجان من باب الشقة الخارجي ، ورأى جزءاً من جسد «أبي خليل» يختفي وراء الباب الذي انغلق . .

- ولكن سوزي قالت إنك غير موجود !

- لم تكن سوزي تعلم بوجودي !!

- أنا قادم لزيارتك .. دعنا ندخل الشقة مرة أخرى ..

- ولكن عندي سهرة هامة ..

- عد الى داخل الشقة .. وأرسل «سوزي» مندوبة عنك الى السهرة ..

- كيف تسمح لنفسك بالكلام معي بهذه الطريقة ؟ من تظن نفسك ؟

- السائق أبا باسل .. ولكن عد الى الداخل .. هذا إذا كنت تريد أن تبقى على قيد الحياة ..

- وتهددني أيضاً ؟

- فتح الباب وأطل «أبو خليل» :

- ماذا ؟ هل ما زلتما هنا ؟

- تعال يا أبا خليل وخلصنا من «هذه الورطة» اقترب أبو خليل من الثلاثي الواقف هناك ، وعندما ميز وجه أبي باسل تغيرت لهجته

- ماذا ؟ أبو باسل هنا ..

- نعم يا أبا خليل .. وأريد أن أتحدث الى أبي ناصر ..

وهو يرفض . سوزي .. خذي مفاتيح السيارة وشغليها !!

اتجهت سوزي الى سيارة الـ بي أم . دبليو وفتحت بابها
وشغلت المحرك ..

- والآن أريد أن أذهب .. سأراك مرة أخرى ..

- لن تذهب قبل أن نتحدث ..

- أبو خليل !! خلصني منه !

لكن أبا خليل اضطرب وتلعثم .. ثم توجه بسؤاله الى أبي
ناصر :

- لماذا لا تريد أن تتحدث مع أبي باسل ؟

- لأنني على موعد هام ..

- ما قضيته حتى الآن في الشجار معه كان يكفي للحديث

الذي يريد أبو باسل أن يحدثك به ..

- ماذا يا أبا خليل ؟ وهل «حنّ الدم»؟؟ ! ثم التفت أبو

ناصر الى أبي باسل وقال :

- أعرف كل ما تريد أن تقوله .. حقوقك مكفولة حسبها.

ورد في عقد الشركة . .

- ولكن عقد الشركة لم ينص على أي حقوق لي . وعدتني أنت بخمسة بالمائة من الأرباح . .

- ولكننا لم نبع الألماس !! بل أصبح جزءاً من رأس مال الشركة !! اسمع يا أبا باسل . . أنت لك أطفال . . فلا تحرمهم منك !!

وتوجه الى السيارة ودخلها ، فسارعت سوزي الى الإنطلاق بها .

تابع أبو باسل السيارة حتى اختفت ، ثم التفت الى أبي خليل : -

- هل تعرف ماذا يجري هنا ؟

- لا . . أنا حارس شخصي براتب

- وهل يعرف مدير مكتب المنظمة أنك تقوم بهذا العمل الإضافي .

- أنا لم أحدثه عن الموضوع . .

صعد أبو باسل الى سيارته ، وقادها ونظرات دهشة بلهاء تلاحقه من وجه أبي خليل . في اليوم الثاني نفذ فكرة أوحى له بها وجود أبي خليل في شقة أبي ناصر . توجه الى مدير مكتب المنظمة

وحدثه بكل شيء.. . وبكافة التفاصيل.. . أرغى المدير وأزبد وقال انه يريد المعلومات المفصلة كتابة، مع أرقام الهواتف السرية، ليعطيها الى «القيادة»، لتلقن هؤلاء «الأمراء والشيوخ» درساً لا ينسونه! بعد أيام قليلة، سمع أبو باسل أن مدير مكتب المنظمة طرد «أبا خليل» من عمله في المكتب. ثم أتى أبو خليل نفسه لزيارة أبي باسل، حيث أبلغه بأن أبا ناصر طرده من خدمته في نفس اليوم!!

فهم أبو باسل أسباب الطرد المزدوج الذي تعرض له أبو خليل وتفهمه، ولكن الذي صبره ولم يستطع فهمه هو ما رآه بعد أسبوع تقريباً. فقد دخل أحد المطاعم الراقية برفقة «أمير» آخر ولشد ما أدهشه، وصعقه، أن رأى مدير مكتب المنظمة وزوجته والمحامي الفلسطيني الوطني والمدافع عن قضية فلسطين وقضية «شركة ألماس الخليج المحدودة» في آن واحد، رآهم يتناولون طعام العشاء ويضحكون ويسمرون كما يسمر أعز الأصدقاء.. . اقترب أبو باسل من طاولة المدير وحيّاه، دون أن ينظر الى المحامي!

- ايه يا أبا باسل.. . هل كتبت المعلومات المفصلة وأتيت لي بأرقام الهواتف.. . لقد حدثت أبا عمار عن الموضوع.. . فلا تخرجني.. . أريد المعلومات بسرعة.. .
- لقد حدثتك بكل ما عندي....

- كتابة يا أبا باسل .. كتابة ..

- اكتبها أنت ..

واستدار أبو باسل وخرج من المطعم .. عند الباب ، وقبل أن يغلقه وراءه سمع «فرقة» ضحكة عالية .. التفت الى وراء فرأى مدير المكتب والمحامي الوطني جداً ينظران اليه ويضحكان !!

هنا نتذكر تلك الحفلة الصاخبة بدعارتها وسكرها وما جرى فيها من حديث عن القيم والمبادئ والسياسة التي أقامها الأمير خليل للدكتور غري في مقره في الرياض ، وتحدث فيها عن رسوخ دعائم الإسلام والعائلة المالكة والحب لأمریکا والتعامل مع اليهود ، وقول أحد الأمراء أن آل سعود يدفعون الأموال لمنظمة التحرير ، لا من أجل التحرير ، فهذا مطلب لا يخطر على بال آل سعود ، ويبدو أن المنظمة تخلت عنه ، ولكن من أجل أن تبقى المنظمة بعيدة عن «الأفكار الجذرية» أي بعيدة عن السبب الذي من أجله قامت وقدمت ما يزيد على الربع مليون شهيد منذ عام ١٩٦٥ .

وسواء كان أبو ناصر عميلاً للمخابرات الأردنية ، كما قال مدير مكتب المنظمة في لندن ، أو عميلاً للمخابرات الإسرائيلية وأصحاب الألباس الإسرائيليين ، كما قال هو نفسه ، فإن موقف آل

ثاني ، وأبناء عمهم أمراء آل سعود ، من الألباس الإسرائيلي ، لا
يختلف عن موقف السيدة «شريفة» من الأثاث الثمين الذي اشترته
من لندن : فالموقف واحد والمنبت واحد ، والكلام واحد : نحن لم
نسمع ولا نعرف . . أنت لم تقل لنا هذه بضاعة إسرائيلية ! هل
فهمت ؟ ! فهمت يا سيدي !! فهمت !! ثم تتم الصفقات ، ولا
أحد سمع ولا أحد دري . .

وسيكون الفضل لآل سعود وآل ثاني في تحرير فلسطين يا
منظمة التحرير !!

الفصل الخامس

إمارات الشيخ زايد

والزوائد الأخرى

وتقفز الكاتبة دون مقدمات الى الإمارات العربية المتحدة ، لتخبرنا بأن والد الشيخ زايد وصل الى السلطة بأسلوب تقليدي يتلخص بأنه دعا الحاكم شقيقه الى حفلة عشاء في مساء يوم من عام ١٩٢٢ ، وأثناء تناول الحاكم - الشقيق - الطعام ، أطلق عليه والد زايد النار من الخلف وقتله .

لكن سلطان ، والد الشيخ زايد ، سرعان ما لقي حتفه ، وتولى السلطة بعده شقيق آخر اغتيل ، حسب العادة ، عام ١٩٢٨ . هذا هو نمط العائلة الحاكمة ونمط علاقاتها ومدى محبة أفرادها بعضهم لبعض . وهكذا الى أن يصل الى سدة الحكم الشيخ شخبوط ، الشاب البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً ، فيصبح شخصية اسطورية ، أكثر ما فيها أسطورية: أنه كان يحتفظ بعائدات النفط في خزانته على صورة أوراق نقدية (بنكنوت) ، فغذتها الفئران وقضمتها (وهل يمكن هذا ؟ !) ، وهو الذي أراد أن يحمي شعبه من الأذى بمنع أي شكل من

أشكال التطوير الإقتصادي أو التجاري !!

وحين قرر الانكليز أن وقت شخبوط قد حان ، وأنه يجب أن يولي الأدبار ، تم ذلك ، ولكنه لم يصف جسدياً كالمعتاد ، لأن والدته كانت قد أخذت عهداً من أبنائها ألا يقتلوا بعضهم بعضاً ، فأعلن تنازله عن العرش . وصعد أخوة زايد الى سدة السلطان عام ١٩٦٦ (يطلقون عليه هناك اسم : صقر الصحراء) ، وما يزال الصقر طائراً حتى يومنا هذا . .

والشيوخ في أبو ظبي ، والشيوخ فقط يستطيعون أن يفعلوا ما يشاؤون . وهم حقاً يفعلون : تحدثنا الكاتبة ليندا عن حادثة وقعت في مطعم الفندق الذي نزلت فيه في أبو ظبي ، حين وقعت عيناها على شيخ من هؤلاء متقدم في السن كان ينظر نظرة شهوانية ظاهرة الى فتاة صغيرة تجلس الى طاولة أخرى قريبة من طاولته ، فتهرب الفتاة الى غرفة صديقة لها ، توقعاً واحتساباً للخطر الدائم . فهي تعزف جيداً أن أياً من أفراد العائلة المالكة إذا أراد شيئاً ما ، ولو كان هذا الشيء فتاة أجنبية يستطيع أن يطلب البوليس ويطلب منهم إحضارها إذا شاء !!

وتتساءل ليندا : وماذا يتوقع المرء من هؤلاء ؟؟ هم من صنع الإنكليز الذين لم يكن همهم طوال فترة وجودهم الطويلة هنا سوى الإبقاء على الأمور هادئة في منطقة الخليج حتى تسهل

سيطرتهم عليها ، فلم يفكروا في عمل أي شيء بناء ، وما أن غادروا المنطقة حتى نسوها ونسوا حكامها ولم يعودوا يتذكرون سوى نفطهم وأموالهم - أي أموال الحكام ونفطهم - فتركوا زايد يسرح ويمرح لأنهم ظنوا أنه سيكون رجلاً حسن السلوك - تجاههم - متعاوناً معهم سيبقي أموال البلاد تحت سيطرتهم ، ليفعل بعد ذلك ما يشاء!! لم يترك الإنكليز هناك مدرسة واحدة ، ولا متعلماً واحداً . أما الشيخ زايد فقد بنى طرقات ، خاصة الطريق من أبوظبي الى العين ، حيث يحتفظ بعدد من زوجاته في تلك الواحة ، كما يحتفظ بشقيقه المخلوع ، الشيخ شخبوط . .

والمتحف ، كما كل وسائل الاعلام ، تضج بالنعيق مدحاً وتعظيماً للشيخ زايد ، حتى ليحسبه السامع مزيجاً من حكمة سقراط وحنكة فردريك العظيم السياسية . القليلون يتحدثون عن عدد العقارات التي اشتراها في بريطانيا ، في لندن ، وسسكس ، وحتى في اسكتلندة ، ومن هذا الذي سيحسد الشيخ الكريم على امتلاك مقر أو مقرين في الباكستان؟ ألا يستحق الرجل المكافح إجازة شهرين سنوياً يقضيها في باكستان ليصيد الغزلان . ثم إن صقوره التي تبلغ قيمتها ملايين الدولارات . . ألا تستحق أن تمارس هوايتها المفضلة ، هواية الصيد ، وأن تبرز مواهبها في هذا المجال ؟ والحقيقة أنه بزَّ حاكم قطر على المستوى الدولي ، فسفاراتها يغدق عليها بلا حساب ، حتى إن إحدى تلك

السفارات ، (وأغلب الظن أنها سفارته في لندن ، أيام كان سفيره فيها طيب الذكر مهدي التاجر) حصلت على لقب الدكتوراه (PHD) . ولكن بمعنى آخر . فهذه الحروف هي الأحرف الأولى لكلمة دكتوراه فلسفة في اللغة الإنكليزية ، ولكنها أيضاً الأحرف الأولى لكلمات إنكليزية ثلاثة أخرى هي : دائرة الدعارة والتحشيش !! . . . وبالطبع فإن الشيخ زايد لا يمكن أن يعرف بذلك ، ومن هوذا الذي سيجراً على أن يقول أن زايد يعرف شيئاً كهذا؟؟ وهل يعقل أن يستحي مهدي التاجر بنفسه؟! إنه تلميذ سيده !! وحين خطفوا شقيقه في لندن . وطلبوا مليوني جنيه لإطلاق سراحه ، قال الخاطفون إنهم قرروا خطفه بعد أن تبجح في برنامج تلفزيوني بأن مهدي التاجر هو أغنى شخص في بريطانيا (قدرت ممتلكاته فقط هناك بألفي مليون جنيه ، فاستحق بذلك لقب حامل الدكتوراه آنف الذكر) . كما صعد الى مرتبة النجوم مؤخراً وزير الخارجية ، أحمد السويدي ، رجل الأعمال والمصارف والحاكم بأمره في أبوظبي بعد الشيخ زايد ، فهل يعقل أن يكشف عن ممارسات حبيبه المقرب مهدي التاجر !!

لقد سببت له زوجاته العديداً ، وولاداتهن الأكثر عدداً ، مشكلة حقيقية بالنسبة لخليفته ووليّ عهده ، فولي العهد الأمير خليفة ، يعمل جاهداً ليكون محل رضى والده ، وتحقيقاً لأمله فيه ، ولكن الشيخة فاطمة الزوجة المدللة الوحيدة التي بقي عليها

الشيخ زايد قريبة منه في أبو ظبي (وليس في العين ، كما هي حال الزوجات الأقل حظاً) قد بدأ صغارها يكبرون وهي تطمح في أن يتولى المنصب السامي ابنها البكر محمد ، بعد عمر طويل يقضيه زايد في السلطة وجمع الأموال والزوجات !!

وهناك أيضاً أولاد العائلة المالكة الآخرون ، مثل الشيخ سعيد ، ابن الشيخ شخبوط ، وزوج ابنة زايد ، وهو من المقربين للشيخ زايد كثيراً ، خاصة بعد أن أطلق النار على شقيقته وقوادها ، ثم مات منفيًا ومتأثراً بمرض السكر . كان الشيخ زايد يحبه الى درجة أصر معها على نقل جثته جواً الى البلاد ودفنها هناك . . ولم تكن المحبة فقط هي السبب ، بل السبب الحقيقي هو أن تتحول الجثة الى مشكلة سياسية !!

ثم هناك ابن أخيه الآخر ، الذي اعتاد على تمضية وقت فراغه بدفن المواطنين المساكين في الرمل حتى أعناقهم ، وتركهم هناك طيلة النهار الغائظ الملتهب ، لا شيء سوى للإستمتاع بالمشهد اللذيذ !!

ولكنه هو أيضاً مات . . متأثراً بالإدمان على شراب الويسكي المعتق !!

فمن بقي إذن ؟؟

نعم !! بقي الشيخ شخبوط نفسه !! الأخ والحاكم الذي أطاح به زايد . مسكين الشيخ المخلوع شخبوط ، راتبه السنوي من أخيه المحب زايد لا يتجاوز النصف مليون دولار سنوياً ، لا تكاد تكفيه لقوت يومه المتواضع في منفاه في العين . ولكنه ، زايد ، لا ينسى أخاه ، بل يبقى على صلة - هاتفية - معه بين الحين والآخر ..

ومشكلة الشيخ شخبوط أنه يحب الزوار ، ويسألهم ، من خلال مترجمه الخاص ، أسئلة كثيرة . فقد سأل البريطانية ليندا حين زارته : ما هو عدد طلبة جامعة كمبردج ؟ (ألا يكفيه ذلك برهاناً على اهتمامه بالعلم؟؟) ، ؟ ومتى استخدمت الكهرباء في أوروبا لأول مرة ؟ وأهم من ذلك : هل يزرعون الموز (البنانا) في كندا ؟ وبعد أن يطمئن الى أجوبة الزائرين ، يبدأ بالحديث عن عطلة الثلاثة أشهر التي قضاها في انكلتره في الصيف الماضي .. وغيرها من المواضيع التي تعبر عن مدى اهتمامه بكل ما هو غير ذي أهمية .

ثم هناك شقيق زايد الآخر ، ذلك الأخ الذي لا عين تراه ولا أذن تسمع به . هو أيضاً إنسان غريب الأطوار ، ولكنه ، ويا لسخرية القدر ، يملك نصف أبو ظبي !! وفي حين اشتهر عن الشيخ شخبوط أنه كان يكتز نقوده في أوعية من التوتياء ، فإن الشيخ خالد - ذلك الأخ المجهول - كان فعلاً يحتفظ بها في علب

التوتياء ، الى أن سطا عليه اللصوص الإنكليز في أحد فنادق لندن . فقد دخل رجل قال للخادمة إنه جاء لينظف الشبابيك ، وحين خرج من الغرفة ، كان يحمل سطله مليئاً بالجواهر والحلي . وحين عرض البوليس البريطاني بعض المشبوهين على الخادمة «المبرقة» أقسمت أغلظ الأيمان بأن كل واحد منهم كان ذلك اللص الملعون ، فأطلق سراحهم جميعاً ، لأن كل الإنكليز يشبهون بعضهم بعضاً !!

هذا عن الشخصيات الحية والميتة التي كانت موضع اهتمام الشيخ زايد وتفكيره . . لكن هناك شخصيات أخرى من أصحاب السلطة والمال ، لا تغفل الحسنة ليندا ، ذكرها في كتابها . ويبدو أن ليندا (وَسْتَفَاجِئُونَ حين تعرفون من هي ليندا الحسنة هذه !!) كانت حسنة ، وربما كانت مجرد امرأة أجنبية لاقت الإستحسان من أصحاب الجاه والسلطان ، فاطلعت على الكثير مما لا يعرفه إلا المقربون والخلان . .

تقول الحسنة إياها :

دعيت لحضور احتفالات العيد الوطني لدي (ودبي ، كما لا شك تعرفون ، هي إحدى الإمارات المتحدة وتأتي في المرتبة الثانية من حيث الحجم) . وفي دبي يجني رجال الأعمال الباكستانيون ثروات طائلة ، ولكن الرعب والخوف يسيطر على حياتهم . فهم

يلكون ، مع الهنود ، جزءاً كبيراً من دبي ، ولكنهم ، لأنهم
أجانب ، لا يحق لهم احتلال العقارات . .

والحقيقة أن كلامي فيه الكثير من التواضع ، لأن هؤلاء لا
يتمتعون بأية حقوق قانونية على الإطلاق . وهم لا ينسون ما
حدث لـ ٦٠٠ من مواطنيهم الذين عقدوا اجتماعاً لتدارس مشكلة
النقص في حنفيات الماء في المنطقة . وما أن سمع سمو الشيخ
راشد بن سعيد المكتوم ، حاكم دبي ، بالخبر ، حتى أمر بإقفال
بوابات مكان الاجتماع عليهم ، ثم أمر بنقلهم من هناك مباشرة
الى بلادهم ، قائلاً إن هذه سابقة خطيرة لا يمكن السماح بها !

وتصل ليندا الحسنة الى فندق الانتركونتيننتال الفاخر ، فتجد
أن الغرفة التي حجزها لها مسؤول في وزارة الاعلام . . . غير
متوفرة!! ويثور غضب ليندا . فترفع سماعة الهاتف وتتصل بمحمد
زايد باجاسم ، مدير دائرة الاعلام في دبي : ويرد عليها المدير
الوسيم : تعالي لمقابلتي ! تعالي فوراً ! لكنها تفضل الإتصال برقم
آخر : رقم مكتب الحاكم نفسه ، ولم لا ، فهي ليندا الحسنة
والصحفية ايضاً!! يرد على الهاتف ، محبباً مرحباً ، المستر
مندودي ، مدير مكتب الحاكم ، ويقول : تعالي لمقابلتي ، تعالي
الى هنا على الفور . فتعاود الإتصال بمدير الاعلام وتخبره بأنها في
طريقها الى مكتب الحاكم . فيعطيهها محمد زايد باجاسم رقم هاتفه
المنزلي ويتمنى لها حظاً سعيداً ، ويرجوها أن تتصل به إذا واجهت

مشاكل أخرى !!

وتضيف الحسنة ليندا : المستر أوسكار مندودي هو هندي الجنسية ، أنيق المظهر ، خاصة حين يكون بين البدو المتقدمين في السن . ولهذا أعجبت ليندا بمندودي ، ليس لأناقة مظهره وحسن طلعته فقط ، ولكن لأنه الشخصية الثانية في امبراطورية مهدي التاجر ، رجل الأعمال ، ومرتب الصفقات ، وسفير الإمارات في لندن (ولقد حدثناكم عن شهادة الدكتوراه التي تحملها سفارته هناك !!) ثم فرنسا . ويقوم أوسكار مندودي بالإشراف على دائرة النفط في دبي أثناء غياب سعادة السفير . الى جانب كونه مدير أعمال مهدي التاجر ، وأيضاً الى جانب كونه على اتصال دائم ، ليلاً ونهاراً ، بالشيخ راشد . فهو رجل قادر على تنفيذ المستحيل ، خاصة إذا كان ذلك المستحيل هو ممارسة اختصاص دكتوراه سفارة سيده وتأمين غرفة للحسنة ليندا في فندق انتركونتينتال دبي !!

هنا تتذكر ليندا ، وهي تراقب تسيير مندودي لأعمال سيده مهدي التاجر ، وما سمعته عن ثروة ذلك السفير الذي لا يغضبه أن يقول الناس عنه أنه «أغنى رجل في العالم» . وتتذكر الحسنة أن مهدي التاجر لم يكن سوى موظف جمارك من البحرين ، ثم جمعته الظروف بالشيخ راشد ، وكانت ليلة القدر مفتوحة الأبواب !!

وتتذكر ليندا الحسنة يوم التقت في مبنى الأمم المتحدة في

نيويورك بابن أخ مهدي التاجر ، عضو وفد الإمارات الى الأمم المتحدة . قالت له إنها تلاقي صعوبة في الحصول على تأشيرة دخول الى الإمارات من السفارة في لندن . فقال لها محمد التاجر الذي كان صورة طبق الأصل من عمه : لا تقلقي ، فعَمِّي فقط هو القادر على تأمين تأشيرة الدخول . وكتب محمد رقم هاتف خاص وقدمه لليندا التي لا يرد لها طلب ، ثم طلب لها كأساً أخرى وقال : في دبي ، نحن رجال أعمال . تعالي الى شقتي في الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم ، وستقابلين عمي بعد ذلك . . تقول ليندا أنها احتجت احتجاجاً بريطانياً تقليدياً على وقاحة محمد هذا ، مما أثار غضبه هو أيضاً فصاح بها ، وصاحت به ، لولا أن سارع دبلوماسي مصري للإعتذار ، بعد رحيل محمد ، وقال لليندا : عرب الخليج هؤلاء . . لا أعرف ماذا نستطيع أن نفعل بهم !! ثم انهم يتصرفون تصرف الصلف المتعجرف وهذا عليهم كثير ، ويبدو مهلهلاً !! (بالمقاييس المصرية . . طبعاً !!) . .

ونهي وصلة الذكريات التي تطلعها الحسنة الشريفة على الطريقة البريطانية ، وتعود الى عالم الواقع !! تقول ليندا: بقيت مع أوسكار مندودي حتى الساعة الثانية والنصف ، الى أن اتصل بمدير الفندق ، وبعد دقيقة أو أقل ، كانت الغرفة الأنيقة جاهزة . .

وقبل أن تتركه ليندا ، لم ينس أن يدعوها الى منزله بعد ظهر ذلك اليوم ، لا شيء سوى لتناول الشاي معه ، وللتعرف على صديقته التي تقيم معه في نفس الشقة ، على الطريقة الإنكليزية أيضاً ، فأحسست ليندا بالإطمئنان !! وذهبت الى الفندق لتجد بانتظارها غرفة بالغة الأناقة فعلاً ، جهزت بالفواكه وزجاجات الشمبانيا . أدركت ليندا أن كلمة أوسكار لا تصير إثنتين . وهنا ولسبب بريطاني نحت ، قررت الحسنة أن تتصل هاتفياً بمنزل محمد زايد باجاسم لتخبره بما جرى وتزف له البشرى . لكن صوت امرأة انكليزية هي زوجة محمد زايد جاسم ، يرد على الهاتف ، فتقول لها ليندا إن الأمور سويت وأنها شاكرة لمحمد جهوده في هذا السبيل !!

تقبل ليندا دعوة أوسكار ، وتتوجه الى منزله حيث تلتقي بـ «مونيكا» السويدية ، الشقراء ، المشوقة ، وأهم من ذلك أنها شقراء (يبدو أن الهنود يعانون كعائلات الأمراء في الخليج والسعودية ، من عقدة الشقراوات ، أم نرى هي العدو انتقلت إليهم من أولياء نعمتهم ؟!) . تحضر مونيكا الشاي وتنسى أن تقدم لضيفتها شيئاً منها . مع الشاي تقدم مونيكا لأوسكار قائمة بأسعار المسكرات التي اشترتها فيتجهم وجهه : الفاتورة كبيرة جداً ، ومونيكا الشقراء السويدية تبذخ كثيراً ، خاصة في شراء الويسكي ، على حساب أوسكار .

وما أن يخرج أوسكار من الغرفة حتى يبدأ حديث أنثوي بين مونيكا السويدية وليندا البريطانية (التي تحمل صفات أخرى تكشفها خاتمة الكتاب) ، فتقول مونيكا أن «زوجة أوسكار تتبعه وتعذبه الى حد لا يطاق ، ولا يشعر بالسعادة إلا حين يكون معي . نحن الآن على علاقة غرامية عميقة ، ولكن الناس يتحدثون عنا وراء ظهورنا . . التقيت بأوسكار حين أتيت من لندن ، ووقع في غرامي من النظرة الأولى ، وتوسل لي لكي أبقى هنا وأعيش معه . والحقيقة يا ليندا أن المكافأة مرضية ، لذلك ، فأنا لا أهتم بما يقوله الناس» .

خلاصة القول أن ليندا تشعر بعد ذلك بدوخة ودوران ، فتتوجه الى فندقها ، وتقيس درجة حرارتها ، فتكتشف أنها عالية جداً . جسدها يرتجف ، وصوتها يختنق ، وتشعر بالحزن على نفسها ، ولكن الهاتف سرعان ما يأتي لنجدتها .

- «آلو ليندا . . زايد يتكلم . ماذا فعلت بي يا ليندا ؟ ليس من حقك أن تتصلي بزوجات الناس وتخبرهم بما فعلت ! . . »

كادت ليندا تجنّ من الغضب ! أو هكذا تقول في حكايتها . كان إذن هو محمد زايد باجاسم (وظنته للوهلة الأولى ، ومن تأثير المرض ، أنه الشيخ زايد يتحدث إليها من أبو ظبي) . . ولم يكن سوى مدير الإعلام في مكتب دبي . .

قالت ليندا لجاسم أن مشكلة الفندق قد حلت وأنها شاكرة ممتنة ، ولكن زايد الملح لا يتوقف :

«ولماذا لم تأتِ إليّ لتزوريني هذا الصباح ؟ لقد انتظرتك في مكثبي حتى الثالثة بعد الظهر» .

قالت ليندا ، لنفسها طبعاً انه كذاب ، ولكن لم تقل له ذلك ، بل قالت شيئاً غيره :

«كنت مع أوسكار مندودي في مكتب الحاكم» ..

كان انفجار زايد هذه المرة أعنف من الأول ، فصاح على الهاتف :

«كيف تجرؤين على الذهاب الى أجنبي قذر قبل أن تأتي لمقابلتي . أنا العربي ؟! وأنا من دبي !! كيف تجرؤين على توجيه مثل هذه الإهانة لي ؟» .

- ولكن يا مستر محمد ..

- اسمي زايد . . . زايد . . .

- ولكن يا مستر محمد زايد . . إن المستر مندودي هو مستشار آخر للحاكم ، الشيخ راشد . ولم أكن أظن أنني ارتكب خطأ بلقائي به . .

- أنا أعرف أنك تكرهين العرب ، وتعتقدين أننا قوم حاملون

كسالى لا يعملون . حسناً ، ولكن اعلمي أنني درست في كمبردج ، (صحيح أنها كانت مدرسة لتعليم اللغة ، وليس الجامعة ، ولكنها كانت في كمبردج) !! ثم إنني رجل ينبغي عليك احترامه . وإذا لم تظهرى احترامك . فسألقي بك خارج البلد وأطردك منها حين أشعر بالرغبة في ذلك .

تقول ليندا أنها ردت على الإنفعالات والتهديدات بأن وضعت سماعة الهاتف في مكانها ، وأغلقت الخط ! ثم ألقت بنفسها على الفراش واستسلمت لدموع الإحباط والبؤس . .

وتستيقظ في صبيحة اليوم التالي ، فتجد أن حرارتها ما تزال مرتفعة . اتصلت بموظف الإستقبال في الفندق وعلمت منه أن هناك طبيباً مقيماً في المستشفى ، وأنه قادم لمعاينتي . ولكن قبل أن يصل ، يرن جرس الهاتف مرة أخرى ، ويأتي صوت ، سرعان ما تدركه أنه الكابوس الرهيب ، - كما تقول - من وزارة الإعلام . ولكن . . ما هذا ؟؟ إنه أمر عجيب غريب : صوت هادئ رقيق يأتي من سماعة الهاتف :

- ليندا . . لماذا لا تأتين الى مكتبي لمقابلتي أنا أدرك أن بعض سوء التفاهم قد وقع بيننا ، ولكن زوجتي أخطأت فهبك . . . فتأكد لليندا أنه الكابوس !!

- أنا طريحة الفراش ، ومصابة بالأنفلونزا .

- سأرسل لك طبيباً على الفور !

- شكراً يا مستر محمد زايد . . .

- زايد فقط يا ليندا . . زايد فقط !

- لكن إدارة الفندق أمنت لي طبيباً . وسأتصل بك بمجرد

تحسن صحي ، وستتظاهر بأن شيئاً لم يحدث . .

نسي جاسم أن ليندا لم تعترض حين قال لها إنه يعلم أنها
تكره العرب ، فصاح على الهاتف ، ولكن ليعبر هذه المرة عن
مدى قلقه على صحتها الغالية :

- أنت مريضة في الفراش ؟! هذا أمر جلل : سآتي لزيارتك

بعد ظهر هذا اليوم !

- شكراً لك ولكن لا ضرورة لذلك . . .

- سآتي في الساعة الرابعة والنصف . .

ولم يعطها فرصة للرد ، بل أغلق سماعة الهاتف على الفور .

تقول ليندا ، التي تحب الهنود والباكستانيين كثيراً ، إنها
اتصلت على الفور برجل أعمال باكستاني يدعى آفتاب . وقالت له
ان آخر شيء تفكر فيه هو أن تجد نفسها لوحدها في غرفة مغلقة مع
هذا المعتوه المصروع (تقصد : زايد !!) . وطلبت منه أن يأتي
لزيارتها في الساعة الرابعة والنصف ، فوافق بدون تردد .

حضر طبيب الفندق ، وشخص الداء وقدم الدواء ، مع وعد بالشفاء السريع وأدوية أخرى . لم أثق بكلا وعديه (لماذا ؟) . وصل الباكستاني الى غرفتها بعد الظهر ، وقد حمل رزمة من الصحف ، فجلس يقرأها ، وبدأ الإنتظار . .

يسمعان دقة على الباب في الساعة الخامسة ، فيفتحه آفتاب ويدخل محمد زايد باجاسم مرتدياً ثوبه الأبيض المعتاد وحاملاً بيده وردة حمراء . عيناه سوداوان بريئتان ، ومظهره يدل على منتهى اللطف والأدب . يعتقد خطأ أن آفتاب هو الطبيب ، فيعامله بحذر . .

تقول ليندا :

«جلس زايد على فراشي ليضع يده على خدي ، فيأتيه آفتاب بكرسي ، وتهمس ليندا البريطانية الشريفة المحافظة والذاهبة لمقابلة الشيوخ ومعاونتهم :

- عنقي تؤلني . . فأرجو أن تجلس على الكرسي لكي أراك !

دامت زيارة زايد نصف ساعة ، ويبقى كل شيء هادئاً في الغرفة المحتشدة ، إلى أن يسأل زايد فجأة :

- وأين الطبيب ؟ ومن أين هو ؟

لم تفهم ليندا مقصده . .

- وما اسمه ؟

- الدكتور منير

- ألم تكوني تعرفين أنه فلسطيني ؟ !

- لم أسأله عن جنسيته !!

- الدكتور منير فلسطيني !! (سنعرف سبب قلق زايد على

ليندا من الطبيب الفلسطيني بعد قليل !) . . لماذا تلقين بنفسك
هكذا بين أيدي الأجانب ؟ لماذا الأجانب دائماً ؟ ولماذا لا تتعاملين
مع العرب ؟

تقول ليندا :

- نظرت الى آفتاب ، فرأيت هادئاً لا يرف له جبين . فقد كان
أكثر خبرة بالحياة من أن تهزه مثل هذه الأمور . لكنه يجد أخيراً
طريقة ما لكنس (كذا) زايد من الغرفة ، ثم يقدم لي حبتين
أسبرين وهو يحاول كظم غيظه ، ويطلب لي فنجان كاكاو ،
ويغادر الغرفة .

وتضيف ليندا قائلة : -

تحسنت حالتي في اليوم الثالث (هذا رغم أنها لم تثق بكلمات
الطبيب الفلسطيني !) ، ولكن جرس الهاتف يعود الى الرنين :

- ليندا . . أنا زايد

- زايد ! ولكن الساعة تجاوزت الحادية عشرة والنصف

مساء ..

- نعم.، لكنك موجودة في غرفة محجوزة لوزارة الإعلام .

وأنا مدير الإعلام في دبي . فأنت ، إذن ، في غرفتي !! وأنا قادم
لزيارتك !!

- يا زايد ! هذه فكرة ليست صائبة . سآقي لمقابلتك في

مكتبك حين تتحسن صحي وأرتب أموري . ثم أرجوك أن تتذكر
أنني هنا ضيفة على سموّ معاون وزير الإعلام ...

تقول ليندا : تلك كانت خطأ شنيعاً آخر ، لأن رد زايد

كان :

- آه .. نعم .. انه سوداني ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً .

وأنا عربي ، وأنا من تحسب له الحساب . أنت تحتاجين الى سيارة
أليس كذلك ؟ ! حسناً ، لن تحصلّي على سيارة ! ولن تذهبي الى
أي مكان في دبي ، ولن تقابلي أحداً إلّا إذا كنت أنا من يقودك
بسيارته إليه !!

تقول الشريفة البريطانية ليندا :

«وأضر على كلمته ، وأضررت أنا على استخدام تكسيات

الأجرة في تنقلاتي .. ومرة دق جرس الهاتف . كان ، كالمعتاد

الآن ، زايد :

- ليندا .. أنا زايد .. لن أدفع فاتورة غرفتك إلا إذا سمحت لي بالحضور لعندك . لقد تحدثت الى الشيخ راشد ، وهو يرفض مقابلتك .

تقول ليندا ، التي كانت قد حضرت خصيصاً لمقابلة الشيخ راشد في دبي :

«تنفست الصعداء ، فقد كنت التقيت بالشيخ راشد مرة ، ولم أكن أريد مقابلة أي إنسان آخر في دبي . فقد طفع الكيل ، وسأذهب الى الشارقة .»

لكن زايد يتابع حديثه :

- تكلمت مع الشيخ سلطان ، حاكم الشارقة . هو أيضاً مشغول ولن يستطيع مقابلتك . ولكن إذا سمحت لي بالقدوم لعندك ، فسأجد طريقة لإقناعه باستقبالك !!

تقول ليندا : أغلقت السهارة في وجهه بعنف .

وحين اتصل بها أوسكار مندودي بعد أيام ، وأخبرها بأنه يعلم بما تتعرض له من مضايقات ، ودعاها للإقامة معه ومع صديقه السويدية الشقراء لاحظت أنه لم يعد بأن يفعل شيئاً لإيقاف زايد عند حده .. (فهو عربي من دبي ، وسيحتاج طرده من منصبه الى قرار مجلس وزراء الإمارات الإجماعي !!) .

اتصلت ليندا بمونيكا لتخبرها بموعد وصولها ، فوجدت أن مونيكا غير متحمسة لاستقبالها ، وفضلت البقاء في الفندق ، الى أن يحين موعد رحيلها . جاء أوسكار لوداعها ، وبدأ أنه يعاني من شعور بالحزن والمهانة . قال :

«أنت تعلمين تماماً أنني أحببتك منذ اللحظة التي دخلت فيها مكثبي . كان عليك أن تتصلي بي . إنني معجب بك يا ليندا . . . ففبك صفاء يأسر الألباب . . أنا لم أعد أؤمن بالناس . فالكل نتن متعفن . والكل أناني ، والكل قاس بالغ القسوة .

ربما كنت تتساءلين : ولماذا أعمل بكل هذا الجد ؟ إنني أريد أن أبرهن أنني قادر على القيام بعمل ما بدون دعم الاسم الساحر : مندودي (كان والده طبيباً يعمل أيضاً في دبي) . . حين أتيت الى هنا عملت بإخلاص في خدمة السفير والشيخ راشد . . . أما الآن . . لا . . ولم استغل علاقتي بهما . . أما الآن ، فإنني أريد أن استريح . . سأشتري منزلاً في الهند . . ومنزلاً في الريف الإنكليزي ، وربما شقة مناسبة في لندن ، ومنزلاً آخر في أوروبا ، في جنوب فرنسا على الأرجح . . وقد أحتاج الى منزل في الولايات المتحدة . لقد أدركت ما تفعله الأموال بالناس . . مثل السفير مثلاً . . الذي تعجبني طرقة وأساليبه . . وصرت أنا أيضاً قادراً على القسوة على من أحب . . وما في اليد حيلة !! أنا آسف من أجل مونيكا ، يمكن أن تكون مصدر إزعاج لي ، ولكنني شخص

بالغ الحساسية .. وإني أريدك أن تعرفي أنني معجب بك أشد الإعجاب !! وبالمناسبة ، كيف استطعت تدبر اللقاء مع حاكم الشارقة ؟ ..

ولم تبح ليندا بالسر ، حتى في مذكراتها !!

ومن قوة الشيخ راشد ، شيخ دبي إلى رحلته الصيدية القادمة إلى الباكستان ، إلى مستوى نساء البلاط اللواتي يوجهن المسدسات إلى صدور الخدم ويطلبن إليهم «الإنصياح» ، تنتقل ليندا إلى الحديث عن الشيخة حسنة ، التي رأت والدها ، وهي في التاسعة من عمرها ، يذبح ذبح النعاج على يد منافسه ، ورأت عيون أفراد عائلتها تقتلع برؤوس السيوف من محاجرها ، وحين كانت في الثالثة عشرة أجبرت على الزواج بشقيق قاتل أبيها . فهل تستغربون إذا علمتم أن هذه المرأة أطلقت النار على زوجة زوجها الرابعة الحسنة وكادت تقتلها ؟

أما ولي العهد ، الشيخ مكتوم ، فله شعبيته في دبي ، ومصدر تلك الشعبية أنه أشاع أنه لن يسمح لأسلوب مهدي التاجر بالإستمرار حين يتسلم السلطة هو . أما مهدي التاجر الذي اشتهر بمجموعة السجاجيد العجمية والنساء الجميلات اللواتي يملكنهن ، فلطيف جداً مع الصحفيين (لكن اللغة الإنكليزية الملعونة لا تفرق بين الصحفيين والصحفيات) . لذلك

أعلن لهم ، رداً على تصريحات ولي العهد ، أنه سيصبح رجل أعمال عالمياً ، ولن يترك شيئاً في دبي ، حتى الثيلا الباهتة التي يملكها هناك ليست شيئاً يؤسف عليه ، خاصة إذا قورنت بقصوره المنتشرة في الريف الإنكليزي . لقد عمل مهدي التاجر بجد ونشاط ، وجنى ثمار عمله وعرق جبينه . خاصة فيما يتعلق بتهريب الذهب الى الهند ، وما يعني ذلك من ثروات طائلة لا حصر لها . لكن قد تستغربون إذا علمتم أن مهدي التاجر ، وكذلك أوسكار مندودي ، لم يدخلوا الشارقة أبداً . حتى بعد أن قررت بناء مطار دولي كبير لا يبعد سوى مسافة دقائق عن مطار دبي الدولي . . الكبير أيضاً !!

وربما هناك سبب آخر لابتعاد مهدي التاجر وأوسكار مندودي عن الشارقة وهو أن حاكمها ، الشيخ سلطان بن محمد القاسمي ، هو أول حاكم في شبه الجزيرة العربية يحمل شهادة جامعية ، ليست صورة طبق الأصل عن شهادة الدكتوراه (PHD) التي حصلت عليها سفارة مهدي التاجر في لندن .

وربما كان مهدي التاجر يخاف من أسلوب التعامل العائلي (!) داخل الأسرة الحاكمة في الشارقة . ففي عام ١٩٦٥ أطاحت بريطانيا بحاكم الشارقة الشيخ صقر ، لأنه كان شديد البخل ، كما كان الحاكم الشيخ شخبوط ، أو هكذا قال الإنكليز !! وأتوا بشاب مطيع متعاون ، هو الشيخ خالد ، عينوه

مكانه ، وجرت الأمور على خير ما يرام (بالنسبة لبريطانيا) حتى عام ١٩٧٢ ، حين قرر الشيخ صقر أن يستعيد سلطانه ، فأطلق النار على الشيخ خالد وقتله . لكن الشيخ زايد ، رئيس الإمارات العربية المتحدة ، قرر إجراء محاكمة عادلة ، كان المفترض بها أن تكون محاكمة علنية . لكن ذلك لم يحدث ، ووضع الشيخ صقر تحت «الحراسة» وسجن في بيته في العين ، أيضاً مثل الشيخ شخبوط !!

كان لا بد من البحث عن حاكم آخر للشارقة ، لكن لم يكن من الممكن تعيين أحد إخوة الشيخ القاتل الأقوياء . في ذلك الوقت كان الشيخ سلطان ، شقيق خالد الأصغر ، يقضي الوقت في مزرعته ، يحاول استخدام مكيفات الهواء لترطيب أنفاس مزروعاته الصيفية ! وكان قد وصل لتوه من القاهرة ، وعمل مدرساً في المدارس الصناعية ، حيث حصل على شهادة في العلوم الزراعية لأن الزراعة تستهويه .

وهكذا صعد سلطان الى سدة الحكم في الشارقة . يستقبل سلطان الصحفية الحسنة ، ليعلن لها أنه يريد لبلده أن تكون مختلفة عن بلدان أخرى كان أذكى من أن يذكر اسمها ، ولهذا فقد قرر تعيين الأميركي بارت باف مستشاراً دائماً له ، ربما لأنه يتمتع بمظهر ستيف مكون أكثر من كونه خبيراً حقيقياً ، خاصة عندما تسأله إذا كان يستعد لأن يكون «مهدي التاجر» الشارقة . .

أما كيف تمكنت ليندا من مقابلة الشيخ سلطان فحكاية ممتعة للغاية ، وما سببها سوى مدير الإعلام في دبي الذي أخبرها بأنها لن تستطيع مقابلة الحاكم إلا إذا سمحت له بزيارتها في غرفتها !!

تقول ليندا :

«كنت في بهو الفندق في دبي ، في محاولة للهرب من اتصالات مدير إعلام الإمارة الملحة . وكنت في غاية التجهم والإكتئاب . رأي أميركي شاب ، ومعه عربي يشبه البوم ، فيسألان بلهفة : هل أنت بخير؟ ولما لم أكن بخير أبداً ، فقد رافقاني الى مقهى الفندق ، حيث عرفت أن الأميركي باري كويلك هو منتج سينمائي أما العربي فهو الشيخ أحمد بن محمد القصيمي ، من الشارقة فهم الشيخ أحمد مأساة دبي على الفور ، وبعد خمس دقائق فقط كان قد رتب لي لقاء مع ابن عمه الحاكم .

«أحمد لا يتجاوز الحادية والعشرين من عمره . ولأن والده محمد لم يكن على وفاق مع شقيقه الحاكم ، الشيخ صقر ، فقد رحل مع عائلته الى السعودية وعمل ككاتب في شركة آرامكو . بعدها عاد الى دبي . وصار رجل أعمال ، وأرسل ابنه أحمد للدراسة في لندن . وسرعان ما أصبح والده أغنى وأقوى شيخ في الشارقة بعد الحاكم نفسه . يقول أحمد : إن والدي لن ينسى أبداً أن شقيقه قتل شقيق الحاكم . أما الشيخ سلطان فيريدنا أن ننسى

ذلك كله . لقد قدم لي الأرض وعلمني أن أبني عليها ، ودربني على ידי بارت باف . إنه عمل شاق ، وأنا لا أملك مالا خاصاً بي ، ولا أملك سوى الأرض . وسيكون علي أن أقترض المال من المصرف . ولا أظني ذكياً بما فيه الكفاية » .

«وأحمد مخطوب لابنة عمه ، عائشة ، ابنة الرجل الذي قتله عمه . ومن هنا تأتي أهميته ، لأن هذا الزواج سيمحو الماضي . . .»

«وفي اليوم التالي ، أتى أحمد لمرافقتي الى شاطئ البحر . لم استطع تمييزه هذه المرة ، لأنه كان يرتدي الجينز ، فلا بد من سبب لذلك . ووصلنا الى شاطئ البحر ، ولكن بالرغم من أن القميص قصير الأكمام وبنطال الجينز كان أحمد ما يزال يبدو لي كالبوم وراء تلك النظارات الذهبية الإطار، ولكنه وسيم ، وهو ما لم أكن قد لاحظته من قبل .

وتسأل ليندا أحمد : - «الجينز غير حالك . أليس كذلك؟» .

فيجيب أحمد : «ماكنت أستطيع الحديث معك بهذه الطريقة لو كنت مرتدياً الثوب الرسمي» .

وتضيف ليندا :

- حين كنا عائدتين الى دبي ، تجاوزتنا بسرعة جنونية سيارة

رولز رويس يقودها شاب صغير . يظهر الحزن على وجه أحمد . سائق السيارة هو أخوه الصغير سالم . يقول أحمد : إنه ما يزال في

السادسة عشرة من عمره . ولكنه يذهب الى لندن لوحده في الصيف وينزل في فندق بريتانيا ، وعائلته تشجعه على ذلك ، وتقول إنه في السادسة عشرة ، فهو رجل إذن . وهو يشرب الويسكي ويطارد الفتيات . وما يزال طالب مدرسة . حين كنت في سنه لم يكن أحد قد سمع بالشارقة ، ولم يكن لدينا المال لنعيش كما يعيش هو . أما الآن فأنا من شيوخ النفط . وحينها ذهب فأنا «الشيخ أحمد» وأنا لا أطيق ذلك .

الفصل السادس

البحرين

جزيرة الأقزام السبع

كما آل سعود في السعودية ، كذلك آل خليفة في البحرين ، يستطيعون أن يملوا إرادتهم على كل شيء وكل إنسان لا يخرج عن هذه الإرادة إلا القليل من الأشياء ، مثل حرارة الطقس مثلاً . ولكن هناك بعض الاختلافات بين آل سعود وآل خليفة ، ففي حين يسيطر السعوديون على ثلاثة أرباع الجزيرة العربية ، فإن مملكة آل خليفة لا تتجاوز مساحتها لبضع جزر مبعثرة ، أكبرها بحجم جزيرة بريطانية صغيرة . ولكن البحرين ملك لآل خليفة ، وهم يحكمونها منذ عام ١٧٨٣ ، حين خرجوا من الجزيرة العربية وعبروا الممر المائي الضيق الفاصل بين اليابسة والجزيرة ، وأخرجوا شعبها منها ، واقتسموا أغنى البساتين والحدائق فيما بينهم .

وتتمركز قصور آل خليفة في ضاحية زفعة ، حيث حشدوا في تلك المنطقة التي تبعد مسافة تسعة أميال عن المنامة ، عاصمة البحرين ، مجموعة من القصور الفخمة .

تقول الشيخة الشابة مريم آل خليفة ، التي فاجأها حرّ الصيف بينما كانت تستعد لفصل الشتاء : «أؤكد لك أننا لسنا أغنياء» وتكاد الصحفية الحسنة أن تصدقها ، لولا الأثاث الذي كان يحيط بها ، والثياب التي تشتريها الشيخة الشابة من لندن وباريس وسان فرانسيسكو وريودي جانيرو ، وحتى من باربيدوس ..

وكذلك زوج مريم ، الشيخ عيسى بن محمد ، الذي انضم الى عضوية الحكومة البحرانية ، ينقلونه من وزارة الى أخرى ، حسب توفر الفراغات بمكانة آل خليفة . والحقيقة أن الشيخ عيسى مهندس بيترو-كيميائي ، درس في انكلتره ، ولكن هل تتصورون أن ابن آل خليفة يمكن أن يتنازل الى منصب مهندس ، ومقامه الطبيعي وزير ، ثم إن بالإمكان استيراد المهندسين من أمريكا وانكلتره ، فلماذا تعب البال ، وآل خليفة أهل حكم ، ووزارات ومقامات .

وهم لا يختلفون كثيراً عن آل سعود من حيث العدد أيضاً . فقد أجرت الصحفية إحصاءاً أثبت أن عددهم ٣٠٠٠ فقط ، وقد أدهش ذلك الشيخ عيسى ، الذي قال : كنت أعتقد أننا ٥٠٠٠ على الأقل .. !!

وقبل أن تنهي الشيخة مريم حديثها مع الصحفية ليندا ،

تنصح الأولى الثانية بأن تذهب لزيارة صديقتها ، ابنة حاكم الكويت . « كانت هي وزوجها يأتيان لزيارتنا وقضاء عطلة نهاية الأسبوع عندنا في (بيرغوث) في انكلتره ، حين كان عيسى يدرس هناك . كنا نقضي وقتاً ممتعاً مع بعض ، ولكنها ليست على الاتيكيت تماماً . تصوري أنني عندما ذهبت لزيارتها في الكويت ، وألقيت نفسي في حوض السباحة الملحق بالقصر ، وجدت أنه مملوء بماء البحر ؟ هل تتصورين ذلك يا ليندا ؟ ! ماء البحر ؟ ! فقلت لها : كيف تبخلين على نفسك هكذا ؟ ! أبوك حاكم الكويت ، ولا تملئين حوضك بالماء المقطر ؟ » .

لكن ليندا تكتشف أن البريطانيين عملوا بجدة في البحرين ، فغيروا معالم شخصيتها كما لم يغيروها في أي مكان آخر . فحاكم البحرين ، الشيخ عيسى ، يحضر كضيف شرف مباراة للملاكمة ، ويقال إنه بعد أن يقدم الكأس للفائز ، يوزع ، بعيداً عن جنحة الإعلام ، هداياه الشخصية على المهزومين : سيارة فخمة لكل واحد منهم !! ويحاول آل خليفة مجارة العائلة الملكية جارتهم ، أي عائلة آل سعود ، ولكنهم لا ينجحون دائماً : ولكن الأثر البريطاني أقوى وأعمق ، فأسواق البحرين تعج بالنساء الأوروبيات نصف العاريات . ومقابل رجال الأعمال الأوروبيين الذين تقابلهم في السعودية ، تجد هنا عمالاً ميكانيكيين وجنوداً بريطانيين فضلوا الاستقرار هنا بعد الإستقلال والتنعم بحياة

الطبقة الوسطى التي لم يكونوا ليحلموا بها في بريطانيا ،
فالمسكرات هناك رخيصة وكذلك السجائر .

والخلاف الآخر بين آل سعود وآل خليفة هو أن النساء
السافرات يملأن الدوائر ، خاصة مكتب البريد الرئيسي في المنامة
عاصمة البحرين . ولا تجد فارقاً بين هؤلاء النساء والنساء
الأوروبيات الواقفات عند الطرف الآخر من المكتب ، أي
الزبونات ، فهو أن النساء البحرانيات يستغرقن وقتاً أطول حتى
تتفرج أساريهن . ولكن الفتيات البحرانيات يعملن جنباً الى
جنب مع الرجال في مختلف المكاتب الحكومية ، والثياب القصيرة
التي تكشف كل شيء ، أو بناطيل الجينز ، هي الزي التقليدي
المعاصر للفتيات هناك . وحين ينتهي وقت الدوام ، يركبن
سياراتهن الخاصة ويقدنهن عائدات الى بيوتهن .

وحين غادر البريطانيون البحرين تركوا وراءهم دور سينما
ووسائل تسلية كثيرة أخرى .

وتشد البحرين الأحزمة على البطون في هذه الأيام . أما في الثلاثينات فقد
تمتعت بثروة مفاجئة لم تكن تحلم بها ، حين أصبحت أغنى
دولة خليجية ، بعد أن اكتشف النفط فيها وتم استخراجها منها
قبل أن يستخرج من أي بلد خليجي آخر . في تلك الفترة اشترى
الحاكم الداهية بعض الأراضي في الكويت ، مقابل قروض قدمها

لجاره أمير الكويت . لم تكن تلك الأراضي تساوي الكثير في تلك الأيام ، أما الآن فإنها جعلت من حاكم البحرين الحالي مالِكاً لفندق هلتون الكويت . وكذلك لمبنى السفارة الأميركية ، بالإضافة الى عشرين فيلا أنيقة أخرى . ولكن احتياطي البحرين من النفط ينضب بسرعة ، ودخلها الرئيسي يأتي من النفط السعودي المكرر الذي ينقل الأنابيب عبر البحر . .

من الواضح أن سوء الإدارة وتهلّل الجهاز الحكومي وجهاز الخدمات لا يقلق سلطات البحرين قدر ما يقلقها ، ويخيفها ، ما يشاع عن تغلغل الماركسيين والبعثيين الى البحرين . منذ سنوات والمراقبون يتوقعون سقوط آل خليفة وانتهاء عهدهم ، ولكن القليلين هم الذين يعلمون أن البحرين تمتلك أقوى جهاز أمني في منطقة الخليج ، وأن هذا الجهاز هو أحد الأشياء التي ورثها آل خليفة من الانكليز . حتى الذي يشرف على الأمن الآن هو بريطاني ، واستعماري من الطراز القديم .

ومدير الاستخبارات البحرانية البريطاني يراقب كل شيء حين اغتصبت سكرتيرة أميركية في العام الماضي ، لم يهدأ مخبروه حتى اكتشفوا الفاعل في خلال يومين . وهو محل ثقة آل خليفة ، لأنه يوفر لهم الأمان ليناموا نوماً عميقاً هادئاً . هم بحاجة إلى هذا الشعور بالأمن ، خاصة وأن ماردين يحيطان بهم : المارد الإيراني من الشرق والكاپوس السعودي من الغرب ، فالسعوديون يخافون

أن تتحول البحرين الى كوبا ثانية ، وهذا آخر شيء يمكن أن
يقبلوا به أو يفكروا به !!

أقامت البحرين مجلساً وطنياً كان هدف آل خليفة منه « فتح
منفذ للتنفيس » . ولكن « التنفيس » كان من القوة أن وصلت
رياحه إلى آل سعود ، فغضبوا فأمرُوا باغلاق المجلس وحله ،
فأغلق وتم حله عام ١٩٧٥ ، ولم يعد للانعقاد حتى الآن !

أما الجسر الذي افتتح حديثاً عبر البحر بين السعوديه
والبحرين ، فالواقع أنه يقلق الطرفين السعوديون يخافون من أن
يسافر أمراؤهم وأثريائؤهم إلى البحرين لقضاء عطلة نهاية الأسبوع
مع مضيفات الطائرات ، وتحت سلطان المسكرات (ولماذا كل
هذا الخوف بالله عليكم !!) أما أخشى ما يخشاه البحرانيون ، أي
آل خليفة، فهو أن تتحول البحرين إلى منفى و « مزبلة »
للهاربين من القهر والقمع السعودي . فالبحرانيون يريدون
الاستمتاع بثروتهم وحياتهم الناعمة ، كما تقول الناعمة ليندا ،
بعيداً عن الإزعاج والمزعجات .

الحياة الناعمة هناك لها معالمها : في عام ١٩٧٥ ، كان هناك
٨٠٠٠ مدمن على المسكرات ، والبحرانيون ينشرون احصائياتهم
وأرقامهم ، أما السعوديون فيقولون لك إذا سألتهم إنه لا وجود
للمدمنين في السعودية ، لأن المسكرات غير موجودة في البلاد !!

إن البحرانيين لا يتحدثون بوجه مزدوج كما يفعل السعوديون .

سوى في بعض المجالات : كأفلام الدعارة مثلاً ، التي تقدم كآخر طبق من حفلة عشاء صاحبة . الزوجات والأزواج يذهبون في رحلة لقضاء عطلة نهاية الاسبوع ، ليس دائماً مع بعضهم البعض ، الزوجة تذهب إلى فيلتها على شاطئ البحر ، والزوج ذاهب لحضور « حفلة عزوبية » في فيلته الخاصة به .

لكن الأمور تجري بهدوء ، وبدون صخب . خذ الشيخة دانا، مثلاً ، فحين كان زوجها يستقبل طائرة الكونكورد لدى وصولها في رحلتها الأولى إلى البحرين ، لم تكن بجانبه ، بل كانت تتمتع بركوب الخيل ، كالمعتاد ، وشعرها الأشقر الطويل يتمايل مع الهواء وراءها فهي اسكندنافية وهي زوجة الشيخ عيسى بن عبد الله آل خليفة ، مدير عام الطيران المدني في البحرين ، تزوجها بعد أن التقى بها في جامعة كاليفورنيا ، وطلب منها أن تعلم اللغة الروسية (فأمها روسية) . أما سبب رغبته في تعلم الروسية فإنه ، حسب رأي زوجته ، انه أراد أن يثبت أنه ، معرفته باللغة العربية ، سيتعلم الروسية بسهولة .

وهكذا كان ثمن الدروس الخاصة هو الزواج .

ووجدت العروس الاسكندنافية نفسها وحيدة في بيروت مع طفلها الأول ، بعد أن عاد زوجها « ليرتب الأمور في الوطن » .

وكان من نتيجة ترتيب الأمور أن صادر الحاكم الشيخ سلمان كل أراضيه الواسعة ليعلم به الآخرين ، وصادر جواز سفره . حتى أنه صادر اسمه ! فبقي اسمه عيسى بن عبدالله بدون آل خليفة .

لجأ عيسى إلى الدهاء ، فزوجته بلا مال ولا دخل ، ورأى أن أفضل طريقة يمكن أن تخرج الأموال من عائلته هو أن يطلقها !! وهكذا كان . أخذ كتاباً مدرسياً وقص منه الصفحة التي كتبت فيها : أنت طالق ثلاثاً ، ثم وقعها ووضع عليها ختم آل خليفة ، ومعها شيك بمبلغ تسعمائة جنيه ، ثم وضع مع رسالة الطلاق رسالة أخرى يخبر فيها زوجته بمخططة .

وانتظر طويلاً أملاً بأن تعود عائلته إلى رشدتها حسب قول الصحفية ليندا ، ولكن بدون جدوى . فعاد إلى زوجته وراح يبحث عن عمل ما في الشرق الأوسط ، ولكن آل خليفة كانوا له بالمرصاد . وكانوا يسبقونه إلى أي مكان يقصده ، وحين شاع خبر تنكر عائلته له ، صار الجميع يرفضون تشغيله . وأخيراً أشفق عليه مدير مدرسة انكليزي في بيروت ، وعرض عليه وظيفة تعليمية . ولكن قبل أن يقبض راتبه الأول من تلك المدرسة ، جاءتته برقية ترحب به في البحرين وتصفح عنه . هذا ما قالته دانا للصحفية ليندا ، وقالت مفسرة ذلك أن آل خليفة استسلموا بعد أن وجدوا أن عيسى مصمم على الاحتفاظ بزوجته . ولكن العفو (الملكي) لم يشمل زوجته ، لذلك ، حين توجه هو إلى الساحل

الشرقي للسعودية للعمل هناك ، رحلت هي إلى القاهرة لتعيش هناك مع طفليها .

وأخيراً عقد عيسى بن عبد الله صفقة مع عائلته تعهد بأن يتزوج بزوجة من آل خليفة مقابل أن تسمح له عائلته بأن يحضر دانا إلى البحرين فجاءت مع الخيول التي كانت تربيتها في القاهرة ، ولكنها وجدت عيسى يستعد للسفر إلى لندن ، مع زوجته الجديدة ، لحضور دورة تدريبية تستمر عاماً كاملاً . وكانت العائلة تراقبها مراقبة دقيقة طوال ذلك العام ، انتظاراً لارتكابها ولو خطأ واحداً ولكن الاسكندنافية تقول إنها اجتازت الاختبار بنجاح .

بعد وفاة الحاكم الشيخ سلمان ، وقف ابنه عيسى موقفاً مختلفاً تماماً من ديانا الشقراء ، فأعذق عليها أجمل اللآلئ ولكن عيسى (زوجها) يقيم مع زوجته الخليفة رغم أنه « يزور » دانا كل يوم تقريباً .

في السعودية ، آل سعود هم القوة التي لا يعلى عليها ، وهم أغنى من كل رعاياهم مجتمعين ، أما في البحرين فتوجد مجموعة من التجار تدير أعمال آل خليفة التجارية فهم بحاجة للتجار ، والتجار بحاجة لهم ، وآل خليفة هم الحد الفاصل بين التجار والاشتراكية . هذا النظام القائم على « الدعم »

المتبادل يوفر للتجار حرية تطوير شخصياتهم التجارية الخاصة ،
كما أن الحياة في حيز ضيق كالبحرين يجعلهم يتحملون بعضهم
البعض .

وتسأل الصحفية : هل بقي أثرياء في البحرين ؟؟ ثم تجيب
على سؤالها قائلة :

« هناك في شبه الجزيرة العربية ستة آلاف عربي على الأقل
ينفق الواحد منهم ربع مليون جنيه على شراء المجوهرات . ستة
فقط من هؤلاء من البحرين . وهم رؤوس نفس العائلات التي
تشرف على أعمال آل خليفة التجارية . لكن ما يشترونه يخبئونه في
صناديق حديدية ، مع نقودهم الأخرى . نعم ، ما يزال هناك
بعض الأثرياء في البحرين ، ولكن يستحيل القول كم من ثرواتهم
بقي في تلك الجزيرة .

من العائلات الثرية عائلة اليتيم ، التي خطف أحد أبنائها
إحدى بنات آل خليفة وتزوجها في لندن ، فقامت القيامة ولم
تقعد ، وهناك عائلة قنوع ، التي تمتلك وكالات جنرال موتورز
وجودير وتشامبيون وانكلش الكريك وتويوتا الخ . . . لهذا نرى
أن عائلة قنوع هذه هي الوحيدة التي تزورها سيدات آل خليفة
بانظام .

وهناك عائلة علي رضا البحرانية . ولكنهم ليسوا كأولاد

عمومتهم في السعودية فهم ليسوا في الصف الأول بين طبقات
التجار . يحكى عن عائلة علي رضا في جدّة أنها « بلا أصول »
ولكنهم محترمون ، وأصولهم الإيرانية لا تؤثر كثيراً على مقامهم ،
وثرائهم الواسع . أما الفرع البحراني من العائلة ، فهم « على
طرف جرف أو هاوية » : إيران مصدر تهديد هنا ، ومجرد تحية من
إيران تعتبر نقطة استفهام ! إذا تزوج فرد من عائلة علي رضا بفتاة
مصرية مثلاً ، مثل نيثين مغربي ، زوجة عبد الله علي رضا ،
ينسى الناس الأصول الإيرانية ، ولكنهم لا ينسونها أبداً إذا تزوج
أحدهم من إيرانية ، كما فعل الأخ الأكبر محمد علي رضا .
وتتلفت النساء « الراقيات » حولهن ثم يهنسن : هؤلاء ليسوا
بحرانيين . . . إنهم يتكلمون الفارسية في بيوتهم . . . فلماذا
تضيعون الوقت معهم ؟ أنا ذاهبة للجلوس مع نيثين !!

وفي بيت السيدة نيثين ، تمّد طاولة الطعام ، ويعلموها أول
شيء كؤوس النبيذ المعتق . ولكن الصحفية البريطانية لا تشرب
المسكرات !! فترفع الكؤوس من على الطاولة بأدب جم . ولكن
الطعام يأتي شهياً ، فالسيدة مصرية ، وأمها عندها ، والعائلة
عريقة في صنع الطعام الأوروبي الذي تحبه ليندا كثيراً .

ولا تقل عائلة فخرو أهمية عن عائتي قنوع وعلي رضا . فقد
استوردوا عبيدهم من افريقيا الشرقية ، واستوردوا الأخشاب
والبهارات من الهند ، وحصلوا على الوكالات التي تدر الملايين .

وفوق كل هذا ، فإن أحمد يوسف فخرو مخلص للحاكم شديد الإخلاص ، فيقول عنه « إنه واحد من أعظم الزجال في العالم » . . . ويتابع حين يرى نظرات الشك في عيني الصحفية : ربما كنت لا تصديق ذلك ، ولكن لا حاجة بي لأمدحه لو لم أكن أحبه . . أنا لست معتمداً عليه » . . . وهو صادق في قوله هذا ، فالحاكم هو الذي يعتمد على أحمد يوسف فخرو أما عبد الرحمن ، وهو أحد أبناء يوسف فخرو الأحد عشر ، فلسانه يقذف النقد والانتقاد بلا حساب ضد كل شيء في هذا العالم !! ويتحدث بصراحة عن تقصير بلاده وتأخرها ، وعن كبت حرية التعبير فيها ! حرية التعبير؟! ماذا يقول هذا الطائش ؟ وهل يمكن أن يقول ما يقوله هنا في السعودية ؟!

لا يأتي الأب على ذكر إثنين من أبناء عمه ، شوهدا آخر مرة في بيروت ، ثم انضموا إلى جبهة تحرير ظفار ، ولم يعد يعرف عنهم شيء بعدها .

ما تزال العائلات الكبيرة في البحرين تتحمل وتسكت على الخلافات بينها ، وتتغاضى عن أخطاء بعضها . وتتضامن في مجال الأعمال ، كما كانت تفعل دائماً ، وهي تدعم آل خليفة مالياً ، وتدعم بعضها البعض اجتماعياً .

أما الاستثمارات البحرانية والخليجية عامة ، فلها حكاية أخرى : تضم البنوك السويسرية عشرة بالمائة فقط من الأموال

الخليجية الخاصة ، أما الأمريكيون فيسيطرون على خمسين بالمائة من تلك الأموال . ويسعى البريطانيون للحفاظ على حصتهم « التقليدية » . وعن المجوهرات ، تقول ليندا بلاند فورد ، مكررة ما قالته قبل قليل ، إن العرب ليسوا بحاجة إلى المجوهرات الآن ، ولو أنهم يريدونها . . إنهم في الواقع بحاجة إلى صناعات ثابتة تحل محل النفط حين ينضب هذا الأخير . لكن البحرين لا تستعد لشيء من هذا . فهي لا تعدو أن تكون مركز خدمات لرجال الأعمال في منطقة الخليج . ويحتاج الأمر إلى التعليم . يقول وزير التعليم البحراني إنه قرر منهاجاً مدرسياً لا يضم سوى حصتين لتدريس الدين الاسلامي أسبوعياً ، ويعقب على ذلك قائلاً : ليس هناك من فائدة من تعليم الدين على حساب الفيزياء . أما ليندا بلاند فورد فتعقيبها أكثر سخرية : الكلام لك والسمع لجارتك السعودية !!

لكن هذا يذكرنا بالمشاكل السياسية المحتملة مستقبلاً . حول هذا الموضوع الحساس ، يتحدث وزير التنمية والصناعة البحراني للصحفية قائلاً : هناك فئتان من الناس في العالم العربي يستحيل حكمهم أو السيطرة عليهم : الفلسطينيون والبحرانيون !! فكلا الشعبين ذكي ومثقف ، ولن يكتفي بـ « لا » جواباً على أية مسألة .

وبالرغم من ذلك استطاع وزير التنمية والصناعة أن يحقق

نجاحاً في بناء معامل لصهر الألمنيوم ، وبناء حوض جاف ،
وتزويده بكل الطاقات الفنية التي يحتاج إليها البلد ، ويستطيع
البحرانيون توفيرها . هذا الوزير ، واسمه يوسف شيراوي ، هو
من الطائفة السنية ، وزوجته شيعية . وقد حقق هذا التزاوج
السني - الشيعي ، وهو من الحالات النادرة ، تقارباً قوياً بين
الطائفتين ، ويعد بالكثير .

لكن الزوجة الشيعية ولدت أول مولود لها بدون ذراعين ،
ومات وهو في الخامسة حين وقع من السرير واختنق على الأرض .
وانتشر الخبر بين نساء « المقامات الراقية » ، فقالت إحداهن
للصحفية البريطانية :

« نعم . . . هذا ما يحدث ، وما سيحدث إذا امتزج الدم
السني بالدم الشيعي . .

ولكن مي . . زوجة شيراوي ، لا تلتفت إلى هذا الحديث ،
وتستعيز عنه برقعة معلقة على جدار غرفتها ، كتب عليها :-

ربّ هبني من لدنك البقوة على أن أقبل ما لا أستطيع
تغييره ، وهبني الحكمة حتى أغير ما يجب تغييره .

وتنتقل ليندا الصحفية من سيرة جادة إلى سيرة أكثر هزلاً ،
فتقول إن حاكم البحرين ، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ،
قد رفع إلى مرتبة أمير يوم استقلال البحرين ، ولكن الناس ما

يزالون يدعونه « الحاكم » . راتب الشيخ عيسى السنوي هو ستة ملايين دينار بحريني فقط لا غير ، ولكنها لا تكفيه ، لأنها فقط لا غير ، ولذلك فهو مديون دائماً !! وتقول ليندا إنه اشترى منظاراً مكبراً سلطه على مهبط المطار ليراقب كل طائرة تهبط فيه ، وكل ساقين أو فخذين تطلان من باب الطائرة ، لأنه يبحث عن « مواهب جديدة » . لا شك أن هذه الهواية تشغله وتستغرق من وقته الكثير . . . وبالرغم من كل تلك الزوجات (ولكن الشيخة حصّة هي زوجته الوحيدة ، كما تكتشف ليندا فيما بعد) . . . فهو يستقبل العديد من النساء الأوروبيات الزائرات . . . طبعاً . . . وزوجته ، الشيخة حصّة . . . تفهم الأمر بواقعية !!

لقد كان صعود الشيخ عيسى إلى سدة الحكم ، حسب رأي الصحفية ، مصدر فرحة للجميع ، لأن والده كان محافظاً بخيلاً أما جده ، أحمد ، فأكثر محافظة وأكثر بُخلاً . والجميع هنا هم آل خليفة التي أفرحتها وفاة الشيخ سلمان عام ١٩٦١ ، لأن الشيخ عيسى سمح لأفرادها بالسفر إلى أوروبا ، والتثقف . وممارسة الحياة كما تطيب لهم .

وهناك اختلاف آخر بين الشيخ عيسى وبين أبيه وجده . فقد كان الأب والجد يجبان الغلمان ، وما من أحد يستطيع أن يتهم الشيخ عيسى بذلك . ويتمتع عيسى بتأييد أكثر إخوته له ، وهم يشغلون معظم المناصب الحكومية ، ولكن شقيقه الأصغر ،

محمد ، فقد كل فرصة لاحتلال منصب حكومي ، بعد الخناقة الحامية والمشهورة بين الأخوين عام ١٩٦٨ . البحرانيون لا يهتمون كثيراً بأفول نجم محمد ، خاصة بعد موقفه من اضطرابات عام ١٩٦٥ ، حين كان مديراً للأمن العام .

ولكن الشيخ محمد يحيط نفسه بأبهة الحكام ، بل وينافس أخاه في كل شيء : إذا بنى أخوه قصرًا بنى هو قصرًا أيضًا ، وإذا عقد أخوه مجلسًا عقد هو مجلسًا أيضًا . ويطلب الحاكم سيارة جديدة (عدد سياراته حوالي / ٢٠٠ /) فيطلب الشيخ محمد سيارة جديدة على الفور (عدد سياراته المعروف : ٢٠٠٠ سيارة) !

ولم لا ودخله الشهري يتجاوز المائتي ألف دينار ، من أملاكه المؤجرة ومن تجارته الإحتكارية الواسعة .

وذهبت ليندا إلى شاطئ السباحة الخاص بالحاكم . لا يدخله سوى الأجانب من النساء اكتشفت أن حرس الحاكم الشخصي مؤلف من ٢٥ جندياً من اليمن الشمالي ! لماذا من اليمن الشمالي ؟ لأن اليمن الشمالي بعيد جداً ، والجنود لا يتكلمون الانكليزية . . . فليس هناك خوف من قيامهم بأي عمل مقلق لراحة الأمير . . وعلى كل فبنادقهم بلا طلقات .

شخصان فقط يسمح لهما بدخول شاطئ الأمير (وسكرتيرهم وخدمهم طبعاً) ، الأمير وابنه الأكبر ، أي ولي

العهد الأمير حمد ، رئيس الجيش .

وتقول ليندا : إن حمد يحاول أن يستقل عن والده بأموره الشخصية ، لذلك استبدل سكرتير والده الانكليزي لشؤون الديكور ، بشقراء إنكليزية كانت تعمل في أحد صالونات تصفيف الشعر في (بيرغموث) . ويسمح لها أيضاً بارتداء شاطئ الأمير . . أليست سكرتيرة ولي العهد ؟!

تسجل الصحافة ما يقال في شوارع البحرين عن المغامرات السلطانية على ذلك الشاطئ المغلق ، وعن نساء أوروبيات تنقلهن سيارات التاكسي (مجاناً) إلى الشاطئ . . وعن الكاميرات التلفزيونية المخفية هناك تبحث عن الأجساد العارية على شاطئ البحر لتنقلها إلى عيني الأمير . لا تميل ليندا إلى تصديق تلك الشائعات المغرضة ، مع أنها ترى بأم عينها بضع فتيات يستلقين على شاطئ البحر وهن يرتدين « البيكيني » ، وتدافع ليندا عنهن ، وعن الأمير ، فتقول إن أفخاذهن وسيقانهن ليست مثيرة ولا تستلفت النظر . : لذلك فكل الإشاعات التي سمعتها لم تكن صحيحة !! إلا أنها تعترف بأنهن - الفتيات السابحات - يستوردن إلى البحرين تحت اسم « مضيفات جويات » وأن هذا التعبير فقد معناه الأصلي في المنامة بعد أن صار يطلق على الفتيات المستوردات من أوروبا لممارسة الأنشطة الأخرى في بيوت الشيوخ والأثرياء ولكن دفاع ليندا عن الشيخ يتحول في الواقع إلى دفاع عن

الفتيات الأوروبيات المستوردات . . وربما غيرة منهن !!

ويصل الحاكم أخيراً إلى شاطئ السباحة ، بعد أداء صلاة الجمعة ، ويعرب لليندا عن سعادته بلقائها ، وعن قلقه على خيوله التي يرهقها خيالوها ، ثم يجلسها قريباً منه حتى يكاد جسدها يلامس ثوبه . سحرها الأمير الذي كان يظن بأنها تتودد إليه ، كما قالت ، ولكن الفتيات كن كثيرات ذلك اليوم .

وينهي الشيخ الحديث ، ويدعو ليندا لمرافقته في سيارته في مشوار لمشاهدة مغيب الشمس ، حيث العشاق والعاشقات ، والباحثون عن العشق والباحثات . . . ثم يعود بها إلى القصر ، وسيرة الشيخة حصنة . . وينتهي اللقاء أو هكذا قالت . .

الفصل السابع

الكويت دولة مضيفات الطائرات

قالت الصحفية ليندا بلاندفورد :

عرب النفط يلعبون لعبة خسيسة تجاه بعضهم البعض ،
وتجري اللعبة على الشكل التالي :

يقول السعوديون إن البحرين مزبلة ، ويقول السعوديون إن الكويت منتفخة إلى حد لا يتساوى مع حجمها وقدرتها على الانتفاخ (وقد لخص الملك فيصل هذا الرأي بقوله : هناك ثلاث قوى كبرى في العالم : روسيا وأمريكا والكويت !) . أما البحرانيون فيقولون إن السعوديين يظهرون تعصباً دينياً أجوف . ويقول البحرانيون أيضاً إن الكويتيين بغضون كريهون ، ويسألونها: لماذا تريدان أن تذهبي إلى هناك ؟ إنها مدينة ميتة !! أما الكويتيون فيتعالون على الجميع ! وهم ينظرون باحتقار خاص إلى السعوديين (ويتساءلون : من هو القاتل الحقيقي للملك فيصل ؟ والسؤال مشحون بالألغاز والأجوبة المبطنة !) .

وهناك لعبة أخرى تجري في الخفاء ، هي جزء من التناقضات الحادة في المنطقة : واللعبة الثانية هي كلنا مثل بعض ، في الهوى سواء !! والكل مغرم بتذكيرك دائماً أن العائلات المالكة في العربية السعودية والبحرين والكويت مرتبطة ببعضها البعض بصلات القرابة والنسب وهذا يعني أنها جميعاً كانت تتيه حافية في نفس الصحراء قبل بضع مئات من السنين . حتى أن آل خليفة البحرين وآل الصباح الكويتيين هم أبناء عمومة قبلية . لكنهم ، وخلال فترة قصيرة ، ساروا بعيداً باتجاهات متعاكسة .

وفي البحرين أنت مواجه بذكر آل خليفة وحضورهم أينما ذهبت وفي كل الأوقات . أما في الكويت فتكاد لا تسمع بآل الصباح . فهم - (والقول لليندا الصحفية) أكثر العائلات الحاكمة حصافة ، لذلك يحتفظون بغسيلهم الوسخ لأنفسهم . أما وراء الكواليس ، ووراء أسوار القصور ، فهم شيء مختلف تماماً !!

إن القول بأن الكويت جنة على الأرض يدفعك إلى النظر إلى خارطة قبل أن تقبل ذلك الرأي أو ترفضه . فهي محاطة بعدد من الجيران الذين لا يحبونها فهي تخاف من العراق ، ومن السعودية ، ومن ايران . . . ولماذا تظن أنها تشتري كل هذه الدبابات والطائرات ؟ لمحاربة إسرائيل ؟ أنت غلطان يا عزيزي !

ولذا فالكويتيون يعيشون حالة خوف دائم ، ولكنه ليس نوع
الخوف الذي يشيع في السعودية : الخوف هنا مصدره أن آل
الصباح ، والكويتيين عموماً ، يشعرون بأنهم أقلية في بلدهم !!
ولكنهم يرفضون الاعتراف بهذه الحقيقة ومواجهتها .

ربما يكون عدد السكان هنا مليون نسمة (تذكر القول
المأثور : لا تثق لتعداد السكان هنا) . . والحقيقة هي أن عدد
الكويتيين ربما لا يتجاوز الـ ٣٠٠٠٠٠٠ نسمة ، ولكن يتم نفخ
هذا العدد وتضخيمه بإضافة أعداد من البدو الذين تدفع لهم
الأموال ويشترون ليقولوا إنهم كويتيون !

« خوف القلة الحاكمة الأكبر يأتي من الفلسطينيين الذين
يتجاوز عددهم هناك ربع مجموع السكان . »
وتضيف الحساء ليندا :

قبل أن انطلق في رحلتي ، كانت كلمة « فلسطينيين » تعني
بالنسبة لي « ياسر عرفات » ، وبنادق وغيميات لاجئين . أما هنا فقد
وجدت نفسي في مدينة تتميز بأن الفلسطينيين فيها هم الذين
يجعلون الحياة محتملة مريحة . هم الذين يسIRON أمور الحياة
للآخرين ، أما حياتهم هم فموضوع آخر ، وحكاية أخرى .

وتضيف الصحفية قائلة :

ذهبت مساء يوم من الأيام الى ناد ليلي في الكويت كنت

أراقب شاباً في الخامسة والعشرين ، وهو مهندس اختصاصي .
حتى ولو لم أكن أعرف من هو ، فإن بذلته الأوروبية ستكشف عن
هويته الأجنبية . فالكويتيون الأصليون فقط يرتدون الملابس
الوطنية . والحقيقة أنه ابن رجل فلسطيني ساهم في إنشاء إحدى
الوزارات الرئيسية في الكويت قبل عشرين عاماً من الزمن . لا
أستطيع ذكر اسمه . ولأن الشاب فلسطيني ، فلن يشعر بالأمان
هنا أبداً ، مع أنه ولد وترعرع في الكويت . . . ولكنه كثير
الغلبة . وها هو يركز انتباهه على فتاة انكليزية جميلة لم يعد فحاً
لها ، فأسلوب حديثه معها لم يكن من النوع المستعمل
للاصطياد .

« ويجلس الشاب أخيراً بجانب الفتاة الانكليزية : ما أن
وقعت عليك عيناى حتى أدركت أنني أستطيع التحدث معك :
أنت تبدين حكيمة عاقلة . وأنت أول فتاة أقابلها بعد عودتي من
الولايات المتحدة قبل أربع سنوات . وأشعر أنك تستطيعين
التجاوب معى كإنسان ! . . ثم يتابع حديثه فيقول : هل تظنين
أننى غريب الأطوار ؟ ليس الأمر كذلك ، وكل ما فى الأمر أننى
مرهق تعب جداً . استيقظ فى الخامسة صباحاً وأبقى فى المكتب
حتى ساعة متأخرة من الليل لا أذهب للبيت إلا لأنام . أنا أقتل
نفسى بالعمل ولماذا تظنين أفعل ذلك ؟ هل تظنين أننى أحب
العمل ؟ هل تظنين أننى أحتاج إلى المال ؟ عندي منه ما يكفى

ويزيد لقد انتظرت أربعة أعوام كاملة حتى وجدت الفتاة التي يمكن أن أتحدث إليها . الفتيات في الكويت متشابهات لا يهتمن إلا بالمال والثياب . والحديث معهن كالتحدث إلى لوح من الخشب . لن أتزوج فتاة من الكويت أبداً .»

ثم يأتي دور الصحفية لتعلق بقولها :

.... هو على حق : فلن يتزوج فتاة من الكويت . لأنه ما من عائلة كويتية مرموقة سترضى به زوجاً لابنتها !! والفلسطينيون في الكويت ، مهما عظمت ثرواتهم وعلا مقامهم يبقون مواطنين من الدرجة الثانية . يحق لوزير الداخلية أن يمنح الجنسية الكويتية لخمسين شخصاً كل عام مكافأة لهم على جهودهم في خدمة الكويت ولقد قدم والد هذا المهندس العديد من الخدمات الكبيرة ، ولكنه ما يزال مواطناً من الدرجة الثانية ...

والتقت ليندا بفلسطيني آخر ، أكبر سناً من الأول . يعمل سائقاً لدى مسؤول حكومي . على مدى ستة عشر عاماً ظل يقوم بنفس العمل ، ويتقاضى مقابله ستة وتسعين ديناراً كويتياً في الشهر ، في حين أن الكويتي الذي يقوم بنفس العمل لا يقل راتبه عن مائتي دينار . من حسن حظّه أن الحكومة الكويتية بدأت تسمح لأطفال غير الكويتيين بتلقي العلم مجاناً في مدارسها ، شريطة أن تكون أعمارهم أقل من سبع سنوات حين يحضرون

للكويت لأول مرة .

هناك رنين سخرية في صوته يمتزج برنين الحزن والأحلام ،
أحلام البيارات التي كانت عائلته تملكها حين كان طفلاً صغيراً في
فلسطين ، وأحلام استئجار دكان صغيرة (يحرم على غير الكويتيين
شراء العقارات) ، فيصير عندها سيد نفسه كما يقول . وأحلام
الهروب من هذا الجحيم . لذلك فعندما يعود إلى البيت في
المساء ، يجلس مع أطفاله ويشرف على وظائفهم المدرسية ،
ويذكرهم بأن التعليم والعلم هو خلاصهم الوحيد . وأكثر من كل
هذا وذاك ، فهو يحلم في أن يمضي وقتاً أطول مع زوجته . يقول
إن زوجته لا تقرأ ولا تكتب ، ولكنها أفضل منه . وهو يحلم
بلقائها بعد ثمانية عشرة ساعة من الآن !! فساعات عمله اليومية
هي ١٨ ساعة !!

ثمانى عشرة ساعة فى فحص المجوهرات

انتهت جولة أصحاب مؤسسة «تيفانى» الأميركية فى السعودية ، ووصلوا الكويت ، ونزلوا فى الجناح الذى وقعت الدول العربية فيه عام ١٩٧٣ قرار منع تصدير النفط إلى أمريكا .
المفارقة ممتعة : فاليهود الأمريكيون ، ومؤسسة تيفانى مؤسسة يهودية لبيع المجوهرات مقرها نيويورك ، احتلوا المكان التاريخى ، ومسحوا الذكرى المشؤومة ، وطمسوها بصناديق اللآلىء التى بقيت معهم بعد جولة السعودية التى قال كبيرهم ، هنري بلات ، إنه التقى فيها بأميرات كثرات وباعهن العديد من مجوهراته . قال هذا للصحفية الحسنة وهو يعرض جسده لأشعة الشمس الكويتية . وقال أيضاً إن آل سعود دعوه لحضور حفلات كثيرة ، وأن المنطقة ليست جديدة عليه ، فقد باع الجواهر للملك فيصل ومن قبله لوالده الملك ابن سعود ، وللملك سعود أيضاً ، ولو أن اليهودى العتيق تظاهر بعدم التمييز بين الأب والابن . .

ويتابع اليهودى حديثه فىقول :

« لقد حالفنا نجاح باهر هنا فالشيخة بدره ، من العائلة المالكة هنا ، هي التي افتتحت معرضنا ثم دعتنا لحفلة عشاء في مقرها . . كما أننا بعنا الكثير من المجوهرات » . .

تنتقل الصحفية إلى غرفة المعروضات الثمينة فتجد شيخة صبية في غاية الأناقة تتفحص بعض المجوهرات المعروضة ثم تبدأ المفاصلة ، وتشتري الشيخة ما استحلته من المجوهرات .

ثم تعود الصحفية إلى حوض السباحة ، حيث هاري ما يزال يعرض جسده لشمس الكويت الشتوية الدافئة . حين يراها هاري ، يقترب منها ويهمس موشوشاً هل تعلمين أن هاري ونستون (صاحب المؤسسة) هو يهودي ؟ هذا أمر عادي في نيويورك ، ولكني لا أظنه كذلك هنا . . . (ربما لم يكن هاري بلات قد سمع أن الملك فيصل كان يزور محلات هاري ونستون في نيويورك باستمرار ، حتى إنه اشترى خاتم خطبة الملكة عفت من عنده ؟! ترى ماذا كان هاري بلات يفعل في السعودية إذا لم يلاحظ تلك الأعداد الهائلة من مجوهرات هاري ونستون اليهودي تزين أعناق وأيدي الأميرات السعوديات) . . . لن أحدث أحداً في نيويورك عن نجاحنا العظيم في السعودية والكويت فقد يجرح ذلك شعور القوم هنا ، وقد يسيء إلى هاري ونستون في نيويورك أيضاً . .

لا تورد الصحفية أرقام مبيعات هاري في تلك الجولة ،

فالكويتيون ، كما تقول ، متكتمون جداً ، ثم إنهم يفضلون الطيران إلى نيويورك والشراء من هناك بسرية تامة وبلا ضجيج ..

وعن المجتمع الكويتي عامة ، تقول الصحفية :

الكويت هي أكثر بلدان الخليج تقدماً (في نظر ليندا البريطانية طبعاً) ، من ناحية موقع المرأة الاجتماعي . حتى إنها حصلت على حق التصويت عام ١٩٧٥ . وتدعي الكويت أن فيها حركة نسائية ذات شهرة عالمية . إذا لم تكونوا قد سمعتم بها ، فإن عضويتها وصلت إلى ثلاثين عضوة ! وهي حركة فاشلة تماماً . ورغم مظاهر الحرية والتعاطف العائلي في الكويت ، فإن مجتمعا أكثر قسوة على النساء من مجتمع العربية السعودية !

معظم الرجال في الكويت يقضون وقت فراغهم مع رجال آخرين فالشذوذ الجنسي منتشر هناك ، ولكن هذا ليس هو السبب الوحيد . فالرجال يلتقون في الديوانية لتبادل الحديث ولعب الورق ، ومشاهدة الراقصات . وهناك ظاهرة الخيانة الزوجية . . . أنا لا أفهم كيف يقنع الرجال أنفسهم بأنهم يستطيعون ارتكاب أفعال الزنا دون أن ترتكبها امرأة أيضاً . ولكن هذه هي إحدى خصائص المعايير المزدوجة في هذا المجتمع . ولو أن الكويتيين أقل هوساً بالجنس من أقرانهم

السعوديين . وحين طلب شاب كويتي ثري من ليندا أن تذهب معه إلى الفراش ورفضت قال لها أنها متحاملة على العرب !! لم يكتشف هذا الوطني المتحمس تحاملها إلا من رفضها النوم معه ! وعلى كل حال ، يجلس بجانبها ، ويلتصق بها ، ويحدثها عن متاعبه مع زوجته التي أنجبت خمسة أولاد في أقل من خمسة أعوام . . . وما ذنبه ، فهو حارّ الشكيمة الجنسية وقوي الرغبة . والزوجة مشغولة بالأطفال الخمسة ، وليندا جميلة جذابة !! وإن لم ترض ، وزوجته لا ترضى بأكثر من ثلاث مجامعات أسبوعياً ، فلا حيلة له سوى اقتناء أربع فتيات في الكويت . وفتاتين في لندن وواحدة في القاهرة . يغادر منزله في الساعة الثامنة صباحاً ويصطحب إحدى فتياته إلى شقته الخاصة لتمضي معه ساعة أو ساعتين ، ثم يذهب إلى مكتبه لقضاء الأعمال الأخرى وكسب الرزق (الحلال) . اليوم مثلاً ، سيجمع زوجته في الساعة الواحدة والنصف ، ويجمع صديقه في الثالثة ويذهب إلى الديوانية ويبقى هناك حتى الثانية عشرة حيث يجمع فتاة أخرى ، ثم يذهب إلى زوجته في البيت . . . وصديقاته ، كما قال لليندا ، معجبات بفحولته ، حتى إن صديقه الفرنسية المقيمة في لندن تقول إنها لم تعرف رجلاً مثله في حياتها .

وتسأله الصحفية : ماذا تفعل لو اكتشفت أن زوجتك تفعل نفس الشيء ؟ فيثور ويفور ويغلي ثم يقول غاضباً : أطردها من

البيت هي وأولادها . . لم تجرؤ أن تسأله عما يمكن أن تفعله زوجته حين يمضي وقته في الديوانية . . . ؟ لكنه أجاب ، بدون سؤال ، بأن زوجته سعيدة جداً ، فهي تملكه هو(!!) ولديها أربعة من الخدم . . . ولكنها تغسل ثيابه بنفسها وتقبل قدميه . . . وماذا تفعل أيضاً؟؟ ماذا تفعل؟؟ لا أدري!! تبقى في البيت ، وتحدث الأطفال ، وتشاهد برامج التلفزيون ، و . . . تتحدث كثيراً على الهاتف!! في الكويت شبكة تلفونية واسعة تستخدمها النساء في الحديث إلى نساء أخريات ، أو رجال غرباء . . . جزء من حياة الرفاهية . . ولم لا . . ؟! فليس كل النساء الكويتيات يسمحن لأنفسهن بأن يعيشن حياة الوحدة والملل . . . خاصة الفتيات الصغيرات من العائلة الحاكمة . . وخاصة أيضاً أن الأطباء الآن متوفرون ، حتى في الكويت نفسها ، لإعادة ريق غشاء العذرية . أما إذا حدث خطأ واكتشف الأمر ، فعقاب الفتاة لا يقل عادة عن الموت . .

وحق الزوجات ، حين تشتد وطأة الوحدة والملل عليهن ، يخاطرن مخاطرات أشد من تلك التي تتعرض لها الفتيات العازبات . . . وإذا مللن من السائق . . يقتنصن غريباً من الشارع . إحداهن تذهب إلى مصفف الشعر ، ومن هناك تتسلل لرؤية صديقها الألماني . ولكن انكشاف العلاقة رهيب العواقب . تتحدث الكويت كلها عن امرأة ضبطها زوجها وهي تتحدث مع

رجل على الهاتف ، فأطلق النار عليها فوراً واستدعى شقيقها لنقلها إلى المستشفى ولم ينتظر خروجها من هناك ليطلقها . وما تزال تلك المرأة حية ، وحيدة ، مطلقة ، وما تزال الكويت تتحدث عن « رذيلتها البشعة » ..

أما حركات «تحرير» المرأة التي تقودها بعض النساء الكويتيات ، فأقصى آمالها أن تنقل صورة من صور الحياة الاجتماعية البريطانية إلى الكويت ، كما هي بدون « تكويت » ولا حتى رتوش . فالحياة بالنسبة لهن هو ما رأيته في بريطانيا ، وإلاّ فلا ، لأنها حياة لا تطاق . والحرية بالنسبة لهن لباس غربي ، وتحدث بالانكليزية ، وديكور انكليزي لمنزلهن ، وربما صديق ، بريطاني إذا أمكن ، يملاً (الفراغ) المتبقي !!

وأكبر دليل على ذلك هو ما يجري في عائلة آل الصباح نفسها ، فشيخ آل الصباح هم المثل الأعلى في الأناقة والحدادة . الأمير قلماً يرى ، وإذا كان يقضي عطلة طويلة في لندن فلا يتحدث أحد عنها ، ويقال إنه حين يذهب إلى هناك ، لا يتمتع نفسه إلاّ بركوب قطار الانفاق ، وقطارات خط معين على وجه التحديد !!

وآل الصباح لا يقبلون بأقل من مركز سفير في سفارة هامة . خذوا مثلاً الشيخ سالم الصباح ، الذي شحذ مواهبه الدبلوماسية

في لندن وواشنطن قبل أن يلمع نجمه فيصبح وزيراً في الحكومة الحالية . ويبدل آل الصباح المستحيل للإبقاء على الصراعات العائلية داخل أسوار القصور ، بحيث لا تسمع الكويت إلا بنتائج جهود المصالحة الإيجابية .

لذلك لا يتحدث أحد الآن عن الأمير مبارك الصباح « الكبير » وكيف « تخلص » من أخوين حتى تخلو له الساحة للوصول إلى القمة عام ١٨٩٦ . وكذلك نسي الناس أخبار شقيق الأمير الحالي ، الشيخ فهد ، الذي اختار لنفسه أسلوباً في الحياة لا يمت إلى هذا العالم بصلة . لكن مشكلته تمثلت في أنه لم يكن يستطيع التمييز ولا التفريق بين دخله الشخصي وميزانية الدولة ، حين كان يشغل ، من بين مناصبه العديدة ، منصب وزير الأشغال العامة !! أخيراً تضامنت العائلة ، التي أفقرتها مظاهر حياة فهد ، ورتبت أمر انسحابه من منصبه بهدوء ووقار . وبهدوء ووقار مشابهي مات فهد بعد فترة قصيرة من الزمن : البيان الرسمي كان هادئاً وقوراً أيضاً ، فقال إن فهد توفي متأثراً بنوبة قلبية أثناء تأديته لفريضة الحج في مكة . أما أجهزة المخابرات فتقول ، بدون هدوء ولا وقار ، إنه مات ميتة مشبوهة على ظهر يخته الخاص .

أما حكاية نساء آل الصباح وما يفعلن حكاية أخرى مختلفة ، خذوا ، مثلاً ، الشيخ سعد آل الصباح ولي العهد ، وابنته التي

ارتكبت فاحشتها الكبرى حين وقعت في حب شاب لبناني مسلم حين كانت تدرس في الجامعة الأميركية في بيروت . ثم خطفها وهرب بها إلى قبرص .

لم يكن هناك مجال ، طبعاً ، لإجبار البنت على العودة إلى البلاد . فقد كانت أكبر سناً من أن تعامل كقاصرة . وهلعت العائلة الحاكمة لسماعها بأن البوليس الدولي كان يتعقب هذه الابنة (الجانحة)، فقد ادعى شخص ما أنها سرقت بعض مجوهرات أمها ، ولكن ذلك لم يكن صحيحاً ، وكل ما حدث كان « سوء تفاهم بسيط » يتعلق بمكان المجوهرات !! هذه الشيخة البائسة استقرت في أستراليا ووجدت عملاً هناك وتقوم بعض بنات عمها بإرسال النقود إليها سراً ، ويقلن : إن هذا المخجل حقاً !! لقد تزوجت بعربي ، وماذا يُريد والدها غير ذلك ؟! لكنهن يصفن قائلات : المشكلة أن حادثة كهذه تهدم كل ما نحاول فعله نحن جميعاً للتخلص من كابوس الماضي . . . وهذا يعني أن آل الصباح متحضرون متمدنون على آخر طراز وفي كل مجال ، إلا ما يتعلق بنسائهم (وليس نساء الآخرين طبعاً !!) .

ولكن ما لنا ومال حكاية الشيخة المغضوب عليها ؟! تعالوا نرافق الشيخ ناصر ، والصحفية التي وجدت نفسها في سيارته ، إلى حلبة سباق الخيل ، فهو يعشق السباق خاصة إذا كانت خيوله مشتركة فيه ، وخاصة أيضاً إذا كانت تلك الخيول تنافس خيول

عمه الشيخ خالد . الشيخ ناصر ؟! من هو ؟ هو الشيخ ناصر بن صباح الصباح ، ابن وزير الخارجية الكويتية ، وزوج ابنة الأمير حاكم الكويت . ورغم أنه لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره بعد (حين كتبت الصحفية مذكراتها) فإنه يشغل منصب رئيس مجلس إدارة شركات الأسماك المتحدة ، والمدير العام لمؤسسة غلق (الخليج) انترناشنال . لا . . . لم تنته بعد : هو أيضاً المدير العام لشركة لورنو البريطانية ، وهي الشركة التي دفعت ممارستها غير القانونية رئيس الوزراء البريطاني في ذلك الحين ، المستر إدوارد هيث ، لأن يطلق وصفه الشهير لها ولممارستها حين دعاها « ذلك الوجه القبيح غير المقبول للرأسمالية ! » . ولكن تعليق رئيس الوزراء البريطاني لم يؤثر على أعصاب الشيخ الغني ناصر ، فاشترى عدداً هائلاً من أسهم الشركة بسعر زاد كثيراً عن قيمتها الحقيقية ، وكالعادة ، كان أضحوكة الصحافة البريطانية .

ولنعد الآن إلى حلبة سباق الخيل ، مع الأمير الشيخ ناصر ومع مرافقته الحسنة ليندا تقول الصحفية : إن نصف عائلة آل الصباح الحاضرة كانت من العبيد السود ، لأن أخا خالد من والده مشعل ، هو ابن عبدة ، فتراه يصيح ويعربد ويطلق النكات ويشرب الشاي في آن واحد . أما أحمد ، ابن الأمير ، فهادئ لا يكاد يفوه بكلمة واحدة . تعجب الصحفية لمنظر هؤلاء الشيوخ والأمراء ، المتزمطين الوقورين في العادة ، وهم يتصايحون

ويصخبون الآن كزمرة من المجانين !! ولكن ليندا تعلق بقولها :
هذه نتيجة شراهة أجيال آل الصباح للزوجات ، بدءاً من
الشقراوات البيضاء إلى السوداوات بلون خشب الأبنوس .

وبالمناسبة الحديث عن الزوجات والنساء عموماً ، تكتشف
الصحفية أنها لم تكن المرأة الوحيدة في ذلك السباق ، بل كانت
هناك أيضاً مايدا ديثيز ، الفتاة الانكليزية المرحلة التي بلغ بها المرح
حداً جعلها المسؤولة عن حظائر خيل الشيخ خالد ، الذي تعاضم
إعجابه بها ، فعينها في هذا المنصب رغم غمزات الناقدين . وهو
يرد على الانتقاد بقوله إنه يخشى ، في غيابها ، أنه تختلف كميات
المقويات والفيتامينات في وجبات خيوله (ولم تتمالك ليندا
البريطانية ذاكرتها ، فعاد الى مخيلتها الفلسطيني وأطفاله الخمسة
الذين يعيشون على دخله البالغ ٩٦ ديناراً في الشهر ، يدفع منها
٣٠ ديناراً أجرة البيت !) . المهم أن مايدا لم تكن هنا بصفتها
امراًءة ، معاذ الله ، خاصة وأن زوجها كان غائباً في ذلك الوقت
يعمل لإعمار شركة نفط الكويت العامرة .

أما الشيخات فلا يذهبن للسباق إلا نادراً جداً . لماذا ؟
فتجيب مايدا ليندا قائلة : لأنهن لسن زوجات بالمعنى المألوف
للكلمة : ماذا أقول لك ؟! نعم : إنهن أشبه ما يكنّ بإناث
الخيول المخصصة للقاح وإنجاب الخيول . . . هل تشارك مثل
تلك الفرس في السباق ؟!

ولكن خيول ناصر تحسر السباق ، فيحزن الشيخ الناصر ،
ويقرر الذهاب في تلك الليلة الى القاهرة ، ثم يلتفت إلى ليندا
الصحفية البريطانية الشقراء : هل تأتين معي إلى القاهرة ؟
سأعيدك على طائرتي الخاصة غداً ؟ آه .. أتمنى ذلك !! فقد
كنت أتمنى دائماً رؤية الأهرامات !!

في الجناح المخصص لضيوف الشرف في مطار الكويت تتذكر
ليندا أنها لا تملك تأشيرة دخول لمصر !! ولكن الشيخ ناصر يجيب
وهو يرد على انحناءات الأصدقاء والمرافقين والضيوف ، وبين
انحناءة وأخرى يلتفت ليأمر شخصاً ما بأن يتصل بزوجته ليخبرها
أنه في طريقه إلى القاهرة . يرد (بتلويحة) من يده فهتمت منها
ليندا : هذه مسألة بسيطة .. لن تحتاجي إلى تأشيرة دخول !!

وما أن تقترب طائرة الفالكون الخاصة بالشيخ من سماء مصر
حتى تكتشف ليندا ، فجأة ، أن ناصر شاب ساحر جذاب يجذب
العقول !! صحيح أنه قصير قليلاً ، ولكنه قوي البنية متناسق
الجسم عيناه بنيتان واسعتان وحاجباه طويلان معقودان .. وأهم
من هذا وذاك ، هو غني جداً جداً !! حتى إن ثروته تفوق
ثروات آل الصباح المعتادة !!

في مطار القاهرة ، تجد ليندا مسؤول السفارة الكويتية بانتظار
الشيخ . قال « إنه كان بانتظارنا منذ ست ساعات » .. ثم نظر

إلى جواز سفر ليندا وصاح : ماذا ؟ بلا تأشيرة ؟!

فماذا كان رد الشيخ الساحر ناصر ؟! تأبط ذراع ليندا
البضّ وخرج من جناح ضيوف الشرف إلى القاهرة !!

ومن شوارع القاهرة الخالية في الساعة الثالثة صباحاً إلى
فندق الميريديان ، وغرفته الجميلة المطلّة على نهر النيل ، وحوض
السباحة الأنيق فيه ، وأهم من ذلك الحمام الفاخر في الشقة التي
ستضم الصديقين العزيزين بقية هذه الليلة التي لا تنسى !!
شقة : (أو قل : جناح) الأمير في الفندق مؤلفة من غرفة نوم
واحدة فقط ! وبعد حمام ساخن مهدىء للأعصاب يتحدث
الشيخ ناصر لصديقه ليندا عن زوجته ، فيقول إنه تزوج الشيخة
حصّة لأنه كان يشعر بالملل ، ولم يجد ما يشغل وقته ، فخطرت
على باله الفكرة وكان ما كان !! وقال إنه أخبر حصّة بذلك
صراحة جارحة ، خاصة وأنها أذكى من في العائلة . ووافقت
حصّة - طبعاً - ورافقه الى لندن ، حيث درس إدارة الأعمال لمدة
عام واحد وبعد ألا نصدق وصف الانكليزية للزوجات من
آل الصباح ؟!

ولأنه لا بد من عمل يقوم به في القاهرة ، فقد أخبر ناصر
ليندا أن شركته حصلت على امتياز صيد الأسماك في بحيرة ناصر
(ولكن من أنور السادات طبعاً !) ، وأنه - ناصر - ينوي بناء فندق

قرب البحيرة مؤلف من ٤٠٠ غرفة نوم . . . أنه يحاول أن يثبت أنه قادر على إدارة الأعمال التي وضعها والده بين يديه .

كما يشعر ناصر بأنه يخوض سباقاً آخر ، ضد نقائصه الكثيرة هذه المرة . فيسأل ليندا :

- هل تعتقدين أنني أعاني من مركب الشعور بالنقص ؟

- طبعاً !! ولكن لماذا تسأل؟؟

- أتساءل أحياناً ، بيني وبين نفسي ، عما إذا كان ينبغي أن أذهب لعيادة طبيب نفسي . ربما لو عرفت نقائصي وما هي الأشياء الخطأ فيّ ، سأصبح أكثر ذكاء وثقة بنفسي . حصّة تقول إن أروع ما حدث في حياتي أنني فشلت في امتحاناتي . . . إنني أشعر بأنني غمبي . . . غمبي . . . غمبي !! أنا أحب الالتقاء بأناس جدد ، ولكن - ماذا سأقول لهم ؟ وعد بعض الأصدقاء أن يقيموا حفلة عشاء على شرفي ويدعوا إليها بعض وجوه المجتمع . . . ولكني خائف . . . خائف . . . أستطيع أن أحدثهم عن الفنون الإسلامية . ولكن من هو ذا الذي يهتم بالفنون الإسلامية ؟!

ويطلع الفجر . . ويتذكر ناصر أن طاقم الطائرة لا بد سيصلون بعد قليل . . . كما يتذكر أيضاً ، بمحض الصدفة ، أن لوالده منزلاً مبنياً على خمسة فدادين من الأرض قرب الاهرامات . . . وأنه سيذهب إلى هناك . . . ومعه ليندا . وهناك

يرتاح الجميع ، كل في فراش مريح . . حتى الصباح . . وعندها تبدأ الرحلة الى الاهرامات . . وأبي الهول . . وركوب الجمال ثم يبدأ الحديث عن بيته في الكويت ، الذي أقنع أستاذاً جامعياً من السوربون ليصنع له تصميم ترتيبه الداخلي . ويمد عرضاً اسم حصّة أثناء الحديث . . مسكينة . تعاني من اجهاضات كثيرة ، وحتى الطفلة الوحيدة التي بقيت حية ، أخذتها جدتها !! فما تزال العادة تسمح للجدّة بأن تأخذ الولد البكر لتربيته وكأنه ولدها .

وتنتقل ليندا بالحديث من حصّة وديكور البيت الجديد إلى الشؤون الدولية ، ومنه ، طبعاً ، إلى موضوع إسرائيل : يتفحص ناصر وجهها بدقة ثم يجيب :

- محامي في أمريكا يهودي . . . هل يكفي هذا للإجابة على سؤالك يا ليندا ؟!

وينتهي الحديث ، ويحين موعد عودة الطائرة ، ليندا . إلى الكويت . وفي الطريق التي أصر ناصر على قيادة سيارته المرسيدس الفاخرة عبرها في طريقه إلى المطار ، تشاهد السحفية أطفالاً شبه عراة ونساءً غارت عيونهن من الجوع والفقر ، جالسات هناك يبعن قصب السكر . ومع ذلك فإن هذا الشارع ، كما قال ناصر لليندا ، يعد من الشوارع الغنيّة بالمقارنة بشوارع أخرى . ويقول ناصر بعد هذا المشهد :

- والآن عودي إلى الكويت ولا تتذكري سوى الأهرامات يا

ليندا !!

وفي الطريق يحدثها أحمد ، شقيق ناصر الذي كان في ليبيا يصيد الطيور ، والعائد إلى الكويت مع طوره ، يحدثها عن صندوق الجواهر الثمينة الذي حمله ناصر معه حين ذهب للقاء حصّة في باريس . وحدثها أيضاً عن سيارة الرولرزويس التي تركها ناصر في بومباي ولا يستطيع اخراجها من هناك ، وعن مغامرات ناصر حين ذهب يقضي آخر إجازة له في آكابولكو . . . هل تعرفون أين آكابولكو هذه ؟! حسناً . . ولا أنا أعرف أيضاً !!

ولكنه لم يحدثها عن الأطفال والنساء الجياع في شوارع القاهرة ولم يحدثها عنهم ؟ ألم ترهم بعينها ؟!

وحين تعود ليندا إلى الكويت تجد أن الشيخة بدرية تستعد لإقامة حفل عشاء فاخر في فندق الهلتون على شرف زوجة وزير الداخلية البريطاني . والشيخة بدرية ثرية أيضاً ، تملك ما يسمى بشركة التجارة المتحدة في الكويت ، وهي أكبر مؤسسة مصرفية ومالية هناك . أما عقاراتها فتقدر قيمتها بخمسين مليون دينار كويتي (١٢٥ مليون جنيه استرليني) ، وهي صاحبة القرار الأول والأخير في كل ما يتعلق بشركتها وعقاراتها .

الشيخة بدرية هي أرملة الشيخ فهد الصباح الذي توفي عام ١٩٥٩ ، وهي حفيدة أحد الأخوين الذي قتله أخ ثالث : أي الأمير مبارك الصباح « الكبير » . كانت عائلتها منفية ، فنمت هي وترعرعت في العراق ، بعيداً عن جو آل الصباح . وحين تقدم الشيخ فهد الصباح لخطبتها ، رفضته أم بدرية الحبشية لأنه كان فقيراً معدماً . . . والدم الحبشي الأزرق لا يختلط بدم البدو الفقراء . . . حين يكونون فقراء طبعاً !! ولكن بدرية تزوجته رغم معارضة والديها المتعصبة للدم الحبشي . في أوائل الخمسينات ، بدأ فهد يتسلم بعض المناصب الحكومية ، وطلب من زوجته بدرية أن تساعدته . وساعدته ، وفي كل مرة كان يعرض عليها المجوهرات والأموال ، كانت ترفضها (بعد أن صار حاكماً وصار غنياً ، طبعاً) وتطلب منه أن يقدم لها الأملاك والعقارات بدلاً منها . ومن جملة أملاكها الآن القصر الذي تعيش فيه . إنه على صورة صحن طائر . باذخ ، أنيق وعظيم الأبهة ، بنته إلى جانب منزلها القديم المتواضع ، وأبقت على ذلك البيت . القصر الجديد يحفل بكل ما ندر وغلا ثمنه ، يليق بأميرة فعلاً . . . ولم تتعلم بدرية كل هذا من زوجها فهد . . ثم انظروا إلى ابنتها الشابة أمينة ، تتكلم الانكليزية بلهجة أميركية صافية ، فتحسبها سوداء أميركية بحتة . . ذلك أن مربيتها أميركية ، والشيخة بدرية كانت أول من أدخل نظام المربيات إلى

بيوت علية القوم في الكويت بعدها أرسلت أمينة إلى مدرسة تبشيرية في الولايات المتحدة (لتأخذ «العلم» من مصادره الصافية) وأرسلت ابنتها الأخرى . . إلى مدرسة تبشيرية أخرى ، أيضاً في أمريكا (المدرستان تنتميان إلى طائفتين مسيحيتين مختلفتين ، ولكن العامل الموحد بينهما أنها في رحاب الولايات المتحدة ، وقربتان من البيت الأبيض) ، وهكذا فإن لغة الابنتين الأولى هي الانكليزية (أو قل : الأميركية) ، أما لغتهما العربية فضعيفة . . .

تقول أمينة إن فتى أحلامها هو الأمير تشارلز ، ولي العهد البريطاني . . . ثم تتساءل : ماذا لو تزوجت الأمير تشارلز (لم يكن الأمير متزوجاً يومها !) ، هل ستكتب الصحف البريطانية على صفحاتها الأولى : ملكة النفط جاءت . . !! ولأن بدرية وابنتيها من آل الصباح فإن البنيتين تتمنيان أن تكونا رجلين !! لماذا ؟ لأن الرجال من آل الصباح شيء آخر . . ويتمتعون بحرية لا تتمتع بها نساؤهم .

أما آل الغانم فهم لا يقلون ثراءً عن آل الصباح . . نسبياً طبعاً . . الأب مقيم دائماً في انكلتره . . يخلد إلى راحة مستديمة . . الأخ الأكبر عبد الله متزوج بسيدة اسمها لولوه تحبه كثيراً ، وتحب أخاه ضراراً أيضاً . وضرار يحبها بقدر ما يجب أخاه عبدالله . ولكنه يحب صديقته فيكي ، المضيضة الجوية ، أكثر من

أخيه وزوجته . والحق معه في ذلك ، فثيكي ، مراكشية المولد
مصرية الجنسية ، تتمتع بشفتين شهوانيتين وردفين طريتين تقوم
بدور رئيسي في مهمات الترفيه بالرقص للجميع وتمتيع أنظارهم بهز
البطن . . هذا عندما لا تكون مضيئة في الطائرة أو في فراش
ضرار . فرقصتها حركة أرداف وقفزات قدمين صغيرتين ، لا
يستطيع ضرار مقاومة إغرائها (الردفين) فينضم إلى الراقصة في
حركاتها ويقوم بدور الشاب المغربي جداً .

طبعاً يعتذر ضرار اعتذاراً صادقاً وعميقاً من وجود أكوام
القمامة المتراكمة على الشاطئ الحالم الخاص بعائلته ، فالقمامة ،
المؤلفة من زجاجات الويسكي والشمبانيا والجن ، تسبب إلى الجو
الراقص لأنها فارغة ، فيأمر ضرار بإزالتها واستبدالها بزجاجات
ملئة على الفور .

وثيكي تملك ، طبعاً ، فيلتها الخاصة بها في الكويت .
يكذب ضرار الشائعات القائلة بأنه هو الذي اشتراها لها . فهي
مضيئة جوية في شركة الخطوط الجوية الكويتية ، واشترت الفيلا
من عرق (جبينها) . وضرار ناجح في أعماله التجارية الواسعة
الانتشار ، ولكن هذا لا يمنعه من النجاح المنقطع النظير في عمله
الآخر كدون جوان ومطارد نساء . شريكه الكبيران في مغامراته
هما الأميران السعوديان بندر وتركي بن فيصل . ولهذا فهو يقضي
سهراته الليلية في الأماكن المناسبة وبرفقة الأصدقاء المناسبين

جدا . الأمكنة هي جزر البهاما ، نيس ، روما ولندن . . . وحين ينضم هو وصديقه إلى طاولة الروليت فإن القليلين جداً في هذا العالم ، كما قال هو لليندا ، يستطيعون مجاراته ومجاراة صديقيه . .

ويحدثها ضرار عن أحب أهل الأرض إليه ، فيقول إنهم الاسكتلنديون ، لأنهم « قبلون مثلنا تماماً . . . !! » ثم يحدثها عن صديقه الاسكتلندية . كانت الفتاة الوحيدة التي تمنى أن يتزوجها ، ولكنه أحجم ، كما سيحجم عن الزواج بأية فتاة أوروبية أو عربية أجنبية (غير كويتية) . . . فالتقاليد أقوى من الحب !! ويضيف ضرار الساحر قائلاً :

« لدي نساء كثيرات . . بدون مقابل . . ولكن ليس لدي الوقت الكافي للتمتع بهن جميعاً . كنت في المغرب قبل مدة ، وجاءتني فتاة أميركية ، وبدأت تتحدث . فدعوته إلى العشاء ، ثم أخذتها إلى غرفتي . . كان الوقت متأخراً فقلت لها : لدي موعد عمل في الساعة السابعة صباحاً . . فاقفزني إلى الفراش بسرعة . . . فجاءت إلى الفراش بسرعة » .

وبعد حكايات ضرار الغرامية ، تسمع الصحفية ليندا قصة تقول إنها على كل شفة ولسان في الكويت . تقول القصة إن واحداً من علية القوم ، لم يكن ضراراً ، وصل به الألم من « نفاق الكويت حول المسكرات وشربها » إلى درجة قرر معها أن يكون

« شهيد » تغيير الحال . قال إن السيل قد وصل الزنى ، فالأغنياء يشربون أفخر أنواع الويسكي والشمبانيا ، بينما الفقراء لا يجدون سوى « فلاش » وهو بيرة أو خمرة تصنع محلياً من العطور المقطرة !! وشربها يسبب العمى والكساح ! أليس هذا حراماً !! وبناءً على ذلك ، ولكي يكون ذلك الشهيد المناضل ، حزم أمتعته وغادر الكويت ، ثم عاد إليها ومعه حقيبة كبيرة مملوءة بزجاجات الويسكي ، وقدم نفسه لجمارك المطار . كان يأمل في أن يقدم للمحاكمة ، ويصبح نجماً مشهوراً ، ولكن الجمارك كانت أذكى منه ، فقد صادر موظفوها الويسكي (وقدموه هدية ... للأغنياء !!) وأرسلوه إلى بيته ، وكأن شيئاً لم يكن . كل الكويت تتحدث عن الحادثة ، ولكن الكويت كلها تعلم أيضاً أن السلطة أذكى من أن تقع في مثل هذا الفخ !!

وتعود ليندا إلى نادي السباحة ... ونادي سباق الخيل ، فتكتشف أن هناك ذباباً يملأ المكان .. ولا أحد يهتم بالذباب .. فتقول والحسرة تغلبها : وما هو الحل ، إذا كان الأعضاء في النادي لا يحبون الذباب ولكن الذباب يحب روث الخيول ؟؟

ولكن ليندا وجدت أن هناك قضايا أخرى غير الذباب تحتاج إلى حل وإلى جواب في الكويت ، ولكنه لم يأت بعد .

وختامها : عبدالله الطريقي

بعد ظهر كل يوم خميس ، وأحياناً يوم الجمعة من كل أسبوع ، تحضر سيارة غير فارغة إلى نادي الصيد والفروسية في الكويت ، وينزل منها رجل ذو شعر خطه الشيب ، وقور . يثير الفضول . شيء ما غير طبيعي يحيط بهذا الرجل تشعر حين تراه بأنه لا ينتمي إلى هذا المجتمع ولا إلى هذه الطبقات ، ولكن الشيوخ والوزراء وكبار الشخصيات تصر على الذهاب إليه وإلقاء التحية عليه .

يرد التحية ، ويتسسم لهم ، ويتحدث إليهم ، ثم يتوجه إلى اسطبل خاص يحتفظ فيه بفرسه « المجنونة » جميلة كما يسميها ، فهي إحدى الخيول النادرة التي سمح البحرانيون بإخراجها من بلادهم . كان الحاكم قد اختارها بنفسه للشيخ خالد ، أكبر مالك للخيول في الكويت ، ورئيس ديوان الأمير ، الذي قدمها هدية لهذا الرجل . يمتلك ظهر فرسه بهدوء ، ويركب ساهماً لوحده . إنه رجل يعيش حياة عزلة واضحة .

من أين أتى هذا الرجل ؟ وما هو أصله ؟ إنه يحمل جواز سفر كويتي ، وآخر سورياً وثالث جزائرياً ، ورابع أردنياً ، وأخيراً حصل على جواز سفر سعودي . كانت السعودية آخر من قدم له المفتاح الذهبي . لماذا ؟ لأنه الرجل الذي ابتدع فكرة الأوبيلك : مجموعة الدول المنتجة والمصدرة للنفط . وكان أول عربي نادى بالتأميم ، وأول من دعا إلى تحقيق شعار : نفط العرب للعرب . إنه عبدالله الطريقي ، أول وزير للنفط والثروة المعدنية في السعودية .

إن قصة النفط في الشرق الأوسط هي قصة حياة هذا الرجل ، مع فارق بسيط ، وهو أنه لن يهادن أبداً ، ولن يقبل بالحللول الوسط وأنه كان رجلاً أميناً مستقيماً صادقاً . لا يهتم الطريقي كثيراً برواية قصته ، بل يتطلع إلى المستقبل ، فلم يعد الماضي يهيمه كثيراً . ولكنه تحدث في نهاية الأمر إلى الصحفية البريطانية ليندا بلاند فورد .

قال ان والده كان صاحب قافلة تنتقل بين الرياض والكويت . وحين ولد عبدالله عام ١٩١٩ في ما يسمى الآن بالعربية السعودية ، لم تكن هناك بلدان ولا حدود . أخذه والده إلى الكويت في كيس ملقى على ظهر جمل . كان في السادسة من عمره ، وكان والده يتوقع منه أن يبقى على ظهر الجمل طوال الليل كان قد عزم على إسكانه مع أخيه وإرساله إلى المدرسة

ليتعلم . يصف عبد الله حياته هناك فيقول :

« كنت أنهض في الصباح وأنظف البيت ، وفي المساء كنت أستعيد قطع الماعز من الصحراء ، حيث تنتشر القبيلات الآن » .

بدأ العمل في الحادية عشرة من عمره ، حين أرسل وحيداً الى بومباي ليعمل عند تاجر أمني . كان عبد الله قد تعلم القراءة والكتابة ، فصار سكرتيراً ومحاسباً لذلك التاجر . وانتقل بعدها إلى تاجر آخر قرر أن هذا الصبي الذكي النبيه يجب أن يعطى الفرصة ليتعلم ، فأعاده من الهند إلى جزيرة العرب ، مع رسالة مقدمة وتعريف به مرسلة إلى وزير المالية السعودي . واضطر عبدالله إلى ركوب جمل والسفر من الكويت إلى مكة لتسليم الرسالة . فوقع عليه الاختيار للالتحاق بمدرسة في القاهرة .

وما يزال عبد الله الطريقي يتفاخر حتى اليوم بأنه كان بطل السباحة في مدرسته تلك ، ولكنه كان يقضي معظم وقته في المدرسة والتحصيل . يقول :

« كنت أريد أن أصبح مهندساً ، رغم أني كنت غيباً جداً في مادة الكيمياء . وقد قال لي ضابط مصري يوماً إن الله حين خلق الناس خلق ثرواتهم معهم ، ولكن على هؤلاء الناس أن يكتشفوها . وقال الضابط المصري إنه حين كان يخدم في تركيا كان يشاهد الجيولوجيين وهم يحرون إلى قمم الجبال ثم يهبطون

منها ، ثم يصعدون فوقها . . . بحثاً عن المناجم والمعادن . . .
بحثاً عن الثروة . وبدت لي تلك فكرة جيدة .

بعد ذلك حصل على بعثة للدراسة في جامعة القاهرة ، ثم
على منحة لدراسة الماجستير في الجيولوجيا والهندسة البترولية في
جامعة تكساس . وشاء له القدر أن يكون أول وزير سعودي
تكنوقراطي نفطي . ويصف تلك المرحلة فيقول :

« في القاهرة كان الأميركيون شيئاً جديداً بالنسبة لنا ،
وكانوا يعنون الكثير من الساعات الذهبية ، والخواتم الذهبية .
والعلكة الأميركية !! وهكذا تكونت لدي فكرة تقول بأنني
سأحب أمريكا حباً جماً » .

لكن عبد الله الطريقي كره أمريكا كرهاً شديداً .

« في نيويورك اشتريت كتاب دليل السائح ، ورحت أبحث
عن اسم فندق ، فوجدت نفسي أدخل فندق والدورف
آستوريا !! ولكن النتيجة أنني نمت على حصير على الأرض في
مكان ما خلف ميدان تايمز ! » .

« أما في تكساس ، فقد ظنوني مكسيكياً نحيلاً . . . كنت
دائماً وحيداً . . . إلى أن التقيت بأميركية شقراء كانت تبحث عن
زوج ، وأعجبته . « قالت ليندا : يبدو أنه أعجبها إلى درجة
شجعته على العودة إلى السعودية معه !

فرض السعوديون عبدالله الطريقي على شركة آرامكو في الظهران . كان العربي الوحيد المتخصص في شركة أميركية ، ولم تكن آرامكو لترضى عن ذلك . أرادوا أن يعطوه غرفة في « ثكنات » العمال العرب ، فرفض وأصر على الإقامة في شقة من تلك التي أعدت لكبار الموظفين الأميركيين . ولكن هذا لم يحل شيئاً . فقد كان الأميركيون ينظرون باحتقار إلى زوجته التي تزوجت مواطناً محلياً . . . ويسكت عبدالله الطريقي لحظة ثم يقول : لم تكن تلك أياماً سعيدة .

في عام ١٩٥٨ نقله الملك سعود الى جدة وسلمه أعلى منصب في عالم النفط . وفي عام ١٩٦٠ أصبح وزيراً للنفط (فلم يكن اليماني يومها شيئاً مذكوراً) وأصبح عبدالله قوة لا يستهان بها . وكان منزله يعج دائماً بالناس والضحك والغزلان والكلاب السلاقية من انكلتره لأنه كان يهوى جريها في السباق (هذه الكلاب ، كان الملك سعود قد اشترى خمسة منها من انكلتره ، وحين ملل منها رماها في وجه عبدالله ، ولما كانت الكلاب ذكوراً وإناثاً ، وكانت خمسة فإنها سرعان ما ازدادت إلى سبعة عشر كلباً وكلبة !!)

كان مسؤولو آرامكو يكرهون عبدالله الطريقي ، لأنه اكتشف نقطة ضعف في حساباتهم ، فأجبر الشركة على دفع ١٤٥ مليون دولار بمفعول رجعي عن فترات سابقة . يقول

عبد الله :

« كان هدي في الوحيد أن ألغي شراكتنا مع آرامكو ، تلك الشراكة القائمة على المناصفة . قضيت عاماً كاملاً أتفاوض مع شركة يابانية لكي نحصل على ٥٦ بالمائة مقابل ٤٤ بالمائة تكون حصة تلك الشركة . لكنني اكتشفت فيما بعد أن صهر (الملك) فيصل (زوج شقيقته) كمال أدهم ، كان وكيل تلك الشركة ، وأنها كانت قد قدمت له كمسيوناً قدره مليون دولار ، وبالإضافة إلى ذلك ، عقدت معه اتفاقاً سرياً تدفع له بموجبه إثني بالمائة من أرباحها . جنّ جنوني ، وأجبرت اليابانيين على إلغاء كمسيون الإثني بالمائة الذي وعدوا به كمال أدهم . أعتقد أن فيصل لم يغفر لي ذلك أبداً » .

حين عزل الملك سعود من منصبه عام ١٩٦٣ ، استقال عبد الله الطريقي أيضاً ، ويقول في ذلك :

« لم أكن أستطيع البقاء في البلاد بدون عمل ، وكان واضحاً تماماً أن آرامكو تطلب رأسي . لم أشعر بالمرارة من ذلك ، فليس باستطاعتي أن أكره أحداً » .

وعلى الفور ، استخدمته الحكومتان الكويتية والجزائرية كمستشار لهما لشؤون النفط ، وقد احتفظ بالمنصبين فترة طويلة من الزمن . وعاش عيشة سعيدة في بيروت مع زوجته الثانية (فقد

كانت الأميركية رحلت منذ زمن بعيد) . بقي في بيروت حتى عام ١٩٧٠ ، حين طرده اللبنانيون دونما إنذار ولا تبرير . فقد كانت ذراع فيصل وحقده الدفين قد وصلا إلى بيروت .

حاول العمل من القاهرة ، لكن كيف تعمل في هذا المجال في بلد يستغرق جهاز الهاتف فيه يومين حتى يؤمن لك مكالمات هاتفية واحدة . ورحب به الكويتيون بسرور حين انتقل إلى بلدهم ، وقالوا « لقد عاد إلى بلاده ! » .

أمضى فترة طويلة يعمل مستشاراً نفطياً للعديد من الحكومات ، وجوازات السفر تشهد على ذلك . وحين مات الملك فيصل ، عاد عبد الله الطريقي لعقد صلح مع صديقه القديم ، الملك خالد . أعاد الملك إليه جواز سفره ، ولكن الصحفية استغربت ، واستغرب عبد الله الطريقي من استغرابها ، لأنه نشر بعد ذلك مقالة في مجلته « نفط العرب » جاء في عنوانها الرئيسي : أبعدوا هذه الطفيليات عن العرش !! وهاجم فيها كل من كان يحيط بالملك ! يقول الطريقي : إن من يحيط بالملك هم مجموعة من المتطفلين . . . إني أقول دائماً ما أعتقد به ، فلماذا أتوقف الآن؟» .

بعد هذا الحديث ، يدعو عبد الله الطريقي الصحفية إلى شقته الصغيرة البسيطة ، ويعرفها على ابنه « زحر » من الزوجة

الأميركية . يتساءل زخر :

« تسأليني : هل أنا عربي ؟ لست أدري ما جنسيتي !! لكنني جئت لأعيش في هذا البلد . أستطيع البس الحطاطة والعقال (أطلقت الصحفية على الحطاطة لقب : غطاء الطاولة !) فتكون الحطاطة بمثابة جدار يغمض عيني !... أما أعماقي .. فلم أكتشفها بعد » .

ذهب زخر إلى جدّة وهناك وعدته عائلة الجفلي بعمل ، وهي عائلة قوية تستطيع أن تقرر التعيين لوحدها ، وبدون الرجوع إلى سلطات أخرى .

ومع ذلك فلم يسمع زخر منها حتى الآن سوى صوت الصمت المطبق !

تضيف الصحفية قائلة :

« حين عدت إلى لندن ، علمت أن « السلطات العليا » ابلغت عائلة الجفلي أن الطريقي مرضي عنه ، ولكن ليس إلى درجة تسمح لها بتوظيف ابنه عندها . لا يدعي أحد بأن الطريقي كان غير أمين أو مخرباً ، لكنه كان ، كما يقول بعض المقربين ، سابقاً لأوانه . فلم يكن التأميم هو « الموضة » المقبولة في ذلك الحين . ويقول كبار آل سعود ، لقد استخدم بذلك حكمة ما كان يجوز له أن يستخدمها .

سيعود الطريقي إلى السعودية لخلق المشاكل ، كما يقول
« فينبغي أن يكون المرء في مكان يستطيع أن يؤثر من خلاله .
أستطيع الذهاب إلى أوروبا ومهاجمة الفساد من هناك . ولكن طالما
أن يدهم الطويلة طالتي في بيروت ، فلم لا تطالني في أوروبا ؟
أنظري إليهم : كل واحد منهم فاسد ومفسد . . بل ومقرف يثير
الاشمئزاز . ولا أحد يشعر بالأمان والاستقرار في هذه البلاد
(السعودية) : فلا عجب أنهم يريدون أن يكسبوا ثروتهم
ويغادروها في أسرع وقت ممكن ! سأعود إلى العزبة السعودية
وسأظل أقول ما أومن بأنه الحق . . وإذا ما صدمتني « شاحنة
بالصدفة » أو أصابتي « أزمة قلبية » قبل أوانها ، فالأفضل أن
أموت بتلك الطريقة . إني أفضل ألف مرة أن أنهي حياتي بتلك
الطريقة على أن أكون جباناً خائفاً » .

« كنت أعتقد ، إلى حين ، أن الثورة هي الجواب وأما
الآن . . فانظري ماذا فعل العسكر في البلدان الأخرى . إنهم
يستبدلون الأساليب السيئة القديمة بأساليب سيئة حديثة . . كل
ما نحتاج إليه هو الزمن . . زمن كاف وأناس كافون ، حتى ولو
كانوا من العائلات المالكة . . . فالأفضل أن نتعلم أسلوب التغيير
من الداخل . . »

ويتوقف عبد الله الطريقي لحظة ثم يقول :
« من العبث أن يكون المرء كويتياً أو سعودياً هذا مجرد

تجزىء للكل ، وليس الكل أبداً . هذا ما فعله النفط بنا . وهو
تغير غير طبيعي . الثروات الهابطة يمكن أن تصيب الأفراد ،
ولكن لا تصيب الأمم والشعوب . هذه المخلوقات والكيانات
المصطنعة ، مثل الكويت ، التي رسمتها دول أخرى على
الخرائط ، لن تحقق أي إنجاز . وستظل دائماً تنفق ، ولن تنجز
شيئاً أبداً . نحن فقط نفتتح الحنفيات والصنابير ، ونحول النفط
الى دولارات . هم يتحدثون عن بلدان منتجة للنفط ، وهذه نكتة
مضحكة».

«إن ما بين يدينا هو سيل مطر هدار ، ولكن بلا سدود .
نحن أغبياء جداً . أذكر ما قاله سانت جون فيلبي يوماً للملك
ابن سعود . قال : لا تتدخل في شؤون الناس ، ولا تدع النفط
يلامس حياتهم . في ذلك الوقت حسبناه استعمارياً تقليدياً
يتكلم ، وعميلاً امبريالياً . أذكر أنني ضحكت عليه وسخرت منه
بنفسي . أما الآن فأني أتساءل : هل كان فيلبي على حق يا
تري ؟!» .

الخاتمة

ليندا بلاند فورد عن رحلتها في الخليج

تكشف ليندا بلاند فورد عن سر نجاحها في مهمتها التي تصفها وكأنها رحلة في أدغال إفريقيا . تقول إن ما دفعها إلى القيام بتلك الرحلة هي قصة حدثت في لندن في أواخر السبعينات ، حين أمضى سائق انكليزي شهرين يقود سيارة أمير سعودي . كانت السيارة من نوع رولز رويس ، وقيمتها في تلك الأيام ١٢٠٠٠ جنيه (أما الآن فقيمتها تزيد على مئة ألف جنيه) . ويوم توجه سموه إلى مطار لندن ليركب الطائرة عائداً الى بلاده أوصله السائق إلى المطار ، وهناك سأله ماذا يفعل بالسيارة ؟ فجاءه الجواب الصاعق : هي لك ، فاحتفظ بها !

كان ذلك تعبيراً من الأمير عن تقاليده : وهي أن يعطي بسخاء للذين يخدمونه بإخلاص ، أما بالنسبة للسائق اللندني فقد كان ذلك حلماً يراوده في المنام . . . أما موظفو شركة الطيران

الذين سمعوا الحديث ، فقد أكدت لهم الحادثة صورة العربي في أذهانهم ، صورة ذلك الأحق المعتوه الذي يملك الكثير من المال .

ولكن دوافع ليندا بلاندفورد كانت أوسع من ذلك بكثير فقد كانت هي الأخرى تحمل صورة عن « شيوخ النفط » لم تذهب للتحقق منها ، ولكن لتجد عن عمد ما يؤكد لها !!

فما حقيقة ليندا بلاندفورد ؟

تقول في خاتمة كتابها :

« لقد تجولت في حدائق شيوخ النفط المسورة ، ولست واثقة من شعوري تجاه ما رأيته . كان لدي صورة واضحة عن عرب النفط قبل أن أتعرف على أي منهم » .

ثم تفجر ليندا قنبلتها :

« أنا يهودية ، وقد ساعدتني يهوديتي على فهم أشياء من حياة الغرب لا يستطيع المسيحيون الغربيون فهمها !! ..

صرت أفهم لماذا تصدم سيارة « سبور » يقودها أمير سعودي في شوارع لندن .. لم أعد أسأل عن اسم ذلك الشخص .. يكفي أن أعرف أنه غني سعودي .. » .

فكلهم متشابهون الأفعال والأشكال .

« وصرت أفهم حوادث كثيرة بشكل أفضل بعد رحلتي

دعيت إلى حفلة عشاء مع دبلوماسي عربي ، وتنتهي الحفلة بشرب
الأنخاب في بيت « معلمة » من مقاطعة سري (Surrey) تحيط بها
فتياتها « العاملات في خدمتها وخدمة زبائنها » وكبار الشخصيات
من المدعوين ..

تساءل « المعلمة » بين رشفتين من كأسها ..

« أنظري ! ألا يملك كل شيء ؟ أنظري إلى عينيه
وحاجبيه ... إنني أحبه إلى درجة لا أتقاضى منه معها قرشاً
واحداً » ثم تلتف إلى إحدى الفتيات الجميلات وتسال ...
« أليس ذلك صحيحاً يا حبيبتى ؟ »

أما « حبيبته » فقد كانت فتاة انكليزية جميلة في السادسة
عشرة من عمرها . وتقول ليندا إن الدبلوماسي السعودي سيدفع
حتماً مبلغاً كبيراً ثمناً لهذا الصحن الشهى !!

وتضيف ليندا الغيورة :

« إن ما كان يثير غضبي في الماضي لم يعد يثيرني الآن ، ولا
يدهشني . فهو ما أتوقعه دائماً ، وما يجب أن أتوقعه . لكن ما لا
أتوقعه أبداً هو مكالمة هاتفية من « مضيف سعودي » صار
صديقاً . فهو مع عائلته في لندن . ولكن اتصل وأتى .. ولم
أصدق ما كانت أذناي تسمعان :

- أنا آسف يا ليندا .. فأنا لا أستطيع مقابلتك ، ولا أستطيع

السماح لأي من أفراد عائلتي بالحضور إليك . أنا معك الآن لأن ذلك يروق لي ، وهذه طريقتي . وكان لا بد من اخبارك بذلك صراحة ووجهاً لوجه !

- ولكن لماذا ؟ ماذا فعلت ؟

- هل تعلمين ما يقال عنك في الرياض ؟

- وكيف أعرف ذلك ؟ فأنا في لندن !

- يقولون : إنك جاسوسة !

- أنت تمزح ! ولمن أتجسس ؟ وعلام ؟ هل سألتك عن عملك ولو مرة واحدة ؟

- أنت تعملين في دائرة الحرب النفسية « لديهم » !

ولم يصدق هذا السعودي أنني أكتب كتاباً أصلاً ، أما السعودي الآخر الذي تعرفت عليه فقال إنني أكتب كتاباً فعلاً ، ولكن لمنظمات صهيونية . قلت له بكل شجاعة إنني يهودية ولكني لا أعمل لصالح منظمات صهيونية .

- ولماذا لم تقولي إنك يهودية .

- لأنكم كنتم سترفضون منحي تأشيرة دخول .

- ولكن هناك يهود كثيرون يعملون في السعودية . ليتك ما

أخفيت ذلك عنا .. لأن حكومتنا الآن ستشك في أنك جاسوسة ...

- وهل يؤثر على علاقتك بي معرفتك بأنني يهودية ..

- أنا شخصياً .. لا ! أبداً !

وبعد أيام تلتقي ليندا بأوسكار مندودي ، في فندق الهلتون في لندن . شرب كأسه وقال :

- قضيت اليوم مع السفير (مهدي التاجر) وكنا نتحدث عنك . ليتك تغضين النظر عن كتابة هذا الكتاب . هل تعرفين ما حلَّ بعميل المخابرات المركزية الأميركية في أثينا في يوم عيد الميلاد ؟

- نعم .. إصطدم بطلقة رصاص ..

- هل تعرفين من قتله ؟

- كلا .

- إنك لا تعلمين الكثير ... أنصحك بالاستماع لما أقول .

أنا معجب بك يا ليندا ، وسيكون من المحزن جداً أن يقع لك مكروه ..

بعد أن زالت غشاوة الخوف عن عيني ليندا ، تساءلت ، بينها وبين نفسها :- هل أحب العرب ؟ أحب القليل منهم ، وأكره

الآخرين . . أنا أعرف أن الغرب يضحك على ذقونهم ، ويسخر من ذوقهم البشع وتبذيرهم الأحق . . وأنا أعرف أنهم يعرفون ذلك وأنه يغضبهم . .

ولكن غضبهم لن يدوم . .

فشيوخ النفط أصدقاؤنا ، ونحن بحاجة إلى حكام النفط المستبدين هؤلاء ، قدر حاجتهم إلينا . وإذا كنتم غير معجبين باستبدادهم ، فهل تفضلون قذافي آخر في السعودية ، أو كاسترو آخر في الكويت ؟ تذكروا أننا بحاجة إلى ذلك النفط الكامن تحت رمال الجزيرة العربية . . . وإن ما حدث عام ١٩٧٥ (تقصد اغتيال الملك فيصل) يجب أن يبقى في أذهاننا حتى نفهم عملية التطور الجارية هناك .

وتنهي الكاتبة كتابها بحديث جرى بينها وبين وزير - أمير سعودي . قالت ليندا للامير - الوزير :

- « لست واثقة من أنني سأكون راغبة في القدوم إلى هنا بعد عشر سنين من الآن . . . » .

فرد الأمير - الوزير

« ولست واثقاً أنا أيضاً من أنني سأكون راغباً في العيش في هذا البلد بعد عشر سنين من الآن » .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تمهيد .. العرب قادمون ! لندن للبيع !	٧
الجزء الأول : آل سعود	
الفصل الأول : غراميات الملوك والأمراء السعوديين	٢٥
الفصل الثاني : آل سعود في المنظار الأمريكي	٣٥
- ملل الأميرات	١٠٥
الفصل الثالث : آل سعود في المنظار البريطاني	١٣٣
- عقدة الذنب	١٣٦
- المعمل	١٤١
- تجار السلاح	١٤٤
- الأمير فواز أمير مكة دائماً سكران	١٥٥
- الشيخ زكي اليماني .. شيخ عصري جداً	١٦١
- اليهود .. وآل سعود !! غياث فرعون .. وامبراطوريته اليهودية في أمريكا	١٦٩

الموضوع	الصفحة
- نساء الأغنياء	١٧١
- جدّة .: باريس السعودية	١٧٥
- جدّة .. وحفلاتها الصاخبة دائماً	١٧٧
- المخبرات والتعذيب	١٨٣
- امبراطورية بن لادن	١٩٢
- الوداع يا آل علي رضى !!	١٩٦

الجزء الثاني

الفصل الأول : قطر ذلك الحاضر الغبي والماضي المشبوه	٢٠٥
الفصل الثاني : إمارات الشيخ زايد والزوائد الأخرى	٢٤٣
الفصل الثالث : البحرين جزيرة الأقزام السبع	٢٦٩
الفصل الرابع : الكويت دولة مضيفات الطائرات	٢٨٧
- ثماني عشرة ساعة في فحص المجوهرات	٢٩٣
- وختامها : عبد الله الطريقي	٣١٣
- الخاتمة .. ليندا بلاند فوررد عن رحلتها في الخليج	٣٢٣

